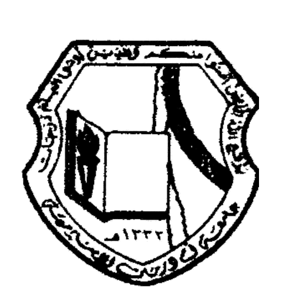
بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية الآداب

قسم التاريخ والحضارة الإسلامية



بحث مقدم لنيل درجة الماجستير بعنوان:

قبيلة المحمدية

تاريخهم ودورهم الدعوي والوطني في السودان

إعداد الطالب:

بشرى محمد إدريس حجاز

إشراف الدكتور

عبدالله علي حسن كردي

١٤٣٧هـ- ٢٠١٥م

يقول الخالق الباري:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾

صدق الله العظيم

سورة الحجرات الآية (١٣)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

(كلكم لآدم وآدم من تراب)

خطبة حجة الوداع

ويقول الإمام علي كرم الله وجهه:

الناس من جهة التمثال أكفاء * أبوهم آدم والأم حواء

فإن يكن لهم من أصلهم شرف * يتفاخرون به فالطين والماء

ديوان الإمام علي

تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، دار ابن زيدون . بيروت، ص٢٥.

إهـــــداء

أهدي هذا البحث المتواضع لروح والدي الذي طالما قد شنف آذننا بالكثير المثير من تاريخ السودان وأخبار قبيلتنا فقد كان عليه الرحمة تاريخاً يمشي على رجلين وكان عالماً بالأنساب والأصول ومشهوداً له بذلك عند من عاصروه خاصةً وأنه شيخ العرب في قبليته وإلى روح والدتي التي طوقتنا بمننٍ حسانٍ في التربية والسلوك والتنشئة فقد كانت ممدوحةً عند أهلها وجيرانها ومعارفها وإلى إخوتي وأخواتي وهم أجنحتي التي أُحلّق بها عالياً في فضاء العزة والكرامة.

والإهداء موصول إلى زوجتي وأبنائي فهم متكئي وعدتي للزمان وامتدادي في الحياة وفي العمل الباقي كما أهديه لأسرتي الكبيرة صاحبة الاسم البهي والأصل السني قبيلة المحمدية وإلى أفرادها في كل مكان وإلى زملاء الدراسة وإلى كل من علمنا حرفاً من مشائخنا ومعلمينا وأساتذتنا وإلى طلاب العلم والمعرفة كافة.

شكر وتقدير وعرفان

الحمد لله مستوجب الحمد كله خلق فسوّى وقدَّر فهدى وجمع فأوعى وعلم الإنسان ما لم يعلم وهداه سراطاً مستقيماً، والصلاة والسلام على صاحب النفس الزكية والسيرة السنية نبي الرحمة وأمام الملحمة النبي الخاتم وعلى آله وصحبه وسلم القائل (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) فالشكر أجزله لأستاذنا الجليل الفاضل الدكتور عبدالله على حسن كردي الذي وافق مشكوراً على الإشراف على رسالتي هذه ناصحاً وموجهاً ومرشداً ومعضداً، والشكر موصول لأخي وزميلي الدكتور/ عبدالقادر عثمان على أريحيته وتشجيعه فقد تزاملنا كطلبة في هذه الكلية وفي هذا المقام لابد أن نترحم على أساتذتنا الكبار الذين أعطوا وما بخلوا فقد طوقونا مننا في الزمان حساناً، الأستاذ الدكتور بشير كوكو حميدة، الذي كان أباً للجميع والأستاذ الدكتور أحمد شلبي والدكتور حسن عباس صبحي والدكتور أحمد عثمان والدكتور محمد علي مختار والدكتور أحمد محمد علي حاكم عليهم شآبيب الرحمة وبارك الله في أعمار من تبقى د. عمر الزاكي . ود. السر العراقي ود. صابر دياب ود. محمود وآخرين والشكر موصول لكل من وجه ونصح وأعطى معلومة أو مرجعاً ولكل الأهل والمهتمين من قبيلة المحمدية والمشجعين وأخص العمدة سعيد الإمام والأستاذ الوسيلة قسم السيد والأستاذ الدكتور صالح موسى علي والأخ سعيد حامد بابكر والأخ عبده البلال الكريل وأسرة المكتبة المركزية بجامعة أمدرمان الإسلامية والجامعة الأهلية ومكتبة السودان ودار الوثائق والأخ الشريف محمد خير بركائز المعرفة وآل العراقي والكريل وآل الشيخ محمد ود رحمة بسقدي والأهل بأبي عجاج، وإيد الحمراء، وكل من أهتم وشجع وأعطى معلومة من أهلنا المحمدية أو الكواهلة فقد ساعدوا في أن ترى هذه المحاولة اليتيمة النور رغم شح المصادر فقد كان جُلُّها في صدور من يحفظ ويعي والشكر موصول لكل من ساهم في جمع وطبع هذا البحث.

فهرس الموضوعات

مستخلص البحث:

يهدف هذا البحث لدراسة تاريخ قبيلة المحمدية (مرتبطاً بالكواهلة) أصلهم ونسبهم ونشاطهم الدعوي وتاريخ دخولهم السودان وأسباب الهجرة من جزيرة العرب، هل هي سياسية أما اقتصادية أم دعوية والأماكن التي استقروا فيها... وعلاقاتهم مع القبائل المجاورة والسلطات الحاكمة وتراثهم الإداري الرسمي والشعبي وطرق حل المشاكل وكيفية حماية الدار ونشاطهم الاقتصادي وعاداتهم الاجتماعية في الأفراح والأتراح وتراثهم الأدبي والفني والديني وكيفية تزجية الفراغ وأعلام القبيلة.

وقد اشتملت هذه الدراسة على خمسة فصول، كما اشتملت على خاتمة ونتائج وتوصيات وملاحق وعلى خرط وصور ووثائق وأخيراً قائمة بالمصادر والمراجع تناول الباحث في الفصل الأول: علم الأنساب المفهوم والتعريف... الغرض والفائدة من علم الأنساب... تأصيل ومعرفة علم الأنساب، كما مهد الباحث لموضوع البحث بتناول مبسط لدخول العرب السودان في عصور مختلفة قبل الإسلام وبعده وأسباب هذه الهجرة وقيام الإمارات الإسلامية في السودان.

الفصل الأول: الأصل ومواطن الانتشار يتضمن تاريخ دخول الآباء الأوائل السودان... ومن هو أول من دخل من الآباء وعن أي طريق وأسباب هجرته من جزيرة العرب ، هل هي سياسية أم اقتصادية أم دعوية أم ماذا؟... وأحوال هذه البلاد عند قدومه وظروف الأماكن التي أتى منها وما هو أول مكان حل به في السودان وهل غير منه إلى مكان أنسب... نسبه الشريف ودليل شرفه.. بطون القبائل التي وفد في معيتها وكيفية تكوين الكيان الخاص بقبيلة المحمدية وكيفية إدارتهم... الشَقة أو الدار التي تشغلها وتحميها القبيلة حين كانت محميات القبائل هي أوطانهم الصغيرة التي تحمي حماها ومدلول هذا الاسم (الشقة لكل قبيلة).. فرسان القبيلة المشهورين المنوط بهم حراستها وحمايتها والدفاع عنها... وتكامل هذا الدور مع القبيلة الأم . الكواهلة – وتبيان العلاقة بها، والصلة الرحمية ... القبائل المجاورة الأخرى ونوع العلاقة، ونشأة فروع للقبيلة.. مسمياتهم وقراهم والنجوع التي تفرقوا فيها.

الفصل الثاني: دور المحمدية الإداري والسياسي كقبيلة وأفراد في العهود المختلفة في الفترة من ١٤٢٣م – ٢٠١٦م (فونج – تركية – مهدية – حكم ثنائي والوطني).

وهيكلها الإداري مرتبطاً بالكواهلة والحسانية بصفة خاصة (حسب نظام الإدارة الأهلية وهياكلها وتراتيبها).

الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية والتقاليد المرعية وأعلام القبيلة، يتضمن ذلك كله طريقة الناس في أفراحهم وأتراحهم وثقافتهم في المسكن والمشرب والملبس والزينة والمركب وإيراد نماذج من الأدب المصاحب للأفراح وغيرها مع التعرض لصور الطبيعة ومباهجها من حولهم وفي أرضهم ودور الجَدَّة في المجتمع وحِكَمٌ وأمثالٌ والتعليم والصحة والأمراض المستوطنة للإنسان والحيوان والعلاج، وثقافة التسلية والألعاب وتزجية الوقت.

الفصل الرابع: الحياة الاقتصادية للقبيلة يبين اقتصاد الناس وسبل كسب عيشهم والأدوات المتعلقة بذلك كله (ويتلخص ذلك في النشاط الرعوي والحيواني ثم الزراعي والتجاري).

الفصل الخامس: المحمدية في مقام الدعوة.

ويتناول هذا الفصل نشاط وحركة الدعاة المحمدية في تبصير الناس أمور دينهم حفظاً لكتاب الله وفقهاً له، وفهماً وعملاً وإرشاداً، ونسخاً للمصحف، كل ذلك في مساحات واسعة وأماكن متباعدة، وأرجاء مختلفة من البلاد.

Abstract

The objective of this research is to study the history of the Mahammadia tribe, (closely associated with Kawahla). The study investigated their origin, call to Allah (Daawa), immigration from the Arab peninsula, time of entry to Sudan; the causes of their movement and whether it was political, economical, to "Daawa" or otherwise.

The relationship of the tribe with other neighboring tribes, with the ruling power, the administrative heritage were also discussed. All the above, social traditions, economic activities, arts, cultural heritage and tribal famous distinguished figures were also among the issues discussed and investigated.

The study contained five chapters including results, conclusion and recommendation. Moreover it contained an appendix, explanatory maps, photographs, documents, and a list of references and information sources of the entry of the father of the first generation of the tribe to the Sudan, the ways and means, and the real reasons for this immigration and whether it was political, economical, to the call for Allah (Daawa) or otherwise. The situation of the country at that time, the circumstances in the original residence home of the first man to com, were fully investigated and discussed. This honor and the accompanying sub-tribes were also searched. Moreover, reference was made to the formation of the entity and own identity of the Mahmmadia tribe. The administration and protection of their residence or (Shuga) the famous fighters and knights, who played this role & how their role was accomplished with the "mother tribe", the Kawahla. Reference was also made to the relationship with other neighboring tribes, the formation and the pervasion of these.

In the first chapter I defined and explained the concept of anthropology, its value, essence and aims. As a descriptive preface to the subject, I simply dealt with the entry of Arabs to the Sudan in different eras before and after the advent of Islam, referring to the reasons of this immigration and the establishment of the Islamic emirates in the Sudan.

In the second chapter discussed the administrative and political role of the tribe and as individuals during different eras from 1423 (the Fungera, Turkish). The administrative structure was described with particular reference to its close relation with Kawahla and Hassania (in accordance with the structure of the system of the local administration).

Third chapter: social life and traditions Considered

In this chapter I dealt with the social life related to their entertainment and concerned with culture in housing, international habits and dressing. Models of the art and culture associated with their entertainment, and other aspects of social life were cited.

References was also made to the surrounding natural beauty of their land and the environment, the health and educational services, the indigenous human and animal diseases, and the medication and treatment that was followed.

Forth chapter: the economical life of the tribe

In this chapter I dealt with the economical activity of the tribe, and ways of earning their living. This is intended.

Fifth chapter:

This chapter dealt with the role of the Mahmmadia and their status in the call for Allah (Daawa).

المقدمة

بسم الله نبدأ وعليه نتوكل فكل شيء لا قيام له إلا بالله فهو المستعان وعليه التكلان.

إذا لم يكن عون من الله للفتي * فأول ما يجني عليه اجتهاده(١)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

لقد عرف العرب السودان منذ القِدم بحكم الجوار ولم يكن البحر الأحمر، عائقاً لهجراتهم إلى السودان وكانت موانئ عيذاب ثم سواكن ومضيق باب المندب من المداخل المهمة للعرب للولوج للسودان وهناك الهجرات العربية أيضاً عن طريق سيناء والسويس.

بعد أن دانت مصر للمسلمين بقيادة عمرو بن العاص ثم عبدالله بن أبي السرح وإمضاء اتفاقية البقط، ازدادات هجرات العرب لبلاد النوبة أي السودان بقبائلهم وأنعامهم مما أحدث تغييراً في التركيبة السكانية ومن بعد في الجانب الإداري والقيادي والدعوي.

مشكلة البحث:

البحث الذي نحن بصدده هو عن قبيلة المحمدية ما هي أصولها وجذورها وتاريخ دخولها السودان وفي معية من من القبائل وعن أي طريق وحالة البلاد التي أتوا منها وسبب الهجرة إلى هنا وأين استقروا وخرطة انتشارهم خلال السودان وأسباب ذلك ودورهم الوطني والدعوي في هذه البلاد؟ ثم تبيان علاقتهم مع القبائل الأخرى والقواسم المشتركة فيما بينهم وبينها.

الأهمية:

وأهمية ذلك: حتى لا يتلاشى تاريخ هذه القبيلة وذكرها مع تعاقب الزمان أو تنسب لغيرها من قبائل المنطقة أو ينسأ تاريخها ودورها. ومساهمة الباحث في كتابة

---

(١) الإمام علي – ديوان الإمام علي – تحقيق د. محمد عبدالمنعم خفاجي – دار ابن زيدون للطباعة والنشر – بيروت – ص ٦٠.

تاريخ هذه البلاد، فجماع كتابة تاريخ قبائلها دون تفاخر ولا تضاد يعني جمع وتجديد تاريخ السودان وكتابته بأيدي أبنائه بدلاً من الأجانب وكذلك تصحيح ورصد للواقع والحقيقة وبعدٌ عن الغرض .. والأهمية تشمل ما قامت به هذه القبيلة من دور دعوي ووطني مع الحماية والإجارة لبعض شيوخ الدين والزعامات القبيلة والأقليات في الجوار والمساكنة.

أهداف البحث:

إضافة لبنة جديدة في تاريخ السودان مستصحبين ضرورة تقوية النسيج الاجتماعي في البلاد من خلال العوامل المشتركة بين مجتمعاتها المتمثلة في اللغة العربية والدين الإسلامي والعادات والتقاليد الكريمة والعرف المحمود، وحماية المجتمع بنبذ التعصب والعنصرية القبلية، ودعم الإلفة التي عُرف بها أهل السودان الذين يألفون ويؤلفون.

سبب الاختيار:

أولاً: لدافع ذاتي انتمائي لهذه القبيلة التي يجهلها الكثيرون، وطرق تاريخها فيه رفع لذكرها بين أخواتها من قبائل السودان وإبراز لسماتها وخصائصها.

والدافع الثاني أيضاً دافع ذاتي علمي القصد منه الترقي في درجات العلم والمعرفة والبحث لنيل درجة الماجستير ثم ما فوق.

المنهج:

هو تحليلي وصفي تاريخي بغرض الوقوف على نسب وتاريخ هذه القبيلة.

مجتمع البحث:

الإطار المكاني: ويشمل أماكن انتشار أفراد القبيلة أينما وجدوا.

الإطار الزماني: من ١٤٢٣ – إلى يناير ٢٠١٦م.

مصادر البحث:

هي في الغالب ما تختزنه صدور الرواة الثقات من أفراد هذه القبيلة ومن بعض مخطوطات بيوتها الدينية ومما سارت به الركبان ومما صدر عن مشاهيرها من الأدب والحكمة.

هذا إضافة إلى بعض المعلوما التي سطرها مهتمون ومتعلمون من هذه القبيلة أمثال: الأخ الوسيلة قسم السيد الذي بذل مجهوداً جباراً يُحمد له، فقد وصل أغلب نجوع وقرى أهل المحمدية وأماكن سكنهم على طول النيل الأبيض من جبل ألولياء حتى الجبلين وفي الجزيرة ليخرج لنا مخطوطه الدرر البهية في نسب المحمدية ومخطوط آخر عن الكواهلة ورد فيه عن المحمدية ما لم يرد في مخطوطه الأول.

ومثل الأخ الشريف محمد خير من أسرة العراقاب المحمدية فقد أفاد الباحث كثيراً من جهده الكبير في تسجيل تاريخ أهله العراقاب كجزء أصيل من قبيلة المحمدية.

عند أسرة الشيخ محمد ود رحمة حيث كتب سليله أحمد آل محمد مخطوط صيب الرحمة إضافة للآخرين تمت لهم زيارات وعقدت معهم لقاءات ومقابلات إضافة إلى مراجع عامة بها بعض المعلومات عن القبيلة.

وقد وقف الباحث من خلال أسفاره إلى الأماكن البعيدة التي تقطنها أجزاء من القبيلة على ضوء عبادتهم الأثرية والحديثة، كالمساجد والخلاوى الحديثة والمسايد (جمع مسيد وهو مكان الذكر) وعلى مغارات العبادة حين الخلو والإنفراد والسياحة وعلى البنايا والقباب في مروري ونوري وغرب سنار وتنقسي وحول جبل الوليا والنيل الأبيض عموماً.

موقع البحث من البحوقث الأخرى:

الكتابة عن قبائل النيل الأبيض عموماً شحيحة ولا تلبي حاجة الباحثين ولا تشبع نهمهم لمعرفة تاريخ المنطقة وقبائلها، لذلك سيكون هذا البحث إضافة وإضاءة متواضعة توضح ما غمض بتفاصيل دقيقة وتصحح بعض الخطأ في الإنتما وستشكل أول بحث مطبوع ومعتمد عن تاريخ قبيلة المحمدية، أصلها، ونسبها، ودورها الدعوي والوطني في السودان.

الفصل الأول
الأصل ومواطن الانتشار

الفصل الأول

الأصل ومواطن الانتشار

مدخل :

الحمد لله الذي خلق آدم من تراب وخلق من ضلعه حواء فكانت له درعاً وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءا وخلق من الماء بشراً فجعل منه نسباً وصهراً وأنزل آدم خليفة في الأرض واستعمره فيها .. يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [(١)] ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [(٢)] أي استخلفهم بجنسهم واستخلفهم بأشخاصهم بعد الذاهبين من قبلهم.

قبل مجيء الإسلام كانت جزيرة العرب تَعُجُّ بقبائل كثيرة وبمسميات شتى يعادي بعضها بعضاً ويتوالى بعضها الآخر ... عرب بائدة، وعاربة، ومستعربة، .. كنانة وقريش وهذيل وهوازن وجُشم .. الخ، وحتى الأنبياء عدا نبينا محمد عليه وعليهم جميعاً الصلاة والسلام أُرسلوا لأقوامهم أي قبائلهم كما يذكر صاحب الظلال في تفسيره : فأما عاد فقبيلة تسكن الأحقاف والحِقْفُ هو كثيب الرمل المائل في جنوب الجزيرة العربية، وأما ثمود فكانت قبيلة تسكن مدائن الحِجر بين تبوك والمدينة[(٣)] ، وكذلك قوم يونس في نينوى بالموصل وقوم شعيب في مدين وقوم نوح وقوم إبراهيم بالعراق وأصحاب الرس وأصحاب الأيكة وقوم تُبَّع والمؤتفكات وهي قرى قوم لوط التي قلب الله بها الأرض فجعل عاليها سافلها.

ولما جاء الإسلام زادت تلك الأسماء بتطور الزمان فنجد الغساسنة والمناذرة والأوس والخزرج ولخم وبكر وتغلب وخزاعة وثقيف وأزد وغفار وكندة وبني شيبان .. الخ وإلى يومنا هذا نجد أسماء حتى الأفراد : فلان بن فلان المطيري والسلمي والغامدي والعتيبي والدوسري والجهني ... الخ، وكلها أسماء قبائل لم يَعْمَد الإسلام إلى

---

(١) البقرة، آية (٣٠) .

(٢) هود، آية (٦١) .

(٣) سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، ج ١٢، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي، ط أولى، ص ٤٤ و ٤٥.

مسحها كأسماء أو كعناوين دَالّة وإنما عمد إلى مسح الفهم والأفكار والاعتقادات الخاطئة والسلوك الجاهلي وأبدلهم به السلوك الحضاري والقيم النبيلة وأبقى على ما يدعو إلى مكارم الأخلاق وإلى التوحيد وغَيَّر من سلوكهم وعقائدهم وهذب طبعهم فصار وَاتِرَهُمْ إذا رأى وَلَدَ الْمُوتُور آخاه.

أراد الباحث مما سلف أن الكتابة عن القبيلة لا تعني إيقاظ نعرة الجنس وعصبية العنصر ودعوى الجاهلية وإنما تعني حياة القبيلة – أي قبيلة – في معاشها وعلاقاتها وثقافتها والنقلات التي تحدث لها وتعاملها مع صروف الدهر عموماً وانعكاس ذلك على المجتمع من حولها، وهل التاريخ إلا رصد وتسجيل تعامل الناس مع دهرهم وكيفية عمارة أرضهم والتعامل مع أحداث زمانهم والتواصل فيما بينهم، ومعرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم وسياستهم واعتقادهم وأدبهم ولغتهم؟.

كَمُّ القبائل بالصورة التي سَلَفتَ وتوزْعَهُم في الزمان والمكان أوجد لدى العرب ما عرف بعلم الأنساب .

علم الأنساب :

(إن علم الأنساب من العلوم العربية الأصيلة عرفه العرب في جاهليتهم وبعد إسلامهم لأنه يحافظ على صلات العائلة العربية ويحفظ كيانها من الضياع ويحرص على إبراز المميزات التي تتميز بها الأمة العربية وخصال الأسرة العربية وفضائلها وبيوتاتها الشهيرة واشتهر لدى العرب علماء في علم الأنساب، منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه والكلبي وابن الكلبي (١٤٦هـ– ٧٦٣م) وابن حزم وغيرهم) [(١)] .

وقد أثبت الإسلام مفاهيم جديدة للنسب كصلة الدم والرضاع وجعل منه ما يكون تَكْرِمة وما يكون بالدِّين .. فنسب الدم من القرابة القريبة ينتج عنه علم المواريث تفصيلاً من الآباء إلى الأبناء والبنات والأزواج وذوي القربى وكيفية توارث بعضهم بعضاً ، قال تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ

(١) سلمة بن مسلم، الأنساب ج ٢، ١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م، ص ٣–٥ دار الوثائق المركزية، السودان.

وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٨﴾ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ [2] وتعاونهم على تحمل الديات وهو ما يعرف بالعاقلة حيث تطرح على الأهل والقبيلة، والنسب يتأثر به أيضاً النكاح حلاً وتحريماً فلا نكاح إلا بولي مع تحديد المحرمات من

النساء، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ

---

(١) من الآية ٧ إلى الآية ١٢ من سورة النساء .

(٢) النساء الآية ١٧٦.

أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [(١)] ، ... أما النسب الذي يكون تكرمة كقوله (ﷺ) (سلمان منا آل البيت) [(٢)] وهناك انتساب النبي (ﷺ) للأنصار بقوله لهم (أنا منكم وأنتم مني ولولا الهجرة لكنت رجلاً من الأنصار)، وذلك في خطبته إياهم عن اختلافهم على الغنائم في غزوة حنين. ومن أخوة الدين المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار والتي أنتجت نوعاً فريداً من الإيثار بلغ حد التنازل عن شطر الأموال والزوجات: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [(٣)] واستمر هذا الحال حتى نزلت آية الأنفال ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ ﴾ [(٤)] .

أهم ما يوجبه النسب صِلات الرحم .. كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [(٥)] فربط صلة الرحم بتقوى الله والآيات التي تحض على صلة الرحم كثيرة، وكذلك الآثار في السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى

---

(١) النساء، الآيات (٢٣-٢٢) .
(٢) خالد محمد خالد–رجال حول الرسول – دار الفكر بيروت – ص ٥٣.
(٣) الحجرات، آية (١٠)
(٤) الأنفال، آية (٧٥) .
(٥) النساء ، آية (١) .

الله عليه وسلم قال : (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم مَحَبَة في الأهل، مَثْرَات في المال، مَنْسَأةٌ في الأجل، مَرضاة للرب) [1]، ومن أدعية العرب حتى في جاهليتهم أن يقول الواحد منهم لصاحبه في مقام الشكر (وصَلَتْك رَحِمٌ).

وأولى الأرحام بالصلة هم الوالدين﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[2] ثم الأبناء والبنات والزوجات، (كفى بالمرء ظلماً أن يضيع من يعول) ثم الأخوان والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات (الأقربون أولى بالمعروف) ثم الأقرب فالأقرب من ذوي القربى والعشيرة بل والمسلمون عامة (المسلم أخو المسلم) بل عموم بني آدم ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [3].

من الضروري بمكان معرفة نسب النبي صلى الله عليه وسلم لإكرامه وآله وإكرام كل ما يتعلق به، فَصَلاتُنَا عليه أمرٌ رباني : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [4]. وحبنا له ولأهل بيته أمرٌ يكمل الإيمان به (لا يكمل إيمان أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، حتى من نفسه التي بين جنبيه) [5] هكذا قال (ﷺ) لعمر، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم أصهاره فيقول: (استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم نسباً وصهراً)[6] وهم أهل مارية القبطية أم ولده إبراهيم وكان يكرم صويحبات خديجة ويقول : (إنهن يذكرننا أيام خديجة)... وأن عائشة لتغار ... يا للوفاء لتلك الوفية التي تصلها تحيات السماء وأهل البيت هم عَقِبُها فقد ورد عن عائشة وأم سلمة (أن رسول الله (ﷺ) اشتمل على الحسن والحسين

---

(١) مسام بن الحجاج مختصر صحيح مسلم – ذكي الدين عبدالعظيم المنذري – تحقيق: الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت ط٤ ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م حديث رقم ١٧٦٢ – ص ٤٧٠.

(٢) جزء من الآية ٢٣ سورة الإسراء.

(٣) الممتحنة آية (٨) .

(٤) الأحزاب آية (٥٦) .

(٥) أحمد بن الحسين البيهقي – مختصر شعب الإيمان – مطبعة التقدم بالمنيرة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، ص ٣٦و ٤٧.

(٦) مختصر صحيح مسلم، تحقيق الألباني، ص ٤٧١.

وأمهما وأبيهما فقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيرا) [١]
والأمثلة في اهتمام النبي برَحِمِهِ كثيرة يُذكر منها للدلالة فقط : غضبه لبنت عمه أبي لهب حين عَيّرَها البعض بأبيها وأمها حمالة الحطب فقام مغضباً وصعد المنبر وقال: (ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي) فجعل أذاها من أذاه فانتهى الناس عن ذلك على الفور – وكذلك غضب حين وجد عمه العباس يَئنُ وقد شُدّ عليه قيده يوم بدر فقال : (أهكذا يُفعل بعمِ نبيكم ؟ أما علمتم أن عم الرجل صنو أبيه؟ فأرخو عنه قيوده ...وذَرفت عيناه يوم أُحُدٍ حين وجد نساء بني عبد الأشهل يبكين قتلاهن فقال : وحمزة لا بواكي له؟ فبكينه بأمر من سعد بن معاذ وأسيد بن حضير حتى بلغن باب المسجد فقال النبي (ﷺ): إرجعن فقد آسيتن بانفسكن) [٢] ، كذلك نهى المسلمين عن قتل بني هاشم يوم بدر فقد أُخرجوا مكرهين ولا حاجة لهم بقتال المسلمين ومعلوم أنه قد عفا عن أهل مكة حين دانت له بقوله: (ما تظنون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كريمٍ) فهم أهله وعشيرته قال: (أذهبوا فأنتم الطُلقاء)... وتلك قتيلة بنت الحارث تبعث إلى النبي تحية عتاب وتُقِرّ له بالفضل وعظيم الخُلق وتَعْجَبُ كيف لم تشفع لأخيها النضر بن الحارث – من أسرى بدر – أواصر الدم وراسخ القرابة وموقف الضعف الذي وقفه مكبلاً بالأغلال لا حول له ولا قوة فأنشأت تقول :

أمحمدٌ يا خيرضِنء كريمة * في قومها والفحل فحلٌ مُعْرِقُ

ما كانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ ورُبّما * مَنَّ الفَتَى وهوَ المَغيظُ المُحْنَقُ

والنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أسرت قرابة * وأَحَقُّهُمْ إنْ كانَ عِتقٌ يُعْتَقُ

ظلت سيوف بني أبيه تَنُوشُه * لله أرحام هناك تشقق

قال (ﷺ) لما بلغه هذا الشعر المُؤَثِر: (لو بلغني هذا قبل قتله لمننت) [٣].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبدالوهاب، ج ٨، ط ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م. ص٣٤.

(٢) محمد عفيف،مختصر سيرة ابن هشام، مكتبة المعرفة، حمص، سوريا، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة، ط ٢، ١٩٨٢م، ص ١٤٨.

(٣) محمد عبده يماني، بدر الكبرى، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م، ص ١٨٤.

وأخيراً يجب أن يهتم المسلمون بمعرفة نسب قريش فهم أهل النبي ﷺ ورهطه ولهم الزعامة على قبائل العرب بل لديهم الإمامة فالأئمة من قريش قالها أبوبكر رضي الله عنه يوم السقيفة في أمر الإمارة عندما رَشَّح الأنصار سعد بن عبادة للخلافة فقال لهم أبو بكر لا يصلح هذا الأمر إلا في هذا الحي من قريش[1] – يقصد المهاجرين – نحن الأمراء وأنتم الوزراء(أي الأنصار) فأمضى سعدٌ للصديق مقالته فكانت الإمارة في المهاجرين من قريش طيلة فترة الخلافة الراشدة وامتدت كذلك في عهد الملك العضود أيام بني أمية ثم بني العباس وحتى في الأندلس بلغت الدولة أوج عظمتها في عهد الأمراء الأمويين وتضعضعت حين آل الأمر لغيرهم حتى ذهبت ريحها غير أن حديث أبي بكر الصديق لا يقصد منه كل مهاجر قرشي وإنما يقصد به القرشي الصالح للإمارة وإلا لما قال عمر رضي الله عنه حين حضرته الوفاة: لو كان سالم مولى أبو حذيفة حياً لوليته، فسالم مكيّ البيئة والثقافة مسلم العقيدة قرشي الطبع والمزاج واللغة خالص الوجدان لله تعالى وهو من الموالي ولكن عمراً الصالح الثاقب النظر يرى فيه أهلية القيادة فمن هذا الباب يرى أن ليس في شرعته عبدٌ ومولى، وسالم هو من أشراف السودان من الصحابة رضي الله عنهم، وكان يؤم المهاجرين من مكة حتى قدِم المدينة؛ لأنه كان أقرأهم، وصلى خلفه أبوبكر وعمر، وقال عمر حين حضرته الوفاة: " لو استخلفت سالماً وسألني عنه ربي عزّ وجلّ ما حملك على ذلك لقلت لربي سمعت نبيك ﷺ يقول: " يحب الله ورسوله حقاً من قلبه"[2].

هنالك أشياء عملية أستفيد فيها من النسب فقد كان الخلفاء يحضون المسلمين على حفظ أنسابهم والتدقيق فيها فلا يطلب من المجاهد ممن لم يعرف القراءة والكتابة إلا أن يغزو وفي يده سلسلة نسبه بين أوراق المصحف والفروة للصلاة وفي اليد الثانية يحمل السيف للجهاد، وقيل أن سيدنا عمر ﷺ كان يحرص على حفظ الأنساب وهو الذي يقول (تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد إذا سئل أحدهم عن أصله قال من

(١) الزغبي، سير ابن هشام، مرجع سابق ص ٣١٤.

(٢) ابن الجوزي – تنوير الغبش في فضل السودان والحبش – تحقيق د. محمد بركات – ط١ ١٤١٢هـ – ١٩٩٣م، دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر – ص ٨٤.

قريـة كذا) وكـان عمـر يقسـم العطـاء علـى حسـب الأنسـاب القبليـة ومـا زال العـرب فـي السودان حتى الآن لا ينسبون إلى قراهم ومدنهم ولكن إلى قبائلهم وبطونها[1] .

(١) ضرار صالح ضرار، هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط ١، ١٩٧٧م-١٤١٨هـ ، ص ٥٣٢.

المبحث الأول

الصلة والهجرات العربية إلى السودان

أ) قبل الإسلام :

تعود الصلة بين السودان وجزيرة العرب إلى عصور قديمة إذ أن موجات كثيرة من الهجرات من شبه الجزيرة العربية اتخذت طريقها إلى وادي النيل في عصور مختلفة وخاصة عرب اليمن، فيرجع ابن خلدون هذه الصلة إلى القرن الأول قبل الميلاد ويرى محمد عوض محمد أنها ترجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد بينما يرجعها عبد الحميد متولي إلى العام ٤٢٠٠ ق،م تقريباً [١] .

أسباب الهجرة في الغالب اقتصادية لأن شبه الجزيرة العربية اشتهرت بأنها بيئة طاردة [٢] ووادي النيل منطقة جاذبة لما عرف عنه من وفرة الماء العذب والمرعى ورخاء العيش، هذا إضافة للأنشطة الاقتصادية والتجارية بين السودان وبلاد العرب، .. وطرق هذه الهجرات متعددة إما عن طريق مضيق باب المندب في أقصى الجنوب لأنه سهل العبور، علماً أن عبور البحر الأحمر في أي جزء من أجزائه لم يكن في يوم من الأيام صعباً [٣]. وطريق آخر في أقصى الشمال عبر سيناء وهو بالطبع طريق سهل يسلك فيه الناس اليابسة ولا يضطرهم إلى ركوب البحر ولكن ربما تعتريه بعض المشاكل الأمنية أحياناً، وهو طريق يربط شمال جزيرة العرب بمصر وبشمال السودان، والارتباط الجغرافي بين جزيرة العرب وسودان وادي النيل بل بشرق أفريقيا عموماً للباحث فيه نظرة واستنتاج شخصي – وربما يقول به آخرون – هو أن أفريقيا وجزيرة العرب كانت في يومٍ من الأيام براً واحداً متصلاً يجوبه السكان آنذاك دون عائقٍ مائيٍ ولكن حادث انكسار الأرض في الأخدود الأفريقي العظيم في زمان لا يُعرف على وجه التحديد ... هذا الانكسار فرّق الجمع الواحد إلى فريقين بعضهم شرقية والآخر غربية،

---

(١) بابكر فضل المولى، مظاهر الحضارة في دولة الفونج، دار السداد، ط ١، ٢٠٠٤م، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة ، ص ٢٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨.

فتجد أهل الساحل في أفريقيا مثلاً قبيلة ساهو في إرتريا يشبهون أهل اليمن بل هم يمن[١] مما يعضد نظرة الباحث سالفة الذكر، ولربما يقول قائل أن أهل اليمن وحضرموت أصلاً أهل تجارة يجوبون البلدان بتجارتهم وقد أثَّرُوا في كل الشاطئ الشرقي لأفريقيا والغربي للبحر الأحمر إلى وادي النيل والدليل وجود قبيلة أصلها يمني هي ساهو إلاَّ أن ذلك لا ينفي استنتاج الباحث السابق وإن بَعُد في غياهب التاريخ وبذلك تكون الصلة بين شبه الجزيرة العربية ووادي النيل صلة قديمة جداً قدم التاريخ ، خاصة وأن السودان يواجه شبه الجزيرة العربية لا يفصله عنها إلا البحر الأحمر.

وإذا رجعنا إلى قصص الأنبياء وجدنا أن أم العرب هاجر من بلاد النوبة وكذلك أم موسى عليه السلام من بلاد المحس واسمها صفورة وقد أفاد الباحث أحد الأخوة من جزيرة بدين في منطقة المحس أن جداتهم المباشرات ما زلن يحملن هذا الاسم (صفورة) [٢].

تشير بعض المصادر إلى وجود تشابه بين تاريخ سبأ اليمنية وتاريخ سوبا من ولاية الملكات على العرش ونظام المعابد القديمة قبل الإسلام [٣]، وقد شاهد الباحث ندوة في تلفزيون السودان لبعض المؤرخين يقولون أن اسم سوبا ما هو إلا تحوير لكلمة سبأ وأن من أطلقه عليها هم مهاجرون يمنيون بعد إنهيار سد مأرب.

الصِلات هذه والهجرات مهدت الطريق للهجرات اللاحقة بعد الإسلام وسهلت عوامل الصلة بين السودان وبلاد العرب مما أنتج إنقلاباً كبيراً وتلاقحاً في الحضارة وتمازجاً في السكان .

---

(١) مقابلة شخصية مع ليلى وحنان سليمان من قبيلة ساهو الأرترية بمربع (٩) الحاج يوسف في يناير ٢٠١٠م.

(٢) المستشار طارق عبدالفتاح، نائب، نقيب المحامين في السودان (مقابلة شخصية) بمسجد مدينة المهندسين ٢٠١٣م.

(٣) بابكر فضل المولى حسين، مظاهر الحضارة في دولة الفونج، مرجع سابق، ص ٣٧.

فهرس الموضوعات

الفصل الأول
الأصل ومواطن الانتشار

الفصل الأول

الأصل ومواطن الانتشار

مدخل :

الحمد لله الذي خلق آدم من تراب وخلق من ضلعه حواء فكانت له درعاً وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءا وخلق من الماء بشراً فجعل منه نسباً وصهراً وأنزل آدم خليفة في الأرض واستعمره فيها .. يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [(١)] ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [(٢)] أي استخلفهم بجنسهم واستخلفهم بأشخاصهم بعد الذاهبين من قبلهم.

قبل مجيء الإسلام كانت جزيرة العرب تَعُجُّ بقبائل كثيرة وبمسميات شتى يعادي بعضها بعضاً ويتوالى بعضها الآخر ... عرب بائدة، وعاربة، ومستعربة، .. كنانة وقريش وهذيل وهوازن وجُشم .. الخ، وحتى الأنبياء عدا نبينا محمد عليه وعليهم جميعاً الصلاة والسلام أُرسلوا لأقوامهم أي قبائلهم كما يذكر صاحب الظلال في تفسيره : فأما عاد فقبيلة تسكن الأحقاف والحِقْفُ هو كثيب الرمل المائل في جنوب الجزيرة العربية، وأما ثمود فكانت قبيلة تسكن مدائن الحِجر بين تبوك والمدينة[(٣)] ، وكذلك قوم يونس في نينوى بالموصل وقوم شعيب في مدين وقوم نوح وقوم إبراهيم بالعراق وأصحاب الرس وأصحاب الأيكة وقوم تُبَّع والمؤتفكات وهي قرى قوم لوط التي قلب الله بها الأرض فجعل عاليها سافلها.

ولما جاء الإسلام زادت تلك الأسماء بتطور الزمان فنجد الغساسنة والمناذرة والأوس والخزرج ولخم وبكر وتغلب وخزاعة وثقيف وأزد وغفار وكندة وبني شيبان .. الخ وإلى يومنا هذا نجد أسماء حتى الأفراد : فلان بن فلان المطيري والسلمي والغامدي والعتيبي والدوسري والجهني ... الخ، وكلها أسماء قبائل لم يَعْمَد الإسلام إلى

---

(١) البقرة، آية (٣٠) .

(٢) هود، آية (٦١) .

(٣) سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، ج ١٢، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي، ط أولى، ص ٤٤ و ٤٥.

مسحها كأسماء أو كعناوين دَالّة وإنما عمد إلى مسح الفهم والأفكار والاعتقادات الخاطئة والسلوك الجاهلي وأبدلهم به السلوك الحضاري والقيم النبيلة وأبقى على ما يدعو إلى مكارم الأخلاق وإلى التوحيد وغَيَّر من سلوكهم وعقائدهم وهذب طبعهم فصار وَاتِرَهُمْ إذا رأى وَلَدَ الْمُوتُور آخاه.

أراد الباحث مما سلف أن الكتابة عن القبيلة لا تعني إيقاظ نعرة الجنس وعصبية العنصر ودعوى الجاهلية وإنما تعني حياة القبيلة – أي قبيلة – في معاشها وعلاقاتها وثقافتها والنقلات التي تحدث لها وتعاملها مع صروف الدهر عموماً وانعكاس ذلك على المجتمع من حولها، وهل التاريخ إلا رصد وتسجيل تعامل الناس مع دهرهم وكيفية عمارة أرضهم والتعامل مع أحداث زمانهم والتواصل فيما بينهم، ومعرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم وسياستهم واعتقادهم وأدبهم ولغتهم؟.

كَمُّ القبائل بالصورة التي سَلَفتَ وتوزْعَهُم في الزمان والمكان أوجد لدى العرب ما عرف بعلم الأنساب .

علم الأنساب :

(إن علم الأنساب من العلوم العربية الأصيلة عرفه العرب في جاهليتهم وبعد إسلامهم لأنه يحافظ على صلات العائلة العربية ويحفظ كيانها من الضياع ويحرص على إبراز المميزات التي تتميز بها الأمة العربية وخصال الأسرة العربية وفضائلها وبيوتاتها الشهيرة واشتهر لدى العرب علماء في علم الأنساب، منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه والكلبي وابن الكلبي (١٤٦هـ- ٧٦٣م) وابن حزم وغيرهم) [(١)] .

وقد أثبت الإسلام مفاهيم جديدة للنسب كصلة الدم والرضاع وجعل منه ما يكون تَكْرِمة وما يكون بالدِّين .. فنسب الدم من القرابة القريبة ينتج عنه علم المواريث تفصيلاً من الآباء إلى الأبناء والبنات والأزواج وذوي القربى وكيفية توارث بعضهم بعضاً ، قال تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ

(١) سلمة بن مسلم، الأنساب ج ٢، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، ص ٣-٥ دار الوثائق المركزية، السودان.

وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ (٢) وتعاونهم على تحمل الديات وهو ما يعرف بالعاقلة حيث تطرح على الأهل والقبيلة، والنسب يتأثر به أيضاً النكاح حلاً وتحريماً فلا نكاح إلا بولي مع تحديد المحرمات من

النساء، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ

---

(١) من الآية ٧ إلى الآية ١٢ من سورة النساء .

(٢) النساء الآية ١٧٦.

أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [(١)] ، ... أما النسب الذي يكون تكرمة كقوله (ﷺ) (سلمان منا آل البيت) [(٢)] وهناك انتساب النبي (ﷺ) للأنصار بقوله لهم (أنا منكم وأنتم مني ولولا الهجرة لكنت رجلاً من الأنصار)، وذلك في خطبته إياهم عن اختلافهم على الغنائم في غزوة حنين. ومن أخوة الدين المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار والتي أنتجت نوعاً فريداً من الإيثار بلغ حد التنازل عن شطر الأموال والزوجات: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [(٣)] واستمر هذا الحال حتى نزلت آية الأنفال ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [(٤)] .

أهم ما يوجبه النسب صلات الرحم .. كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [(٥)] فربط صلة الرحم بتقوى الله والآيات التي تحض على صلة الرحم كثيرة، وكذلك الآثار في السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى

---

(١) النساء، الآيات (٢٣-٢٢) .

(٢) خالد محمد خالد-رجال حول الرسول – دار الفكر بيروت – ص ٥٣.

(٣) الحجرات، آية (١٠)

(٤) الأنفال، آية (٧٥) .

(٥) النساء ، آية (١) .

الله عليه وسلم قال : (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم مَحَبَة في الأهل، مَثْرَات في المال، مَنْسَأةٌ في الأجل، مَرضاة للرب) [١]، ومن أدعية العرب حتى في جاهليتهم أن يقول الواحد منهم لصاحبه في مقام الشكر (وصَلَتْك رَحِمٌ).

وأولى الأرحام بالصلة هم الوالدين﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[٢] ثم الأبناء والبنات والزوجات، (كفى بالمرءِ ظلماً أن يضيع من يعول) ثم الأخوان والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات (الأقربون أولى بالمعروف) ثم الأقرب فالأقرب من ذوي القربى والعشيرة بل والمسلمون عامة (المسلم أخو المسلم) بل عموم بني آدم ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [٣].

من الضروري بمكان معرفة نسب النبي صلى الله عليه وسلم لإكرامه وآله وإكرام كل ما يتعلق به، فَصَلاتُنَا عليه أمرٌ رباني : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [٤]. وحبنا له ولأهل بيته أمرٌ يكمل الإيمان به (لا يكمل إيمان أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، حتى من نفسه التي بين جنبيه) [٥] هكذا قال (ﷺ) لعمر، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم أصهاره فيقول: (استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم نسباً وصهراً)[٦] وهم أهل مارية القبطية أم ولده إبراهيم وكان يكرم صويحبات خديجة ويقول : (إنهن يذكرننا أيام خديجة)... وأن عائشة لتغار ... يا للوفاء لتلك الوفية التي تصلها تحيات السماء وأهل البيت هم عَقِبُها فقد ورد عن عائشة وأم سلمة (أن رسول الله (ﷺ) اشتمل على الحسن والحسين

---

(١) مسام بن الحجاج مختصر صحيح مسلم – ذكي الدين عبدالعظيم المنذري – تحقيق: الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت ط٤ ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م حديث رقم ١٧٦٢ – ص ٤٧٠.

(٢) جزء من الآية ٢٣ سورة الإسراء.

(٣) الممتحنة آية (٨) .

(٤) الأحزاب آية (٥٦) .

(٥) أحمد بن الحسين البيهقي – مختصر شعب الإيمان – مطبعة التقدم بالمنيرة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، ص ٣٦و ٤٧.

(٦) مختصر صحيح مسلم، تحقيق الألباني، ص ٤٧١.

وأمهما وأبيهما فقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيرا) [(١)]
والأمثلة في اهتمام النبي برَحِمِهِ كثيرة يُذكر منها للدلالة فقط : غضبه لبنت عمه أبي لهب حين عَيّرَها البعض بأبيها وأمها حمالة الحطب فقام مغضباً وصعد المنبر وقال: (ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي) فجعل أذاها من أذاه فانتهى الناس عن ذلك على الفور – وكذلك غضب حين وجد عمه العباس يَئِنُّ وقد شُدّ عليه قيده يوم بدر فقال : (أهكذا يُفعل بعمِ نبيكم ؟ أما علمتم أن عم الرجل صنو أبيه؟ فأرخو عنه قيوده ...وذَرفت عيناه يوم أُحُدٍ حين وجد نساء بني عبد الأشهل يبكين قتلاهن فقال : وحمزة لا بواكي له؟ فبكينه بأمر من سعد بن معاذ وأسيد بن حضير حتى بلغن باب المسجد فقال النبي (ﷺ): إرجعن فقد آسيتن بانفسكن) [(٢)] ، كذلك نهى المسلمين عن قتل بني هاشم يوم بدر فقد أُخرجوا مكرهين ولا حاجة لهم بقتال المسلمين ومعلوم أنه قد عفا عن أهل مكة حين دانت له بقوله: (ما تظنون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كريمٍ) فهم أهله وعشيرته قال: (أذهبوا فأنتم الطُلقاء)... وتلك قتيلة بنت الحارث تبعث إلى النبي تحية عتاب وتُقِرّ له بالفضل وعظيم الخُلق وتَعْجَبُ كيف لم تشفع لأخيها النضر بن الحارث – من أسرى بدر – أواصر الدم وراسخ القرابة وموقف الضعف الذي وقفه مكبلاً بالأغلال لا حول له ولا قوة فأنشأت تقول :

أمحمدٌ يا خيرضِنء كريمة * في قومها والفحل فحلٌ مُعْرِقُ

ما كانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ ورُبَّما * مَنَّ الفَتَى وهوَ المَغيظُ المُحْنَقُ

والنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أسرت قرابة * وأَحَقُّهُمْ إنْ كانَ عِتقٌ يُعْتَقُ

ظلت سيوف بني أبيه تَنُوشُه * لله أرحام هناك تشققُ

قال (ﷺ) لما بلغه هذا الشعر المُؤَثِر: (لو بلغني هذا قبل قتله لمننت) [(٣)].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبدالوهاب، ج ٨، ط ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م. ص٣٤.

(٢) محمد عفيف،مختصر سيرة ابن هشام، مكتبة المعرفة، حمص، سوريا، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة، ط ٢، ١٩٨٢م، ص ١٤٨.

(٣) محمد عبده يماني، بدر الكبرى، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، ص ١٨٤.

وأخيراً يجب أن يهتم المسلمون بمعرفة نسب قريش فهم أهل النبي ﷺ ورهطه ولهم الزعامة على قبائل العرب بل لديهم الإمامة فالأئمة من قريش قالها أبوبكر رضي الله عنه يوم السقيفة في أمر الإمارة عندما رَشَّح الأنصار سعد بن عبادة للخلافة فقال لهم أبو بكر لا يصلح هذا الأمر إلا في هذا الحي من قريش[١] – يقصد المهاجرين – نحن الأمراء وأنتم الوزراء(أي الأنصار) فأمضى سعدٌ للصديق مقالته فكانت الإمارة في المهاجرين من قريش طيلة فترة الخلافة الراشدة وامتدت كذلك في عهد الملك العضود أيام بني أمية ثم بني العباس وحتى في الأندلس بلغت الدولة أوج عظمتها في عهد الأمراء الأمويين وتضعضعت حين آل الأمر لغيرهم حتى ذهبت ريحها غير أن حديث أبي بكر الصديق لا يقصد منه كل مهاجر قرشي وإنما يقصد به القرشي الصالح للإمارة وإلا لما قال عمر رضي الله عنه حين حضرته الوفاة: لو كان سالم مولى أبو حذيفة حياً لوليته، فسالم مكيّ البيئة والثقافة مسلم العقيدة قرشي الطبع والمزاج واللغة خالص الوجدان لله تعالى وهو من الموالي ولكن عمراً الصالح الثاقب النظر يرى فيه أهلية القيادة فمن هذا الباب يرى أن ليس في شرعته عبدٌ ومولى، وسالم هو من أشراف السودان من الصحابة رضي الله عنهم، وكان يؤم المهاجرين من مكة حتى قدِم المدينة؛ لأنه كان أقرأهم، وصلى خلفه أبوبكر وعمر، وقال عمر حين حضرته الوفاة: " لو استخلفت سالماً وسألني عنه ربي عزّ وجلّ ما حملك على ذلك لقلت لربي سمعت نبيك ﷺ يقول: " يحب الله ورسوله حقاً من قلبه"[٢].

هنالك أشياء عملية أستفيد فيها من النسب فقد كان الخلفاء يحضون المسلمين على حفظ أنسابهم والتدقيق فيها فلا يطلب من المجاهد ممن لم يعرف القراءة والكتابة إلا أن يغزو وفي يده سلسلة نسبه بين أوراق المصحف والفروة للصلاة وفي اليد الثانية يحمل السيف للجهاد، وقيل أن سيدنا عمر ﷺ كان يحرص على حفظ الأنساب وهو الذي يقول (تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد إذا سئل أحدهم عن أصله قال من

---

(١) الزغبي، سير ابن هشام، مرجع سابق ص ٣١٤.

(٢) ابن الجوزي – تنوير الغبش في فضل السودان والحبش – تحقيق د. محمد بركات – ط١ ١٤١٢هـ – ١٩٩٣م، دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر – ص ٨٤.

قرية كذا) وكان عمر يقسم العطاء على حسب الأنساب القبلية وما زال العرب في السودان حتى الآن لا ينسبون إلى قراهم ومدنهم ولكن إلى قبائلهم وبطونها[(١)] .

---

(١) ضرار صالح ضرار، هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط ١، ١٩٧٧م-١٤١٨هـ ، ص ٥٣٢.

المبحث الأول

الصلة والهجرات العربية إلى السودان

أ) قبل الإسلام :

تعود الصلة بين السودان وجزيرة العرب إلى عصور قديمة إذ أن موجات كثيرة من الهجرات من شبه الجزيرة العربية اتخذت طريقها إلى وادي النيل في عصور مختلفة وخاصة عرب اليمن، فيرجع ابن خلدون هذه الصلة إلى القرن الأول قبل الميلاد ويرى محمد عوض محمد أنها ترجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد بينما يرجعها عبد الحميد متولي إلى العام ٤٢٠٠ ق،م تقريباً [١] .

أسباب الهجرة في الغالب اقتصادية لأن شبه الجزيرة العربية اشتهرت بأنها بيئة طاردة [٢] ووادي النيل منطقة جاذبة لما عرف عنه من وفرة الماء العذب والمرعى ورخاء العيش، هذا إضافة للأنشطة الاقتصادية والتجارية بين السودان وبلاد العرب، .. وطرق هذه الهجرات متعددة إما عن طريق مضيق باب المندب في أقصى الجنوب لأنه سهل العبور، علماً أن عبور البحر الأحمر في أي جزء من أجزائه لم يكن في يوم من الأيام صعباً [٣]. وطريق آخر في أقصى الشمال عبر سيناء وهو بالطبع طريق سهل يسلك فيه الناس اليابسة ولا يضطرهم إلى ركوب البحر ولكن ربما تعتريه بعض المشاكل الأمنية أحياناً، وهو طريق يربط شمال جزيرة العرب بمصر وبشمال السودان، والارتباط الجغرافي بين جزيرة العرب وسودان وادي النيل بل بشرق أفريقيا عموماً للباحث فيه نظرة واستنتاج شخصي – وربما يقول به آخرون – هو أن أفريقيا وجزيرة العرب كانت في يومٍ من الأيام براً واحداً متصلاً يجوبه السكان آنذاك دون عائقٍ مائيٍ ولكن حادث انكسار الأرض في الأخدود الأفريقي العظيم في زمان لا يُعرف على وجه التحديد ... هذا الانكسار فرّق الجمع الواحد إلى فريقين بعضهم شرقية والآخر غربية،

---

(١) بابكر فضل المولى، مظاهر الحضارة في دولة الفونج، دار السداد، ط ١، ٢٠٠٤م، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة ، ص ٢٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨.

فتجد أهل الساحل في أفريقيا مثلاً قبيلة ساهو في إرتريا يشبهون أهل اليمن بل هم يمن[١] مما يعضد نظرة الباحث سالفة الذكر، ولربما يقول قائل أن أهل اليمن وحضرموت أصلاً أهل تجارة يجوبون البلدان بتجارتهم وقد أثَّرُوا في كل الشاطئ الشرقي لأفريقيا والغربي للبحر الأحمر إلى وادي النيل والدليل وجود قبيلة أصلها يمني هي ساهو إلاَّ أن ذلك لا ينفي استنتاج الباحث السابق وإن بَعُد في غياهب التاريخ وبذلك تكون الصلة بين شبه الجزيرة العربية ووادي النيل صلة قديمة جداً قدم التاريخ ، خاصة وأن السودان يواجه شبه الجزيرة العربية لا يفصله عنها إلا البحر الأحمر.

وإذا رجعنا إلى قصص الأنبياء وجدنا أن أم العرب هاجر من بلاد النوبة وكذلك أم موسى عليه السلام من بلاد المحس واسمها صفورة وقد أفاد الباحث أحد الأخوة من جزيرة بدين في منطقة المحس أن جداتهم المباشرات ما زلن يحملن هذا الاسم (صفورة)[٢].

تشير بعض المصادر إلى وجود تشابه بين تاريخ سبأ اليمنية وتاريخ سوبا من ولاية الملكات على العرش ونظام المعابد القديمة قبل الإسلام [٣]، وقد شاهد الباحث ندوة في تلفزيون السودان لبعض المؤرخين يقولون أن اسم سوبا ما هو إلا تحوير لكلمة سبأ وأن من أطلقه عليها هم مهاجرون يمنيون بعد إنهيار سد مأرب.

الصِلات هذه والهجرات مهدت الطريق للهجرات اللاحقة بعد الإسلام وسهلت عوامل الصلة بين السودان وبلاد العرب مما أنتج إنقلاباً كبيراً وتلاقحاً في الحضارة وتمازجاً في السكان .

---

(١) مقابلة شخصية مع ليلى وحنان سليمان من قبيلة ساهو الأرترية بمربع (٩) الحاج يوسف في يناير ٢٠١٠م.

(٢) المستشار طارق عبدالفتاح، نائب، نقيب المحامين في السودان (مقابلة شخصية) بمسجد مدينة المهندسين ٢٠١٣م.

(٣) بابكر فضل المولى حسين، مظاهر الحضارة في دولة الفونج، مرجع سابق، ص ٣٧.

ب) الهجرات العربية إلى السودان بعد الإسلام :

للحديث عن هذا الأمر فلابد أن نشير سريعاً إلى أن العلاقات بين مصر والسودان بدأت منذ الأسرات الأولى في تاريخ مصر القديم .. بدأت تجارية ثم تطورت إلى اندماج في عهد مملكة كوش حتى تسمى ملوك كوش بملك كوش ومصر [١]، وامتد نفوذ الكوشيين إلى جنوب الخرطوم شاملاً أرض البطانة شرقاً[٢] وقد نقلوا معهم جوانب من الحضارة المصرية إلى القارة الأفريقية وهو ما عرف في التاريخ بالحضارة المروية والتي عرفت تصنيع الحديد وتطوير طرق الري حتى قيل أنهم أنشأوا قناة تربط نهر القاش بنهر عطبرة ولكن لم نجد لذلك أثراً على الأرض .. ولكن سرعان ما تدهورت الحضارة المروية وقضى عليها عيزانا ملك أكسوم الحبشية [٣]، وتلى ذلك فترة غموض أعقبها دخول المسيحية في السودان .

بعد مجيء الإسلام وظهوره على جزيرة العرب دخل عمرو بن العاص مصر فاتحاً في العام ٦٣٩م في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووجد دولتين مسيحيتين في السودان هما المقرة وعاصمتها دنقلا العجوز وعلوة وعاصمتها سوبا وقد هادنهم عمرو بن العاص، وفي العام ٣١هـ - ٦٥٢م في خلافة سيدنا عثمان بن عفان حاصر عبد الله بن أبي السرح دنقلا وعقد مع ملكها قليدوروث صلحاً هو ما عرف باتفاقية البقط – يقول مكي شبيكة لعلها تعني كلمة PAETUM الرومية وتعني الاتفاقية [٤]، وعلم الباحث من أحد الدناقلة أنها في رطانتهم تعني القسمة والباحث يميل لهذا التفسير فهم المعنيين بالاتفاق لا الروم، أحد بنود هذا الاتفاق يسمح للعرب باجتياز بلاده لأغراض التجارة عابرين غير مقيمين فكانوا يجتازون جنوباً إلى أواسط السودان حيث نفوذ مملكة علوة ففيها متسع للجميع والأراضي فسيحة والمراعي متوفرة وكلما ذهب فريق واستقر تبعه فريق آخر فأرض الله واسعة، وكذلك لم تكن هناك

---

(١) مكي شبيكة، تاريخ شعوب وادي النيل، ط ٢، ١٩٨٠م، ص ٣١٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٣١٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٣١٤.

(٤) مكي شبيكة، السودان عبر القرون، ط ١، ١٩٦٧م، ص ٣٠.

ضـرورة لاشـتباك أو حـروب مـع مملكـة علـوة واعتنـق النوبـة الإسـلام وسـادت اللغـة العربيـة، حتـى إذا مـا أهـل القرن السـادس عشـر المـيلادي وجـدنا السـودان الشـمالي والأواسط يسيطر عليها الدين الإسلامي [١]، بعد أن رحل إليه العرب من مصر في قبائل وبطون بأغنامهم وإبلهم تحت راية الإسلام فأرض مصر لم تكن لتتحمل قبائل كثيرة في حالة من البداوة . ذُكِرَ أنها أكثر من أربعين قبيلة عربية مسلمة [٢]، وكذلك مراعيها لا تتحمل لذا نجد أن المماليك من حكام مصر منذ عهد الطولونيين قد ضاقوا ذرعاً بهؤلاء العرب فاضطروهم إلى الهجرة جنوباً إلى السودان للتخلص مما سببوه لهم من ضيق، فساح هؤلاء في الأرض بحثاً عن الماء والكلأ لأنعامهم وبعد أن استقر بهم النوى عمدوا لـلأرض الصـالحة للزراعة فعمروها لتأمين معاشهم ... دخول هؤلاء في شكل قبائل ومجموعات ربما يكون القصد منه الحماية والمنعة والدفاع عن النفس من أخطار قد تواجههم، فمن هذه القبائل كما يورد الشيخ عبد الله عبد الرحمن الضرير نقلاً عن المقريزي وابن خلدون والقلقشندي والمسعودي عن طريق البحر الأحمر : جهينة، بلي، بهراء، ربيعة بن نزار، قحطان . وعن صعيد مصر : قريش، الأنصار، جهينة، فزارة، هوارة، بنو هلال بن عامر، بنو لخم بن عدي وجزام، (رفاعة ونائل وبنو هلبة)، بنو تميم بن مرة، بنو شيبة، بنو أسد، بنو زهرة، بنو مخزوم، بنو الزبير بن العوام، كنانة، بنو مسلمة بن عبد الملك، بنو خالد بن يزيد بن معاوية، بنو عسكر مولى عبدالملك بن مروان، ثعلبة، وبلي ومزينة، بنو دراج، ومن بلاد المغرب بنو فهم، بنو علوان، سليم، هوارة، بنو هلال، بنو عبس، بنو الشريد، بنو ذبيان بن مالك، غزيّة رهط دريد الشاعر، سلول، بنو مرة، فزارة، رواحة هيت، جزام وبنو جشم[٣]، وأغلبها في السودان لا تزال بأسمائها العربية مما يدل دلالة واضحة على أنهم محافظون على أنسابهم بغض النظر عن أوراق النسبة التي تُدْلِي بها كل قبيلة منهم[٤].

---

(١) مكي شبيكة، تاريخ شعوب وادي النيل، مصدر سابق ، ص ٣١٧.

(٢) ضرار صالح ضرار، هجرة القبائل العربية وادي النيل ، مصدر سابق ، ص ٢٩.

(٣) عبدالله عبدالرحمن الضرير، كتاب العربية في السودان، ج ١ ص ١١.

(٤) عبدالله عبدالرحمن الضرير، المصدر السابق، ص ١١.

كَمُّ القبائل المهاجرة للسودان بالصورة التي ذكرها الضرير كما سبق في رضاء سكوتي من أهل علوة .. أثر هذا الكم الهائل على ميزان القوة في الجانب العقدي والبشري فنضبت مصادر التبشير المسيحي من مصر مما عجل بنهاية المسيحية في مملكتي المقرة وعلوة خاصة وأنه قد أعتلى عرش المقرة حاكم مسلم في العام ١٣٢٣م [١] فساد بذلك الدين الإسلامي واللغة العربية السودان الشمالي كله وغربت شمس نفوذ ملوك النوبة وأعقب ذلك فترة ضعف توعوي وصفها مكي شبيكة بقوله : (أما الجهات التي تقع إلى الشمال من منطقة أعالي النيل الأزرق حتى الحدود في دنقلا وفي الجزيرة والبطانة فالسيطرة فيها للقبائل العربية والمجتمع قائم على أساس القبيلة فهي الوطن الصغير فأصبحت كل قبيلة لها دارها وموطنها أو شقتها التي تحميها، إلا أن القبائل العربية ومن أعتنق الإسلام من السكان الأصليين لم يكونوا على علم تام بمبادئ الإسلام ولا غرابة في ذلك لأنهم عرب رُحل في بداوة ولم يكن معهم رجال دين يرشدونهم ولا علاقة قوية تربطهم مع مدارس العلم والعلماء في مصر لأنهم انساقوا وراء المرعى والماء مع إبلهم وأغنامهم) [٢]، غير أن صورة الجهل هذه ليست بالقتامة التي أوردها ود ضيف الله في طبقاته إذ جردهم حتى من المعلوم من الدين بالضرورة حين يقول : (إن الرجل يطلق امرأته ويتزوجها غيره في نهاره بدون عدة) [٣] .. قد يفعل ذلك الداخل لتوه في الإسلام من أهل المنطقة، ولكن أن يفعل ذلك من جاء مهاجراً تحت راية الإسلام ففي ذلك مبالغة تشبه الكثير مما كتبه ود ضيف الله وتعميم لا يقبله عقل (ولذلك لم تمكنه القبيلة موضوع هذا البحث من شيء يكتبه عنها) [٤].

---

(١) ضرار صالح ضرار، هجرة القبائل العربية إلى وداي النيل ، مصدر سابق، ص ٢١٥، إضافة لأرنولد ، الدعوة للإسلام، ص ١٣٢.

(٢) مكي شبيكة، تاريخ شعوب وادي النيل، مصدر سابق ص ٣١٧.

(٣) يوسف فضل حسن ، تحقيق كتاب الطبقات لود ضيف الله ، وثيقة رقم ١، ط ٣، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ص ١.

(٤) صالح موسى علي، أستاذ الإعلام بجامعة السودان ، مقابلة شخصية بمنزله بقرية المحمدية غرب جبل الأولياء أبريل ٢٠١٥م.

وُصِفَت تلك الفترة إخباراً عن ابن بطوطة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، أن ملك دنقلا قد دخل الإسلام وأن المملكة النوبية المسيحية قد صارت إلى الزوال لظهور الانقسامات الداخلية وهجمات القبائل العربية والأفريقية على حدودها، وأخيراً لقيام دولة الفونج القوية في القرن السادس عشر الميلادي[(١)] وقيام الدولة لا يكون من فراغ فلابد من فترة تهيئة وإعداد: (ولكن من الجائز أن الإسلام في هذه البلاد كان يلقى خلال ذلك الوقت رواجاً على أيدي التجار وغيرهم من المسلمين الذين يترددون عليها) [(٢)]، ويظهر أن النوبيين قد إنساقوا من المسيحية إلى الإسلام بالتدريج في بطء شديد[(٣)]، مما مهد لقيام دولة الفونج .

في العام (١٤٢٣م – ٨٢٥هـ) [(٤)] والحال في السودان كما سبق حلّ به قادماً من العراق الشريف محمد السائح بن عبد الله من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب من جهة القاسم بن إسحاق بن موسى الكاظم (أنظر النسبة بالملاحق).

هجرة السائح إلى السودان هي قطعاً سياحة في أرض الله الواسعة وطلباً لحرية مضيق عليها بما يوافق تعبير الشاعر المسلم الشهيد هاشم الرفاعي في قصيدته في ليلة التنفيذ المترعة بكأس المعاني وهو في سجن جلاديه في مصر عام ١٩٥٤م :

أنا إنما أهوى الحياة كريمة ** لا قيد لا إرهاب لا استخفاف بالإنسان

لقد غدا هؤلاء الأكارم في ظل الملك العضود أيام بني أمية ثم بني العباس كالأيتام في مائدة اللئام .. فبعد أن كانت الخلافة الراشدة أبوة محبة ورياسة حانية ورباطاً بالأَتْباع والأعوان على إنجاح رسالة وحماية دعوة وكان الخليفة من أكفأ رجال الأمة وأقدرهم على قيادتها وأن الشورى كانت مرعية فلا افتيات ولا استبداد ولا استعلاء وأن يد الخليفة في المال العام كانت مغلولة وأن العمل بالإسلام وله في الداخل والخارج كان شغله الشاغل ويمكن القول أن الدولة في صدر الإسلام كانت الوجه

---

(١) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين، وإسماعيل البجراوي ، ١٩٧٠م، ص ١٣٢.
(٢) المصدر السابق، ص ١٣٢.
(٣) المصدر السابق، ص ١٣٢
(٤) الوسيلة، الدرر البهية، ص ١٠.

الجميل للرسالة الإسلامية وللأمة ولكن سرعان ما غلبت النزعات البدوية والعصبيات العائلية على نظام الخلافة مما خلق شروراً كثيرة لعل من بينها رَخْصُ الكفاءة العلمية والخُلُقِية والإدارية في أسواق التعامل [١] فانحلت بذلك عروة الحكم وظهرت المأساة مع مر الزمان وترادف البلاء وشيخوخة الدولة .

تلك الأوضاع جعلت الكثير من آل بيت النبوة يهجرون مواطنهم الأصلية في الحجاز والعراق ويسيحون في أرض الله الواسعة في مشارق الأرض ومغاربها فنجدهم حتى في مجاهل أفريقيا في الكنغو كما نقل للباحث أحد الأخوة عن أحد أشراف مكة[٢] وما دام ذلك، كذلك فمن باب أولى أن يلجأوا إلى السودان من أوسع أبوابه لقرب المكان وسهولة الوصول إليه وأن الهجرات العربية الكثيفة إليه قد مهدت للاستقرار فيه لذلك كان الشريف محمد السائح كما أسلف الباحث من هؤلاء المهاجرين وسيكون هو وسلالته من بعده محور هذا البحث إذ من نسله الشريف تناسلت قبيلة المحمدية موضوع هذا البحث ومنه أخذت اسمها ورسمها وكان مجيئه للسودان قبل نيف وثمانين عاماً من قيام السلطنة الزرقاء أي في فترة المخاض الذي أعقبه ميلاد هذه الدولة المباركة [٣].

المبحث الثاني

المحمدية الاسم والنشأة

ينسب المحمدية لجدهم الأول في السودان الشريف محمد بن عبد الله بن محمد بن عوض الكريم بن موسى بن السيد محمد بن السيد إبراهيم بن السيد محمد بن السيد الحاج عبد الله بن السيد زين العابدين بن السيد حامد بن السيد يوسف بن السيد محمد بن السيد عبد الوهاب بن السيد الحاج موسى بن السيد عبد الرحيم بن السيد القنديل بن

(١) محمد الغزالي، سبب تأخر العرب والمسلمين، دار نهضة مصر ، ط ثانية ، أغسطس ١٩٩٦م، ص ١٢.

(٢) مقابلة شخصية بين مجدي محمد إدريس والسيد الجفري، أمين المكتبة بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة عام ٢٠٠٠م.

(٣) بابكر فضل المولى حسين، مظاهر الحضارة في دولة الفونج، مصدر سابق، ص ١٨٥.

السيد القاسم بن السيد إسحاق بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد علي زين العابدين بن السيد الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (زوج الزهراء رضي الله عنها) [١] .

ومعلوم أن السيد محمد الأول قدم إلى السودان من العراق في العام ١٤٢٣م[٢] إضافة لأربع وثائق أخر إحداها أوردها الوسيلة، وأخرى وُجدتْ في حرز أحفاد الفكي عبد الله ود حجاز المتوفى في العام ١٩٦٧م

وثالثة من كتاب الكريل الحقيقة الغائبة [٣] نقلاً عن الشيخ محمد سعيد الشيخ صالح بن الأستاذ محمد شريف نور الدائم أما الوثيقة الأخيرة فهي وثيقة مؤرخة بتاريخ ١٨ شعبان ١٣٩٦هـ الموافق ١٥ أغسطس ١٩٧٦م عن مخطوطة قديمة بنوري في حرز السادة العراقاب [٤] وبمضاهاة هذه الوثيقة مع الأربع الأخر التي سبق ذكرها وجدنا فيها فقط بعض التكرار في القليل من الأسماء وبسحب الأسماء المكررة تطابقت مع الوثائق سالفة الذكر وعمدتها وثيقة ود رحمة. (أُنظر وثائق النسب بالملاحق).

الشريف محمد السائح الذي عايش فترة المقريزي دخل السودان في العام ١٤٢٣م أي بعد وفاة ابن خلدون بسبعة عشرة عاماً في العام ٨٠٨هـ - ١٤٠٦م[٥] .. إلى أن وصل إلى مكان يدعى بئر سرار شمال شرق بارا [٦] لتبدأ من هنا صلته بالمصاهرة مع الكواهلة ووارد أن يكون قد صحبهم في هجرتهم من سواكن إلى هنا حيث امتدت مساكنهم بعد ذلك إلى شرق النيل الأبيض حتى الجزيرة وجنوباً حتى حدود الجِمِع في منطقة الشوّال على النيل الأبيض وغرباً إلى شرق كردفان وشغل أبناء هذا الشريف من هذه المساحة أقصى شمال أرض الكواهلة حول جبل الأولياء وانداح بعضهم مع

---

(١) وثيقة من حرز الشيخ محمد بن رحمة، المتوفى في العام ١٩٦١م بقريته سقدي بغرب سنار.

(٢) الوسيلة قسم السيد، مخطوط الدرر البهية ص ١٠.

(٣) النور إبراهيم البشير، الكريل الحقيقة الغائبة، الخرطوم، مطبعة الشلالي، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ١٧.

(٤) النسخة الأصلية كتبها المؤرخ المقريزي ٧٦٦هـ- ٨٤٥هـ/ ١٣٦٤هـ- ١٤٥٤م (موضح ذلك بالوثيقة) .

(٥) عبدالرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط ١، دار الهيثم ، القاهرة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص ١.

(٦) الوسيلة قسم السيد، الدرر البهية، ص ١٠.

أخوالهم الكواهلة إلى جنوب النيل الأبيض وفي الجزيرة وإلى سنار وسنجة والدمازين ومع نهري الدندر والرهد إلى حدود الحبشة[١].

دخول محمد السائح إلى السودان لا يُعلم عن أي طريق ولكن من المرجح أنه كان عن طريق البحر الأحمر إلى سواكن من منطقة جدة ولتقريب إمكان صحة هذا الافتراض ينبغي التعرض لأماكن تواجد الأشراف من ذرية السبطين الحسن والحسين شرقي البحر الأحمر في الحجاز وغربية في شرق السودان ومَهَاجِر بعض القبائل العربية كبني كاهل الذين صاهرهم وعايشهم فيما بعد وغَدَت ذريته فيهم ومنهم ومعهم، يذكر ماكمايكل أن قبيلة الكواهلة قد دخلت السودان عن طريق البحر الأحمر[٢] وقطنوا المنطقة حول سواكن منذ العام ١٣٥٣م ناسباً ذلك لابن بطوطة بينما يورد ضرار صالح ضرار ان ابن بطوطة قد وجد سواكن تحت حكم الأشراف العلويين الذين يحكمون مكة المكرمة وكان أميرها في ذلك الوقت زيد بن أبي نمي وكان أبوه أمير مكة وأخواه أميريها بعده وهما عُطَيفة ورُميثَة ويضيف أن هذا الشريف قد شجع الكثير من أبناء كاهل على الرحيل إلى شرق السودان زيادة على من كان منهم هناك من قبل ولكن ما لبث أن انتقل بعض الكواهلة من منطقة سواكن والبحر الأحمر وهاجروا إلى حوض النيل الأبيض فاستوطنوه حتى تخوم كردفان[٣]

ما يهمنا من رحلة الكواهلة إلى النيل الأبيض أنه من المُرَجَّح جداً أن يكون الشريف محمد السائح في معيتهم من سواكن عبر النيل الأبيض حتى بئر سرار شمال شرق بارا فكانوا له من بعد نسباً وصهراً وكانت ذريته منهم عضداً ونصراً لهم فقد شغلوا أقصى شمال دار الكواهلة وهي مساكنهم الحالية حول جبل الأولياء (أنظر الخريطة بالملاحق) فاستعصت على جيرانهم من الشمال والشمال الشرقي من الجموعية والعوامرة أن يخترقوها فأطلق عليهم شيخ الكواهلة شلعي أبو العافية اسم

---

(١) الخرطة بالملاحق توضح انتشارهم وأماكن سكنهم.

(٢) هارولد ماكمايكل ، تاريخ العرب في السودان، ط ١، ط ١، مارس ٢٠١٢م، تعريب سيد محمد علي ديدان، مركز عبدالكريم ميرغني ، السودان ص .

(٣) ضرار صالح ضرار، هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل ، مصدر سابق، ص ٣٨٤.

(دريقة البلاء) .. تصغير درقة فهو تصغير للتعظيم للدور الكبير الذي يقومون به رغم قلة العدد نفسه والدرقة هي ما يُتَّقى به شر العدو فاستخدمه شلعي مجازاً إذ كان المحمدية قدر التحدي في حراسة البوابة الشمالية مع الجموعية والشمالية الشرقية مع العوامرة ومع هؤلاء الأخيرين دارت معركة حامية الوطيس انتصر فيها المحمدية نصراً مؤزراً [١].

لعله من الملاحظ أن ود ضيف الله في طبقاته لم يتحدث عن المحمدية أصلاً رغم قربهم من العاصمة ومن مكان سكنه في حلفاية الملوك ولكن بالبحث وجد الباحث (أنه قد زارهم بالفعل وأكرموه كضيف أيّما إكرام ولكن لما كشف لهم عن الغرض من زيارته وهو كتابة تاريخهم ازدروه واستكثروا عليه أن يكتب تاريخهم مثله رغم أنه حاول أن يثبت لهم أنه جَعَلي وأنه أهل لذلك ولكنه لم يخرج منهم بشيء)[٢]، ومن الموافقات العجيبة أنه ذهب إلى الشمال إلى منطقة الشايقية فاتصل على أحفاد الشيخ أبو القاسم العراقي ابن بطران وهم من المحمدية أصلاً لنفس الغرض، ولما كان جُلُّهم من علماء المنطقة اشترطوا عليه أن يختبروه في مسائل فقهية فلما لم يوفق إلى الإجابة الصحيحة لم يعطوه شيئاً فكتب عنهم ما يشبه الهجاء أنهم لم يستضيفوه ولم يكرموه – ولكن الحقيقة هي ما ورد سالفاً[٣] ولكن (يقال أنه كتب في مذكراته السرية منصفاً لهذه القبلية) ولكن لم نجد من يدلنا عليها[٤].

الشريف محمد بن عبد الله كما أسلف الباحث قدم للسودان من العراق في العام ١٤٢٣م تقريباً وأخذ اسم السائح كَجَدٍ له من قبل وصادف هنا مُقبِل جد العركيين ومحمد فكرون[٥] وهذا الأخير من البيت الطالبي من ذرية العقيل شقيق الإمام علي[٦]،

---

(١) محمد إدريس حجاز (والد الباحث)، مقابلة شخصية بمنزاهم بالقراصة ١٩٧٠م.

(٢) صالح موسى علي من المحمدية، أستاذ الإعلام بجامعة السودان (مقابلة شخصية) بمنزلهم بالمحمدية غرب جبل الأولياء أبريل ٢٠١٥م.

(٣) السر العراقي (مقابلة شخصية بمنزله) بشرق النيل الأزرق شمال كبري المنشية (الأندلس) يناير ٢٠١٥م.

(٤) صالح موسى علي (مقابلة شخصية بمكتبه) بجامعة أم درمان الإسلامية، مايو ٢٠١٤م .

(٥) الوسيلة الدرر البهية ص ١٠.

(٦) عبدالمحمود الكرنكي ، رئيس صحيفة الصحافة (مقابلة شخصية) بمنزل عزاء بالحلفايا مارس ٢٠١٤م.

والعقليين هم من نسل محمد بن عقيل وانتشروا في الحجاز والعراق والشام وفارس والهند وأفغانستان وليبيا ومصر والسودان وكان أكثرها أيام هجوم التتار على بغداد[1]. جلس مُقْبِل وفِكْرونا للشريف محمد السائح لأخذ العلم عنه، فدرسا عليه الفقه قليلاً ثم نصحهما بالذهاب إلى فأس لحفظ القرآن وزيادة العلم معتذراً بأنه مازال في حالة سياحة وبما أن ثلاثتهم ينتهون إلى نسب واحد فلربما يكون هنالك معرفة وتواصل قَبْلِي، عمل الرجلان بنصحيته وذهبا بالفعل إلى دار فأس وبعد عودتهما وجداه قد تزوج وحيدة إخوانها أم الحسين بنت أبرق ود كاهل وبعد الدخول بها ذهب في سياحته وترك زوجته وفي غيابه أنجبت زوجته مولوداً ذكر سماه جده لأمه على أسم خال لهذا المولود يُدعى حسب الوالي. وقد تربى حسب الوالي وسط أخواله، من الكواهلة البراقنة علماً بأن النسبة المأخوذة من الشيخ محمد ود رحمة تثبت له أخوان آخران هما عبيد الله والحاج إبراهيم، وتدعم هذه المعلومة النسبة التي أحضرها الفكي عبد الله ود حجاز المحمدي السماعابي من حرز الشيخ دفع الله المصوبن الذي عاش في أواخر القرن السابع عشر الميلادي كما علمت من أحفاده العركيين وتزيد هذه النسبة أن لعبيد الله ولدان هما محمد وموسى وللحاج إبراهيم ثلاث أولاد هم محمد وأحمد وعبد الغفار ويذكر لحسب الوالي ولدين فقط سماهما بمحمد وعوض الكريم (أُنظر: وثيقة رقم (٤) بالملاحق) بينما تذكر نسبة ود رحمة الحسب الوالي سبعة أولاد هذين الاثنين والخمسة الباقون. ويكون السبعة هم: حمد وعوض الكريم، وحماد وحسن وسِرِير وإبراهيم وأحمد شبيل وهذا هو المشهور بل هو الأصح لوجود ذراري لهذه الأسماء جميعها... هذا ما انتهى للباحث من سيرة الشريف محمد بن عبدالله (السائح) ومن هنا نغادر محطته لنسير مع ذراريه في الدهر من بعده علماً بأن وثيقة ود رحمة تبرز أن لمحمد السائح هذا أخوة أشقاء من أبيه عبد الله وقد غدا لكل واحد منهم قبيلة باسمه وهم، مُرْقَم جد المرقوماب وعلى كمال جد الكمالاب وأحمد كميل جد الكميلاب بينما قبيلة أخيهم محمد حملت اسم المحمدية ولعل لفظ آب يدل على أنهم بقوا في الشرق

---

(١) ضرار صالح ضرار، هجرة القبائل العربية، ، ص ٣٨٢-٣٨٣.

كثيراً.. ولا ندري هل أتوا مع أخيهم محمد السائح سوياً ويبدو أنه أكبرهم أم لحقوا به من بعد والكمالاب بالذات يقولون بشرف نسبهم ولهم ذلك فالناس مؤتمنون على أنسابهم ويربطون نسبهم بجعفر الصادق ووثيقة ود رحمة (رقم (١) ورقم (٢) بالملاحق) تجعلهم أشقاء للمحمدية والكميلاب والمرقوماب وتوصلهم بطريق سالكة إلى جعفر الصادق وتثبت لهم نسبهم الشريف إلا أن بعضاً منهم نحا- ربما ابتعاداً عن نسبتهم للكواهلة التي اشتهروا بها، للوصول إلى جعفر الصادق عن طريق الحسن العسكري كالذي ورد في مخطوط ميسور الرقيم في شيء من سيرة الوالد مدثر إبراهيم، أحد كتاب الخليفة عبد الله وحافظ ختمه[(١)].للشيخ الورع العالم مجذوب مدثر الحجاز وهو نسب مكتوب من والده ولكن شيخ مجذوب احتاط لنفسه بقول والله أعلم بحقيقة الحال[(٢)]. والإمام ابن حزم الأندلسي يقول في كتابه جُمهرة أنساب العرب[(٣)]: أن الحسن بن علي الهادي (يقصد الحسن العسكري) هو آخر أئمة، الرافضة ولم يُعْقِبْ، ويقول إدَّعى الرافضة أن جاريةً له أسمها صَقِيل ولدت منه بعد موته وهذا كذب وجرت في ذلك خُطُوبٌ طِوَالٌ، وأضاف بعضهم أنه لم يُعْقِبْ (وورثه، أخوه جعفر وأخته حكيمة)[(٤)] (ولجعفر هذا أثني عشر ولد) وأورد أبن حزم قائمة بولد موسى بن جعفر (يعني موسى الكاظم).

١/ على الرضا وله ولدان: ١/ على بن على لم يُعْقِب [ومحمد بن علي (الجوَّاد) صهر المأمون وَلِدَ (موسى الذي وَلِدَ (علياً وأحمد) ثم علياً (الهادي) الذي وَلِدَ الحسن العسكري آخر أئمة الرافضة ولم يُعْقِب وجعفر (له ١٢ ولد)].

٢/ زيد النار له أحد عشر ولداً.

٣/ إبراهيم له ثمانية أولاد (كان لأحدهم واحداً وثلاثين ابناً ذكراً).

٤/ حمزة له ثلاثة أولاد.

---

(١) حياتي بابكر بدري تحقيق على بدري (ﷺ) ٣١٨.

(٢) مجذوب مدثر، ميسور الرقيم، (ص٨) .

(٣) ابن حزم، جُمهرة انساب العرب، الصفحات (٦١- ٦٥) دارالوثائق ٢٥٢٣ ط٢، ١٩٦٢م/ ١٣٨٢هـ.

(٤) الشريف محمد خير – مقابلة تلفزيونية بقناة طيبة بالخرطوم ٢٠١٤م.

٥/ هارون وله ولدان.

٦/ عبد الله وله خمسة أولاد.

٧/ الحسن وله ثلاثة أولاد.

٨/ إسماعيل وله ثلاثة أولاد.

٩/ جعفر وله خمسة أولاد.

١٠/ محمد وله ثلاثة أولاد[١].

١١/ أسحق وله عشرة أولاد . (وهم محمد وموسى ويحيى وأحمد وعلي وعلي آخر والحسن والحسين والعباس والقاسم ومن سلالة القاسم بن اسحق هذا جاءت قبيلة المحمدية في السودان بعد أن هاجر إليه سليله محمد بن عبد الله كما ورد سابقاً وبعضهم يختلط عليه الأمر بين أسحق الأمين هذا وبين عمه اسحق المؤتمن شقيق موسى الكاظم الذي أقام في مصر وتزوج من سلالة الحسن السبط السيدة نفيسة).

١٢/ عبد الله له عشرة أولاد.

١٣/ العباس له خمسة أولاد.

وآخرون لم يُعْقبُوا[٢] انتهى كلام ابن حزم وهو بلا شك إمامٌ يُعتَدُّ بقوله ومذهبه إضافة إلى أنه من علماء النسب المعدودين وبما أنه من أئمة الفقه والاجتهاد فإنه لابد أن يتحرى الحق فيما يقوله والله أعلم بحقيقة الحال كما يقول الشيخ مجذوب مدثر.

عوداً لذراري محمد بن عبد الله السائح يبدأ الباحث بخطة ثلاثة – سبعة – خمسة– (أُنظر الوثيقة رقم (١٣) ص ٢٠٥) فالوثائق تفيد أن لمحمد ثلاثة أبناء ويؤكد ذلك أيضاً النقل الشفاهي المتواتر وهم بالترتيب حسب الوالي وعبيد الله والحاج إبراهيم والملاحظ من كتب المؤرخين، أن هذين الاسمين الأخيرين، يكثر التسمي بهما في ذرية الإمام علي بل وفي ذرية العباس بن عبد المطلب فنجد عنده عبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس أي هي من أسماء بني هاشم على العموم.

(١) ابن حزم، جُمهرة انساب العرب، دارالوثائق ٢٥٢٣ ط٢، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٠م ص (٦١-٦٠).

(٢) ابن حزم، جُمهرة انساب العرب، دارالوثائق ٢٥٢٣ ط٢، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٠م ص (٦١-٦٠). مصدر سابق.

أبناء عبيد الله بن محمد السائح أشتهروا باسم العبيدللاب وأماكن سكنهم ريفي المناقل وريفي سنار في قرى كتوشة (أسسها أولاد عبودي جبل اللقمة) وهم أولاد عبد الله الأصم بن موسى بن عبيد الله، والرانجوك، والتبلدية (أسسها أولاد خير الله محمد بن خمجان. منهم ود أبو نار وشوك الدرين) وقرية الهجاناب جنوب غرب سنار ومرزوقة (أسسها أولاد بركول) [١].

أبناء الحاج إبراهيم اشتهروا باسم الحاجاب وسكنهم في كرري والمُجَمع (شرق الهشابة ناس الفكي حامد ود الجزولي) وفي مريحلة ومع ود رحمة في سقدي وفي مبروكة (محمد عبد الرحمن الجزولي) وفي أبشوك قرب الدويم (ناس الفكي حامد ود الجزولي وقبلها كان يسكن الدَبّة على البحر غرب القَراصة التي هي نفسها كانت تسمى بها الحلة الدبة أو دبة الجزولي)، وقد تعرض شيخ الجزولي لحسد من الفقرا (ناس الفكي إدريس تمساح التُرُك) (وهذه تسمية الإمام المهدي له) [٢] وهم يسكنون قرية أمان ٤ كيلو شمال القراصة وأسمها الآن الدرادر وهم أخوال المحمدية أولاد حجاز في تلك المنطقة وقد شارك حجاز هذا مع أخواله في واقعة شيكان ضمن مجموعة الفكي إدريس تمساح الترك وبعد المهدية، أصبح هو شيخ عموم المحمدية شرق النيل الأبيض وغربه في تلك المنطقة من قِبَل العمدة النعيم ود الكريل وتفصيل ذلك سيأتي في مكانه من البحث[٣]. أما شيخ الجزولي ود أحلب شوف فقد كانت قصته مع أولئك الشيوخ أن قوافل الضيوف القادمة من الجنوب كانت تنتهي عنده دونهم وأشْتُهِر لاكرامه للضيوف مما آثار في الفقراء غِيَرةً جعلته يفارق المكان فإن للشيوخ مكراً كان يستعيذ منه العلامة الكبير الدكتور عبدالله الطيب بفكاهته المعهودة بقوله: أعوذ بالله من مَكْرِ الشيوخ ، فترك شيخ الجزولي المكان ونزح إلى مكانه الحالي أبشوك قُرب الدويم[٤].

---

(١) أحمد عبدالمحمود محمد رحمة، مقابلة شخصية بالهاتف السيار، شهر يوليو ٢٠١٤م.

(٢) محمد إدريس حجاز (والد الباحث) مقابلة شخصية بمنزلهم بالقَراصة ١٩٧٠م .

(٣) محمد إدريس حجاز، حفيد الشيخ حجاز وفي سلسلة من تولى الشياخة بعده. مقابلة شخصية بمنزلهم بالقراصة ١٩٧٠م.

(٤) أحمد من سلالة شيخ الجزولي بزريبة الحطب بالعباسية أم درمان (مقابلة شخصية) مارس ٢٠١٤م .

أما ثالث الثلاثة من أبناء محمد بن عبد الله كما سلف فهو أخوهم الأكبر حسب الوالي وأكثرهم ذرية فأبناؤه المباشرون دون الأحفاد سبعة هم: (عوض الكريم فيل وحماد وحسن وسرير وإبراهيم وأحمد شبيل وحمد).

فأما عوض الكريم فذريته في الموطن الأصلي تسكن قرية الفيلاب شمال جبل أولياء، وفي الصعيد توجد منهم حول سنجة قبيلة محمدية بحالها يُسَمون أولاد الجلال، يرجع نسبهم إلى عوض الكريم فيل.

أما حمَّاد فسلالته المحمدية الحماداب يوجدون في الصعيد في قرية عكاشة في سنار جوار العركيين عبد الرافع والمتواتر في أخبار القبيلة أن الشيخ إبراهيم الكباشي من ذرية حَمّاد هذا. ومن القرائن الدالة أن العارف بالله الشيخ محمد ود رحمة المشهور بسقدي قد وُلِدَ في منطقة الكباشي هذه وهاجر منها إلى موطنه الحالي مما يدل أن هنالك صلة ما رغم أن البعض يقول أن الكباشي عركي لوجود فرع لديهم باسم الحمّاداب، وبعضهم يقول أنه جعلي أو بطحاني وآخر ينسبه إلى المحس[١]. ولكن المحمدية في كل مواقعهم يقولون أنه محمدي حمادابي والبعض من زراريه لا يُسَلِّمون بهذه القناعة المحمدية، وهناك في غرب سنار قرية النفيدية فهم محمدية حماداب ومحمدية آخرون يسمون نفيدية رحمة وهم محمدية ويورد الوسيلة اسم النور ود دفع السيد من الحماداب بقلع ود العجوز بالصعيد[٢].

وأما حسن فذريته بطيبة الحسناب المشهورة باسمه جنوب الخرطوم وشمال جبل أولياء ولهم موقف طريف مع ود الكريل أميرهم ومع خليفة المهدي حيث استنفرهم ود الكريل أميرهم، كما يستنفر كل أمير قومه للذهاب للقلابات حيث يدور القتال مع الأحباش. ولما كانوا غير عابئين بدعوة الخليفة هذه ردوا على أميرهم ود الكريل بقولهم (هُوي يا ود الكريل نحن ذاتنا ما أُمحمدية نحن حسناب الله والرسول) فبلّغ ود الكريل مقالتهم هذه لخليفة المهدي فقال له الخليفة وكان من المقربين لديه (هاي يا ود الكريل ناس بقولولك نحن هيلين الله والرسول خلّهم خلّهم) أي أتركهم لمن نسبوا أنفسهم إليه[٣].

---

(١) نعوم شقير جغرافية وتاريخ السودان، ص ١١١.

(٢) الوسيلة صـ ٨، وأحمد شيخ عبد المحمود مشافهة . مارس ٢٠١٤م.

(٣) محمد إدريس حجاز (والد الباحث) مقابلة شخصية بمنزلهم بالقراصة ١٩٧٠م.

أما سِرِيْر فجد السِريراب في العمارة عبد الباري ريفي المناقل وفي شمال النيل الأبيض في قرى الغَنّامة (السادة الحجراب) وفي كمبو هاشم وكمبو محمد (ناس ودنعيم) جوار أهلهم السماعاب بأبو عجاج وأيد الحمراء كما نجدهم في الديار الأصلية في قرية الشُكابة المحمدية في جزء منها ومنهم الشيخ محمد ود راعي مع رفاعة وأولاد نعيم بالشكرية وود البدوي بعدار[١].

أما إبراهيم فله ثلاثة أبناء: هم ريَّان ومُخَوَل وبهاء وذرياتهم بالشوال والكوة ناس سليمان ود نور الله وبام حجار أولاد عبدالمعبود، ومن أولاد بهاء الدين، ود الرضي وود حمودة وابنه الأمين[٢].

الابن السادس هو أحمد شبيل والشبيلات هم عرب رُحّل أختلطوا برفاعة في قرية ود النَيَّل وفي الدمازين نجد في قرية عَبَل أولاد ود الرواج وهم (محمدية من أبناء أحمد شبيل إختلطوا برفاعة وعُرِفوا بالشبيلات، ومن الشبيلات ناس الفكي محمدين في أبي عُشر. وقد استرعى انتباه الباحث قول نعوم شقير[٣]. في معرض حديثه عن جبل أم على بمنطقة العُمراب الجعليين: (وتجاهه في النيل- أي تجاه الجبل جزيرة الشبيلية وهي من أكبر جزر النيل، فهل يا ترى، لهذا الاسم علاقة بأحمد شبيل أو ذريته، ربما خاصة وأن عبدالرسول السائح توأم بطران بن عوض الله بن محمد بن حمد بن حسب الوالي في طريق عودته من نوري قد أقام بالقرب من هذه المنطقة بجبل الجِلِف غرب شندي مع الحسانية إلى أن توفاه الله وله ذرية في تلك المناطق[٤] فلربما يكون قد وجد ذرية هناك من أبناء أحمد شبيل وهم أجداده أغرته بالبقاء في تلك المنطقة.

أما سابع الأبناء فهو حمد بن حسب الوالي أو ابن محمد بن حسب الوالي كما تجمع كل وثائق النسب التي بأيدينا وهذا يؤكد أو يعضد صحة الوثيقة التي في حرز الفكي عبد الله ود حجاز من الشيخ دفع الله المصوبن أنَّ لِحَسَب الوالي ابنان فقط، هما محمد وعوض الكريم وهو بالمناسبة غير عوض الكريم فيل شقيق السبعة من أبناء

(١) الوسيلة صـ ١٢ .

(٢) نفس المرجع ص ١٢.

(٣) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ص ١٠٦

(٤) محمد إدريس حجاز (مقابلة شخصية) والد الباحث. ١٩٧٠م.

أخيه محمد وربما سُميّ على عمه هذا، والذي لم يتحدث أحد عن ذرية له، أي هذا العم هناك رواية متداولة يحفظها الخلف عن السلف، أن جدهم حمد هذا قد قتل رجلاً بمنطقتهم حول جبل أولياء وحتى لا يُكَلِّف أهله مشقة الدفاع عنه غادر المنطقة في ليلته تلك ولم يجدوا له أثراً وتشير الرواية من بعد أنه قد ذهب إلى منطقة العمارنة غرب سنار حول جبل موية وهم من جهينة وتزوج منهم إمرأة وأقام معهم إلى أن مات عندهم وترك أبناً تربي مع أخواله العمارنة هؤلاء، ولما كان الصيد من عادات تَزْجِية الوقت والفراغ عندهم (أي شغل النفس بما يسر) فقد اصطحبوا معهم ابن أختهم هذا محمداً وهو ما يزل صبياً لم يبلغ الحلم فقذف مِجْدَاعة (وهو آلة الصيد، عبارة عن آلة خشبية مثقفة ومعقوفة) نحو إحدى الأرانب فأخطأها ليصيب صبياً مثله في مقتل مما تسبب في مغادرته المكان إلى حيث تقيم أصوله حول جبل الأولياء ، فعاش في كنف عمه فيل الذي زوجه من بعد من بنته كَرْبَل، فأنتجت هذه الزيجة الصالح والفالح والفارس[1]، فكان مولودهما الأول مفرداً ذكراً سموه سليمان، والثمرة الثانية كان توأماً سموهما قدورة وعوض الله والثالثة كان منها توأماً أيضاً سموهما إسماعيل ومحمود وأعقب هذا العدد زهرةً أسمها حليمة[2].

نسدل الستار على السبعة لبسط سيرة الخمسة من خطتنا سالفة الذكر وهم أبناء محمد (اب أرنب) ابن حمد بن محمد ابن حسب الوالي من زوجته كربل، ابنة عمه عوض الكريم فيل فهم أكثر المحمدية عدداً وأقربهم تاريخاً زمانياً سكنوا جزيرة الكيتك على النيل الأبيض جنوب جبل الأولياء وقد اختفت بفعل مياه الخزان .. أكبر الأبناء كما سلف سليمان وعُرِفَت ذريته بالسليماب ويسكنون في الديار الأصلية في قوز أب عوض الله وفي الصعيد في قرية حرورة مع ناس ود رحمة غرب سنار.

والثاني في الترتيب هو قدورة توأم عوض الله وهو جد القدّوراب ويُذْكَر أن له أبنان هما رحمة وعمران ولكل منهما ابنان .. أبني رحمة هما عينينا ومحمد وابني عمران هما مأمون والفكي آدم ومن هؤلاء الأربع تسلسلت ذراري القدوراب وقد توزعت أماكن سكناهم في قرى أولاد مهلة بجبل موية ومهلة هذا هو ابن مأمون ابن عمران بن

---

(١) محمد إدريس حجاز (مقابلة شخصية) والد الباحث. المصدر السابق ١٩٧٠م.

(٢) من قصص القبيلة المتداولة والمتوارث .

قدورة سكنوا هذه المنطقة بأمر من ود رحمة وهم أول من بنى على قبره قبة وكان أول من سكنها منهم الزين بن مقبول بن عبد الخير ومهلة بن الزين بن مقبول وابن عمهم أحمد بن عبد الله بن مأمون بن عمران بن قدورة وهم موزعون في أماكن سكني المحمدية في الصعيد[١]، وفي السافل نجدهم في قرى أم عويد والشكابة وقوز الناقة ودار الأسد وبغرب النيل في قرى المحمدية وأبو حليف وقوز عوض الله.

أما عوض الله توأم قدوره وهو أيضاً من السُوّاح الصالحين.. له زوجتان الأولى بنت عمه أنجب منها أبنه الأكبر عبد الله الملقب ب (قروس) ثم تزوج العركية عائشة بابكر دفع الله مقبل عندما أتاهم في سياحة فبقى معهم عشر سنين تزوج فيها وأنجب ومقبل جد العركيين هذا عرض له الباحث من قبل حيث ذكر أنه اتصل على محمد السائح حين قدومه من العراق طالباً منه العلم ولم يعلموا أنهم سيتصاهرون بالذراري فيما بعد[٢].

أنجب الشريف عوض الله بن محمد (أب أرنب) من عائشة حفيدة مقبل إبنيه الأخيرين التوأمين الصالحين بطران وعبد الرسول. أما عبد الرسول فذهب في سياحته شمالاً حتى وصل ديار الشايقية ونزل ضيفاً على أسرة منهم من نوري فزوجوه أختاً لهم ثيباً سرعان ما تركها خلفه وذهب في سياحته تاركاً لها قميصاً مرقعاً كما يُروَى إرثاً لمن تلده منه إن كان ذكراً وتسميه العراقي وإن كانت أنثى فأعطاها الخيار في تسميتها[٣] ، وفي طريق رجوعه مكث مع الحسانية في جبل الجِلِف غرب شندي وبقى هناك إلى أن توفاه الله ويُذكر أن له ابناً وبنات في غرب شندي ومنطقة حوش بانقا وأن هناك أشرافاً في هذه المنطقة فلربما يكونوا من ذريته[٤] ولا يُعلم هل لحقت به زوجته تلك – من ديار الشايقية – مع أهلها أم تزوج امرأة أخرى ولكن لنزوح الشايقية لأرض الجعليين بأعداد كبيرة ربما يكونوا قد لحقوا به ولكن لا يُعْرِف عن ذريته غير هذه المعلومات الشحيحة.

---

(١) حديث شفاهي مع أحمد عبد المحمود الشيخ محمد رحمة بالخرطوم مارس ٢٠١٤م .

(٢) الوسيلة – الدرر البهية ص ١٨.

(٣) من قصص القبيلة المتوارث وشفاهة من عدة أفراد من القبيلة. مع الباحث في عدة أوقات منذ نهاية القرن الماضي (العشرين).

(٤) الوسيلة، الأرجوزة، ص ١٨.

وعبد الرسول يعرف في تلك المنطقة بـ عبد الرسول أَبْ عَبَل لِشَعْرٍ كثيف يتدلى على كتفيه كما عرفت ذريته بالعَبَالي نسبة لوالدهم وله قبر يزار من محبين كثر [١]، وعُمِلَ له بيان بالمحمدية غرب النيل في خط مستقيم مع قبر توأمه بطران المدفون شرق النيل قبالة ود الكريل، وعلم الباحث من بعض ذراري توأمه بطران[٢]عند زيارتهم بقرية البستان غرب النيل أن بطران لما رأى غيبة توأمه عبدالرسول قد طالت أرسل ابنه محمد بطران للبحث عن عمه والرجوع به ولكن محمداً وجد عمه قد تزوج من إحدى بنات الشيخ حمدتو وبدل أن يعود بعمه تزوج هو الآخر من ابنة ثانية للشيخ حمدتو.

أما بطران فقد توجس خيفة من بقاء الاثنين في عالم المجهول فلحق بهما بنفسه والمّ بالمُرْسَل والمُرْسَل إليه ولكن عدم رجوعهما ولحاقه بهما وراءه حكمةٌ، أي بطران، إذ كان يحمل في ظهره نسمةً تُسَبِحُهُ، فقد تزوج بطران نفسه ابنة الشيخ حمدتو الثالثة وأنجب منها أبناً سماه أبو القاسم العراقي وتركهم وعاد بابنه محمد وزوجه... وما كان للشيخ حمدتو القادم من الحجاز أن يزوج بناته الثلاث لأسرة واحدة إلا لأنه توسم فيهم الصلاح فكان أبوالقاسم نسمة صالحة بحق هو وسلالته من بعده ذرية بعضها من بعض إذ اقتضت حكمته تعالى أن يكونوا أسرة صالحة ومعلمة، أفاد من علمهم وصلاحهم من حولهم من المسلمين في ديار الشايقية والدناقلة والجعليين بل وفي كسلا والجزيرة والنيل الأبيض شماله وجنوبه وكردفان وسيكون لذلك مكانه في مقام الدعوة من هذا البحث، أما الآن فيتواصل البحث في سيرة بطران بن عوض الله ومن تبقى من أشقاء عوض الله من أمه كربل بنت فيل وأبيه محمد (أب أرنب) وهما التوأمين الأخيرين إسماعيل ومحمود[٣].

---

(١) الشيخ عبدالمحمود محمد رحمة. مقابلة شخصية بمنزل الباحث بالمهندسين ٢٠٠٧م.

(٢) الأستاذ ضياء الدين حامد وعمه حسب الرسول عبد الرسول من أولاد سليم ود بطران، في زيارة الباحث لهم بالبستان في صباح الجمعة ٢٠١٢/١٢/١٠م، بإرشاد الأخ سعيد حامد بابكر . (مقابلة شخصية). بالبستان.

(٣) المقابلة السابقة مع ضياء الدين حامد وعمه حسب الرسول عبد الرسول من أولاد سليم ود بطران، بزيارة الباحث لهم بالبستان في صباح الجمعة ٢٠١٢/١٢/١٠م، بإرشاد الأخ سعيد حامد بابكر . (مقابلة شخصية).

نساء بطران أربع الأولى كربل بنت عمه محمود أنجب منها خمس رجال والثانية بنت الشيخ الحداد من الجعليين قرب جبل بريمة وأنجب منها ثلاث رجال والثالثة بل الأولى هي بنت عمه إسماعيل[١] وأنجب منها محمداً المشهور بسليم ذلك الذي عادل أبيه وعمه بزواجه من إحدى بنات الشيخ حمدتو وأنجب منها ابنه حمدتو أما الرابعة من زوجات بطران فهي أم ابنه أبو القاسم العراقي الملقب (بِكَنْدِمَرْ) وتعني السيف القاطع بلغة الدناقلة ذرية هذا الرجل الصالح هم كل العراقاب المنتشرين خلال السودان، يقول أحد المؤرخين عن عبد الرسول وبطران (هناك في منطقة الكواهلة قبتان لرجلين صالحين وهما أخوان شقيقان وإحدى القبتين بشرق النيل غرب مدينة ود الكريل والأخرى بغرب النيل في مواجهتها تماماً وأسماء الرجلين الصالحين هي بطران وعبد الرسول ويقال أن عهدهما بعيد قد يعود إلى سلطنة سنار قبل الحكم التركي وهما من قبيلة المحمدية سكان المنطقة وثقة الناس في صلاحهما مطلقة، وقبابهما مزار عام للمريدين ولكن الشيخان لم يتركا أثاراً دينية أخرى كالمساجد والخلاوي[٢] ومن عجب أن التيجاني عامر قد خص الشيخ محمد ود الزاكي بستة عشراً سطراً وغاب عن علمه أنه حفيد هذين الرجلين الصالحين فقال عن الشيخ محمد ود الزاكي في كتابه سالف الذكر (ينتمي الشيخ أصلاً لقبيلة الشايقية وعندما نزح إلى قرية (دماس) وجد بها الشيخ برير ود الحَسين (بفتح الحاء) شيخ الطريقة السمانية ولأسباب لم تعرف أعلن الشيخ برير أنه تخلى عن الإقامة في دماس للشيخ ود الزاكي ورحل عنها إلى قرية شبشة الشرقية ثم شبشة الغربية[٣].

والشيخ محمد الذي استبدال اسم القرية باسمه فصارت (ود الزاكي) من خلفاء الطريقة الختمية الميرغنية وقد زاره الإمام المهدي في طريق الزحف إلى حصار الخرطوم وطالبه بالانضمام للثورة المهدية ولكن الشيخ ود الزاكي كان شديد التمسك بعهده مع السيد محمد عثمان الميرغني الذي أرسل من كسلا منشوره العام بألاّ يساندوا

---

(١) حسب إفادة حسب الرسول عبد الرسول عند زيارتنا لهم بالمحمدية غرب النيل وهو من سلالة محمد هذا.

(٢) التجاني عامر، النيل الأبيض قديماً وحديثاً، ط أولى، ١٩٨٠م، دار الصحافة للطباعة والنشر، ص ١٠٦.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٠

المهدية ضد حكومة التُرك، وبرغم أن الشيخ متمسك بأهداب دينه وغير متصل بالعمل السياسي إلا أنه قاوم دعوة المهدية محلياً خضوعاً لأوامر رئاسة الختمية ومع أن المنطقة كلها صارت من أعوان المهدية فإن الشيخ ود الزاكي صمد مع طريقته[١].(أنظر: وثيقة رقم (١٢) ص ٢٠٤).

وللشيخ ود الزاكي في المنطقة عمل صالح جليل القدر في حفظ القرآن ولا تزال خلاوي القرآن تؤدي رسالتها دراسة وحفظاً وللشيخ ابناً من أَجِلَةِ العلماء هو الدكتور الأمين الخليفة الأستاذ بجامعة امدرمان الإسلامية أما الخليفة المسئول عن سجادة الشيخ ود الزاكي فهو الشيخ الخليفة سر الختم[٢] انتهى كلام التجاني عامر وقد أورده الباحث دون حذف أو زيادة للتدليل على أن كلام الأستاذ التيجاني عن أن الرجلين الصالحين بطران وعبد الرسول بأنهما لم يتركا آثاراً دينية كالمساجد والخلاوي كلام غير دقيق ذلك أنه نسب الشيخ ود الزاكي للشايقية وهو ليس كذلك وإنما هو محمدي القبيلة شريفي الأصل والنسب شايقي البيئة والخئوله تماماً كنسبة المحمدية أنفسهم للكواهلة وإنما هم أخوالهم أما الفحل فهو فحل مُعرِقٌ متصل بالعِتْرَةَ المحمدية العلوية الهاشمية، وود الزاكي بالصفات سالفة الذكر إنما هو مثال واحد فقط مما يقوم به أحفاد هذين الرجلين الصالحين بطران وعبدالرسول من واجب الدعوة والعلم وينتشر آخرون منهم في أماكن أخرى من بلاد السودان في مناطق الشايقية وغرب شندي وغرب مدني وغرب سنار في كردفان وكسلا والنيل الأبيض في كوستي والدويم وود الزاكي وقد أشتهروا بالعراقاب فأبوهم هو أبو القاسم العراقي بن بطران بن محمد بن حمد بن محمد بن حسب الوالي ابن محمد السائح، أول من قدم من العراق في العام ٨٥٨هـ – ١٤٢٣م.

نعود لسيرة التوأمين الأخيرين من أبناء محمد وزوجته كربل وهما اسماعيل ومحمود، أما إسماعيل الابن رقم أربعة فذريته، أصحابُ نَعَمٍ كثيرة ومنهم الصالحون أيضاً لذلك هاجر الكثير منهم بمواشيهم إلى الصعيد بحثا عن المرعى الجيد حيث تكثر الأمطار فسكنوا غرب سنار في مناطق جبل سقدي وجبل موية وأول من هاجر

(١) المرجع السابق، ص ١٠٠

(٢) التيجاني عامر، المرجع السابق، ص ١٠٠

منهم إلى هناك هم أولاد حامد ود العافي ابن إسماعيل وعددهم خمسة: أحمد وموسى ومحمد وإبراهيم وعبد الله وسكنوا قرية أب آمنة وعرفوا بالسماعاب، تبعهم في الهجرة أولاد حامد بن رحمة بن محمد بن عيسى بن إسماعيل منهم عيسى والزبير وعلى وسليمان بن حامد بن رحمة ود العافي وإبراهيم بن حامد ود العافي ويوجد من السماعاب أسر أخرى في قرى الكترة مع العوضلاب وفي قرية رحمة شرق سنار ونجدهم على امتداد النيل الأبيض في عسلاية (ناس ود الروف وفي حلة العمدة الزين في أم جر وفي قوز مرفعين غرب النيل الأبيض وفي الشيخ الصديق وفي منطقة الترعة الخضراء ناس ود أبو لبيبة وفي الصوفي وود نمر[١] .

وفي شرق النيل الأبيض إلى الشرق من نعيمة قصبة نظارة الحسانية، يقيم من المحمدية السماعاب أولاد حَجّاز ابن أحمد بن حَجّاز وهذا الجد أول من هاجر إلى هنا وهو ابن قسيان بن محمد بن بلة بن محمد بن بلة بن العافي (ولقبه النيدة) بن إسماعيل.. أما حَجّاز الأصغر فأمه من الفقرا الصلاحية أبناء الفكي محمد ود حامد وهم يمثلون السلطة أو المرجعية الدينية وموضع المشورة لسلطة الإدارة الأهلية التي يمثلها أبناء عمومتهم من القُشْقُشَاب أولاد هباني أي القيادة الإدارية للحسانية والحِسِنَّات ولصلة المصاهرة والتداخل مع الصلاحية أصبح حجاز بن أحمد ابن حجاز التلميذ المقرب للفكي إدريس تمساح التُرك أبن الفكي محمد ود حامد وخليفته ورافع راية الجهاد تضامناً مع الثورة المهدية، وبما أن حجاز هذا كان رجلاً صَيّتَاً يسمع صوته من شرق النيل بغرب النيل فقد أصبح مؤذن المسيد بل ورافق الفكي إدريس في رحلته الجهادية من الدرادر إلى الأبيض وحارب مع أخواله في معركة شيكان وما دام الشيء بالشيء يذكر فلا بأس بأن نعرض في عجالة لحركة الفكي إدريس تضامناً مع الثورة المهدية فقد أغفلتها كتب التاريخ. كان هذا الشيخ من أهل الفِطَن والبصائر وقد أدركته المهدية وهو شيخ كبير فآمن بها وصدّق فكان يحمل رَكْوَتَه ليلاً ويَشْعُر أي يقول شعراً بَشِيرْنَا يا بَشِيرْنَا أما دِيرْهُم أمّا دِيرْنَا أما يجي المهدي خبيرنا وكان هذا في وقت الدعوة السرية وبعد انتصارات المهدي وهجرته للأبيض طَوّر الفكي إدريس أمره بِدَق النُقَارة في

---

(١) مقابلة شخصيه مع أحمد عبدالمحمود شيخ محمد رحمة. بالخرطوم مارس ٢٠١٤م.

الدرادر مُعلناً إيمانه بثورة المهدي فأتاه بنو عمومة له مشفقين من فرع المغاوير وفيهم فقيه عالم يجادلونه ويرجونه ألاّ يكون في وجه المدفع كما يقال أي في الواجهة وبتعبيرهم هم (إن كنت مصراً خلاص خلي الشملة تُجمع من الأطراف) أي ما تبقى أنت في الواجهة فَاسْتَلَّ الطاهر ابن الفكي إدريس سيفه مهدداً ذلك العالم بقطع الرأس أن لم يغادر فوراً وموجهاً إليه الحديث: (أنك مضل والمضل أكعب من الضال)، إذ كيف بك أن تمنع من نوى الجهاد أن يجاهد؟ فأنصرف أولئك النفر ولسان حالهم يقول نصحت قومي بمنعرج اللوي (اسم مكان) فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد، فسجل حاديهم ود مطلوق هذا الموقف وما تلاه من مواقف سجله شعراً إذ يقول:

غَنّتْ لِيك أُم قُرْقُدا (قرقد أي مجعد) وِشْحَات

كَلامِ الضّلْ في وَشُو ما بِنْلاَت (أي الضلال)

رَاكِبْ سَمِينْ بَحَّات شَايلَ سَنينْ سَحَّات (فارس على فرسه متوشحاً سيفه).

العَجَب العَجِيب إنْ تَلَى في الآيات (تلاوته للقرآن جميلة).

النوم من جارو يطير في السهوات (يسهر من حلاوة التلاوة)

شايلين متومات راكبين رويميات (المتومات هي السيوف والرويميات هي الخيل)

البدري الدفَّر النمر أبو عاجات (الدفر: أغار بحصانه كالنمر في شجاعته).

والطاهر ال للكلام شَرّاط (أي: فصيحاً).

الطاهر المقدوم قالّينا قومولنا من الدنيا المابتدوم (المقدوم: المقدم فينا).

وأرحكم للمهدي الفي الكتب منظوم[1]. (أي: نهاجر إلى المهدي).

وبعد إعلان الفكي إدريس مساندته للمهدي ودق النقارة للجهاد وَشَى به أولاد الريف بالقراصة تحديداً شخص يُدْعى صالح الحجازي لدى الحكومة بالخرطوم وحتى لا يتفاقم خطره أرسلت إليه الحكومة قوة صغيرة رست بها الباخرة في الدبَّة بالقراصة لِتَنْشِب بينهم معركةُ قتل فيها عدد محدود من الجانبين ولما كانت القوّة غير متكافئة تحرك الفكي إدريس بقومه إلى غابة كثيفة الأشجار بوادي إيد الحمراء التي يسكنها فرع من قبيلة المحمدية السماعاب المصاهرين للصلاحية ومنهم ابنهم حجاز كما ورد سالفاً.. كَمَنَ الفكي في هذه الغابة لمفاجأة العدو الذي تَبِع آثارهم لمسافة ستة أو سبعة كيلومترات وأصبح في مرآي الفكي وأتباعه والعدو لا يراهم فاضطروا إلى الرجوع بعد نثر كمية كبيرة من الضريساء أي الأشواك المصنوعة من الحديد التي تثقب حدوة الحصان فتعطبه[2] وكذلك تفعل بالمشاة من المقاتلين وقد علم الباحث من والده المولود في ١٩١٨م أنهم كانوا لوقت قريب يجدون الضريساء برمال القوز، نشر الضريساء

---

(١) الموضوع أعلاه والأشعار مصدرها محمد إدريس حجاز أحمد حجاز قسيان (مقابلة شخصية) ١٩٧٠م (والد الباحث) .

(٢) محمد إدريس حجاز، المصدر السابق يحكيها كثيراً.

بهذه الصورة يشي بأن ذخيرتهم قد قَلَّتْ فركب الفكي حصانه لثلاث مرات لمهاجمتهم ولكن من معه يثنونه ممسكين بلجام حصانه متعللين بأنهم تعرضوا لِمَقْتَلهٍ بالأمس ما تزال آثارها ماثلة (فقال لهم الفكي آقفرا أبيتو الجهاد والله لو أَطَعْتُمُونِي لَنِلْنَا منهم) ويبدو أن قراءته للموقف أفضل منهم، فتحرك بأهله جنوباً في محاذاة النيل وكذلك قوات الحكومة تسايره وتترقب حركته إلى أن اصطدمت به في موقع يدعى الشاوة قرب الدويم في معركة قتل فيها فرسان الحملة، الطاهر بن الفكي إدريس وهو من الحَفَظَة العُبّاد المجاهدين وكذلك استشهد البدري الذي تعرض لستة عشرة طلقة توزعت بينه وبين حصانه ولكنه تمكن من الوصول إلى الطوبجي الذي يوجه إليهم الرصاص وأعمل فيه سيفه فأرداه قتيلاً وارتفع إلى جانبه شهيداً... فَقَدَ الفكي في هذه المعركة رجالاً وواصل سيره جنوباً حتى عبر النيل بمنطقة تدعى زينوبه بالقرب من كوستي ويبدوا أنها مخاضة يسهل عليهم من خلالها العبور وسار بمن معه حتى وصل إلى الإمام المهدي بالأبيض وبايعه مرتجزا وشاكياً له ظلم الظالمين الذي وقع عليه وقومه:

يا مهدي الوادعة الولاك نبي الشفاعة (الوداعة أي: المهدية)

أنا جيتك مقتول وأولادي مقتولين (جئتك مقتول أبنائي).

ودايرك تغيثني في الكفرة إغاثة بني خُزاعة[1]. وهم (حلفاء النبي الذين أغارت عليهم قبيلة تغلب وقتلتهم ركعاً وسجداً فأستغاثوا به إذ قال شاعرهم: لا هُمّ إني ناشد محمداً حِلْفَنْا وحِلْفُ أبيه الأتلدا فقد باغتونا رُكّعَاً وسُجدا[2].

فداعبه المهدي بسؤاله عن اسمه فقال له : إدريس فقال له بل اسمك الآخر فرد عليه يقولون تمساح الجواد، فقال له المهدي سميناك تمساح التُرك ووعده بالانتصار له تطييباً لخاطر الشيخ الذي تقدمت به السن نوعاً ما، وقد شارك المهدي في تحركاته ومعاركه من شيكان والتي شارك فيها معهم ابن بنتهم من المحمدية حجاز ود أحمد. ويبدو أن شاعرهم ود مطلوق قد لخص شكوى الفكي شعراً يكمل ما سبق ذكره وما تعرضوا له من ظلم:

يا سيدي المهدي بشكيلك أنا مظلوم   من البنادق الجات من الخرطوم (أي جيش الحكومة)

---

(١) محمد إدريس حجاز (مقابلة شخصية) ١٩٧٠م بمنزلهم بالقراصة .

(٢) محمد عفيف الزعبي، مختصر سيرة ابن هشام، مكتبة المعرفة، حمص، سوريا، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، صـ ٢٢١ .

قابلها البدري والطاهر المقدوم   يا سيدي المهدي شوف المصيبة الجات
الشيء من الله والأعمال بالنيات فيهم   البدري النمر أبو عاجات والطاهر ال للكلام شرَّاط[(١)]**.**
(أي: هؤلاء من استشهدوا).

وقد توفى الفكي إدريس بحضور المهدي والذي كان يدعوه أبونا الشيخ ودفن بأبو سعد بمقابر الشيخ أحمد ود سليمان وكانت له دار فسيحة في أبو سعد غادرها أبناؤه بعد سقوط أم درمان ولم يعودوا إليها أبداً وعادوا إلى قريتهم الدرادر تحت رعاية ابنه الفكي يوسف الذي فتح مسيد آبائه وواصل رسالتهم كان من الضروري تناول هذه الأحداث التي لم يتعرض لها المؤرخون الكبار أمثال مكي شبيكة إلا عَرَضاً وصارت قصصاً يرويها أهل المنطقة جيلاً بعد جيل فلا غرو أن ينتبه من لهم إلمام بالكتابة لتسجيل مثل هذه الأحداث فهي جزء من تاريخ أمة.

عاد حجاز فيمن عاد مع أخواله الصلاحية وبعد قيام الحكم الثنائي تم اختياره ليكون شيخاً على المحمدية في المنطقة بجميع أفرعهم شرق النيل وغرب النيل وشياخته من أكبر الشياخات عند العمدة النعيم ود الكريل فكان يُوَرِّد له أموال القُطْعَان بالضَبْيَة. وهي مِخْلاَة كبيرة مصنوعة من الجلد إلى العمدة النعيم بِدُمُرُ الكريل إلى أن قام الانجليز بجعل الإدارة بالمناطق لا بالقبائل وذلك حيث تولى الشياخة ابن حجاز الأكبر إدريس وقد كان رجلاً قوي الشكيمة لا تلين له قناة أبداً تصدى لكل محاولات الحكام في نعيمة لتذويب المحمدية في شياخات حسانية ليكونوا لهم تبعاً فأبطلها جميعاً [(٢)]، فذهبت تلك المحاولات أدراج الرياح وبقيت شياخة المحمدية ملء السمع والبصر وظل أسمهم مرتفعاً إلى يوم الناس هذا بل أن إدريس تصدى حتى لعمه العمدة النعيم نفسه ولأبناء ود هباني الوكلاء والعُمَد ولم يقف معه في قضيته العادلة إلاّ الناظر الكبير عبد القادر إدريس هباني وهي قضية ورثة صاحبتها توفيت بدمر الكريل وَوَرَثَتُها أخوها وأخواتها تحت شياخة شيخ إدريس بإيد الحمراء وأبو عجاج المحمدية وسيق الرزق (السعية) الورثة إلى هنا بإذن العمدة النعيم وأَمْرْ الناظر، ولشيء في نفس

---

(١) عوض أبو المعالي، من الركاب للتراب، رقم الإيداع ٢٢/٢٠٠٤م،ص ٣٧.

(٢) محمد إدريس حجاز وآخرون (في لقاءات شخصية) ١٩٧٠م، بمنزلهم.

يعقوب أرادوا جميعاً ما عدا الناظر إعادة هذه البهائم ولكن إدريس حجاز رفع عريضة للمفتش الانجليزي مما جعلهم يتراجعون قبل أن تصل الشكوى للمفتش وبمبادرة وتلافي العمدة النعيم للأمر موجها اللوم لابن عمه بقوله: (يا إدريس بتدور تشتكي أبواتك الذين يفدون دمكم. أي الذين يحمونك فرد عليه أنا لم أتحدى أبواتي ولكنني أتيتك ووجهتني بالذهاب للناظر وأنا سقت الغنم بأمر الناظر) [١] .. وحدث أن قابله وكيل الناظر حاج عمر هباني فألقي عليه شيخ العرب التحية فقال لـه الوكيل لا أقبل منك السلام كيف تسوق الغنم بيدك فرد عليه رداً قوياً بقوله (كان ما داير ترد عليَّ السلام اها سِدْ مِنِّي الهواء ده) فالقمه حجراً ووزعت التركة على مستحقيها وأهدوا منها شيخ العرب ستة من الغنم تقديراً لوقفته الصلبة فلولاه لضاعت حقوقهم[٢]. ويُذكر لشيخ العرب هذا – إدريس حجاز – صُلحه بين حيين من شرق كردفان هما أولاد عون وأولاد قوج بعد أن استعدا للإقتتال، وحمل السلاح ستون رجلاً من كلِّ حَيٍ ولكن حكمة هذا الشيخ حقنت الدماء وردت العقول إلـى صـوابها ورشـدها فكـان موضـع احتـرامهم وتقـديرهم لإصـلاحه ذات بينهم[٣].

يعـايش أولاد حجـاز فـي المنطقـة أشقاؤهم أولاد خيـر السـيد وأبنـاء عمـومتهم مـن المحمديـة السـماعاب أولاد ضـيف الله وهؤلاء منهم مجموعة مـع أولاد الشـيخ محمـد ود رحمـة بسقدي ونجد مجموعة من الجميعاب اختلطوا بالمحمدية نسباً وصـهراً وصـاروا جسداً واحداً (أي متحدين) وهذا يفسر لنا حفظ الزبير باشا رحمة الجميعابي للقرآن في هذه المنطقة عند الفكي بخيت ود نعيم وهو فادني ولكنه ابن خالة الفكي إدريس تمساح الترك وقد حفظ عنده إلى جانب الزبير ود أم مريوم قاضـي القضاة في المهدية ومحمود أغا[٤].

(١) محمد إدريس حجاز وآخرون (في لقاءات شخصية) ١٩٧٠م، بمنزلهم. ومن محكيات القبيلة.
(٢) نفس المصدر السابق والتاريخ.
(٣) نفس المصدر السابق والتاريخ.
(٤) محمد إدريس حجاز (مقابلات شخصية) ١٩٧٠م.

كذلك نجد من المحمدية بالمنطقة أولاد نعيم في دَبال وكمبو محمد وكمبوهاشمي وفي الغنامة وهم من المحمدية السِرِيرَابْ أما أماكن سكن السماعاب في السافل فنجدهم يتركزون في قرى غَبَاشَة والبَقيْع وأم جُخْر ودار الأسد وفي المحمدية بغرب النيل وفي معيجنة نجد ناس ود الفولي مع أهلهم المحموداب قرب طابت.

من مشاهير الصالحين من السماعاب الشيخ محمد ود رحمة بجبل سقدي والفكي عبد الله ود حجاز بايد الحمراء المحمدية، هذا الرجل حفظ القرآن عند الفكي عبد الماجد بالغبش وكان يأكل من عمل يده فلم يستخدم صلاحه لتَكَسُبٍ قط فكان ديدنه أداء أوراده في الصباح الباكر وبعدها يذهب للزراعة فيما يعرف بالضحوة وفي الذهاب والعودة كان يربط مخلاة على فم حماره حتى لا يصيب شيئاً من زرع الناس يكرر ذلك في وقتي الضحوة والضهرية وعندما توفيت زوجته أم أبنائه لم يتزوج ثانية وأنقطع للعبادة مع كسب قوته من عمل يده كفافاً وحلالاً[(١)].

الشقيق الخامس هو محمود توأم إسماعيل وقد عرفت ذريته بالمحموداب وهم أهل اللواء في المنازلة والفروسية والتصدي لمن يطلب قبيلتهم وديارهم بِشَرٍ ولمحمود ثلاثة أبناء هم محمد والصباحي وعلي.. ومحمد عُرِفَ أبناؤه بالكردماب ومنهم أشهر فرسان القبيلة وعقيدها نور الله، أبو فِدْيوَة، والفدوى هي قرط يثقب له الأذن ويعلق فيها، وابن خالته فضل الله الخليفة وهو أيضاً فارس لا يشق له غبار.

أما صباحي فقد أنجب أولاد رحمة... وأخيراً على ومن ذريته موسى وجبارة وناس ود الجردة بالهشابة وقِفِيلّ واللّامة وشاهين وأبو الحيران بالدنيقيلة وأولاد عِشْقُوب المحموداب فرسان أم ضنيب[(٢)] ولا ننسى من المحموداب الشيخ الصالح على العَسلُوب الذي نهج نهج آبائه فقد كانت تحلو له العبادة سائحاً في أرض الله الواسعة بعيداً عن الناس متأملاً في بديع صنع الله من حيوان ونبات وجماد وسموات وأرضين وقد روى والد الباحث المولود في ١٩١٨م أنه شاهده وهو طفل صغير وأنه كان دائماً ضَيفُ هَجْعَةٍ عليهم يأتيهم بعد منتصف الليل مُعْتَجِراً طاقية من سعف ويحمل في يمناه سوطاً

---

(١) الباحث (معاينة ومشاهدة) .

(٢) الوسيلة – الدرر البهية (الأرجوزة ص ١٦) .

فتقوم والدتهم آمنه بنت يوسف، أهلها الفقرا ناس ود حامد بالدرادر تقوم في ذلك الليل البهيم بصنع الطعام والشراب له ومده بالدهن ليبلل راحتيه ورجليه اللتين طالما قد أثر فيها طول التسيار ليلاً أو نهاراً لعل ذلك يجلب لهما بعض الراحة – يقول الراوي: (في الصباح الباكر أوصله إلى أهل الإدارة الأهلية بنعيمة مسافة ثلاثة كيلومترات غرباً فيكون موضع حفاوتهم وإكرامهم وتبجيلهم وكان من أعز أصدقائه طيب الذكر المرحوم عبد المنعم محمد ذلك المحسن حيّاه الغمام فلديه في صلاحه اعتقاد كبير لا يتطرق إليه الشك، تزوج شيخ على بالقطينة وترك ابناً اسمه عثمان شيخ علي وابنة معلمه أسمها زينب خليفة علي) (١).

(١) محمد إدريس حجاز (مقابلة شخصية) ١٩٧٠م.

المبحث الثالث

الموطن والموقع الجغرافي للقبيلة

أولا: مفهوم الشقة يعني الديار الأصلية الواجب حمايتها كما يحمي الإنسان منزله الخاص فأرض الكواهلة عموماً تمتد من جبل الأولياء شمالاً إلى منطقة الشوال جنوباً في محازاة قبائل الجمع تحت قيادة الشيخ عساكر أبو الكلام وفي الشرق حدد الصراع مع رفاعة والشكرية والمسلمية الحدود بوسط الجزيرة حيث قاد الكواهلة زعيمهم شلعي أبو العافية في مواجهة كسبها بنجاح أما في ناحية الغرب فقد امتدت حدود ديار الكواهلة إلى داخل كردفان شمالها ووسطها إلى تخوم جبال النوبة ومن هذه المساحة فإن شقة المحمدية تحدها من الجنوب شقة الحسنات أبناء أبرق ود كاهل وهم أخوالهم المباشرين ومن الشمال يحدهم الجموعية ولهم بعض الجيوب في مناطق طيبة الحسناب والفيلاب وغرباً منطقة الأُندرابة في محاددة الكبابيش والأحامدة. هذه الشقة تمثل أقصى شمال دار الكواهلة تساكنهم فيها عناصر أخرى قريبة منهم في كل شيء بل مختلطة معهم ومتداخلة تصاهراً وتوالداً ومعايشة مثل العرواب والجميلية والبجا والصندوداب والعقليين والجعليين في جبل بريمة والسريحاب والجموعية[١]. (انظر الخرطة ملحق رقم ٢).

كما نجد أُسَرَاً موسومة بالعلم الشرعي مثل أسرة الأستاذ محمد شريف نور الدائم أستاذ الإمام المهدي الذي أخذ منه العلم ابتداء في هذه المنطقة بقرية الشكابة المحمدية ومما حكى أن ابنه الشاعر الأديب الأريب محمد سعيد العباسي حضر ذات مرة من بعض أسفاره فرأى منظراً لم يعجبه، رأى أخاه صالحاً يقود حماره شبلان من فتيان المحمدية وهو راكب لعل ذلك كان بسبب العلم الذي يحمله، فذهب الشاعر لوالده يسأله عن نسب المحمدية وهو يعلم، ولكنه يريد أن يلفت نظر أهله إلى أن النسب الشريف ينبغي أن يحترم مهما بلغنا درجة من العلم، فرد عليه والده الأستاذ بأن نسبهم

---

(١) الوسيلة، الدرر البهية، ص ٣٤- ٣٥.

شريف ومن آل البيت، عندها قال الشاعر العباسي: ما داموا كذلك فكيف يسوغ لأخي صالح أن يقود مركبته الأشراف وهو راكب وأقسم ألا يدخل داره حتى يغير من سلوكه هذا[1]، ومثل هذا الموقف كان يفعل شيخ الإسلام ود البدوي مع تلاميذه ومن بينهم السيد عبد الرحمن المهدي والشيخ قريب الله فكان لا يبدأ الدرس إلا بعد حضور تلميذه السيد عبد الرحمن إنزالاً للناس منازلهم، ومع تقديرنا لموقف الشاعر الكبير إلا أن العلماء ينبغي أن يُحترموا فالنبي (ﷺ) بُعث معلماً والعلماء ورثة الأنبياء ولكن يبدو أن حب الشاعر لآل البيت يحجب ما سواه.

وهناك أسرة أخرى ممن اختلطوا بالمحمدية هي أسرة الشيخ الإمام ودقادر ولي، وهو من محس توتي درس في عُبُود بالجزيرة وفي طريق عودته كما حُكِيَّ ، أراد الشيخ الإمام الإقامة مع المحمدية فرحبوا به بقولهم والعهدة على الراوي (سعيد حامد بابكر من السريحاب) بقولهم الله جادلينا بولي ومن هنا جاءت التسمية التي لازمته (ود جاد ولي) ولما علم شيخ الكواهلة شلعي أبو العافية بنيته الإقامة هنا أرسل إليه تهديداً يحذره البقاء في أرض الكواهلة قائلاً بالدارجي المعبر (كان لقيتك في أرض الكواهلة دمك دم طير). ولكن المحمدية أجاروا الرجل وردوا على شلعي بعبارات أقوى تقول (الزول ده كان رشيتو باللبن نرشك بالدم) [2] وأظن أن العبارة تُنْبِي عن حماية كاملة ... ولكن شلعي تصرف تصرف الزعماء مع أهله هؤلاء إذ سكت عن الأمر بما يفيد (قد أجرنا من أجرتم) وحفظ الشيخ الإمام هذا الموقف للمحمدية لدرجة أنه أهدى ربع أجر مسيده لمحمد ود قسيان[3] بن محمد بن بلة بن محمد بن بلة ابن العافي (النيدة) بن إسماعيل جد المحمدية السماعاب. قد يكون لهذا السبب أو لسبب آخر لا نعلمه وقد أصبح التداخل قريباً جداً لدرجة أن المحمدية ظهرت فيهم أسماء مثل مالك والإمام في حين أن أسماء أسلافهم لا تتعدى محمد وأحمد وحمد وعلي.

القرى والمدن التي يسكنها المحمدية:

---

(١) صالح موسى علي، جامعة أم درمان الإسلامية (مقابلة شخصية) بمكتبه بالجامعة الإسلامية يناير ٢٠١٤م.

(٢) محمد إدريس حجاز (رواية متكررة في لقاءات شخصية) ١٩٧٠م (والد الباحث).

(٣) الوسيلة (مقابلة شخصية) بمنزل الباحث بالمهنسين أوائل عام ٢٠١٤م. .

في معرض حديثنا عن الذراري أوردنا أسماء بعض القرى التي تسكنها كل مجموعة والآن نتعرض لها إجمالاً مع ذكر العلاقة مع القبائل المجاورة وفرسان القبيلة وطرق الحماية والمناوشات التي يتوارث الناس ذكرها .

فالقرى في السافل منها ما طمر بفعل مياه خزان جبل الأولياء بعد تشغيله ويشمل كل القرى على الشاطئ في جنوب الخزان شرق النيل الأبيض وغربه ومنها دمر الكريل والمساكن والمزارع داخل الجزر ومنها جزيرة الكَيتَك الخاصة بهم والتي كانت مخبأ لخيول الجموعية التي يأخذونها منهم عنوة حين الإغارة عليهم[١]. فقد كانوا في حالة مدافعة ومناوشة دائمة.

أما القرى الماثلة الآن[٢] ففي السافل حيث الديار الأصلية نبدأ بمدينة ود الكريل قصبة إدارة المحمدية ثم الشكابة جبل أولياء – السيال– دار الأسد– السريراب– غباشة– البقيع. أم جحر البارا– قوز أبعوض الله – كترة – أم دليبة – كمبو العد– كمبو حسين– كمبو يعقوب– عيننا – الفيلاب – طيبة الحسناب– القليعة– قوز الناقة– أم ورق ريفي الربع– أم عويد– بلومة شمال العزازي– كترة الضقالة أبقوته– بجيجة– وبغرب النيل أبو حليف– المحمدية– البستان – المنتزهة– الشيخ المعروف – وداخل الجزيرة والصعيد معيجنة جوار طابت المحيريبا، أم بعيبيش– سراج – العمارة عبدالباري (مناقل) الله أدانا– القلة في مكتب الجاموس– قلع ود العجوز– المقام ريفي ود تكتوك– وفي ريفي ود العباس ناس بابكر ود الرضي – أبو رويشد – العامة – أبو عون– دار المزيد – مهلة– ود الجبل– الشكرية – كادوس ود الرضي – أبو عشر – أم مليحة – وفي الصعيد سقدي المحمدية– أولاد مهلة (قد وراب) جبل موية – ود عبودي – التبلدية أولاد خير الله – حفاير – بربيرة– قبوحة شرقها مبروكة (محموداب) الفردوس الكبرة– سماعاب عوض اللاب – محموداب ناس ود لمّينَا– قَبِلْ جاي– حيار– أم حجار – أولاد حمزة تبع عبد المعبود الجزولي – الهجاناب جنوب غرب

---

(١) الوسيلة قسم السيد، الدرر البهية،(مخطوط) .

(٢) النور إبراهيم البشير، كتاب الكريل الحقيقة الغائبة وجزء مكمل من إفادة أحمد شيخ عبد المحمود رحمة (قرى الصعيد) ، ط١، ج١، صـ١٦ .

سنار – أب آمنة سماعاب – رحمة شرق سنار – سليماب حرورة – كتوشة أولاد عبودي – مرزوقة أولاد بركول – ود النيل الشبيلات أولاد أحمد شبيل – قرية أولاد الجلال جوار سنجة فيلاب – وفي الدمازين قرية عبل يسكنها أولاد ود الرواج شبيلات أيضاً – الشريف مختار – قرية عكاشة في سنار (حماداب) – كرري الجاموس – القنوبة – مريحلة – الروضة (جزئياً محمدية – الرانجوك – مبروك سقدي الجاموس – كترة شرق الكوة مناقل.

وعلى النيل الأبيض عسلاية (ناس ود الروف سماعاب) قوز مرفعين غرب النيل – حلة العمدة الزين – أم جر – مبروكة (الحاجاب ناس محمد عبدالرحمن الجزولي) أبشوك قرب الدويم ناس شيخ الجزولي ود أحلب شوف (حاجاب) – كرري والمجمع شرق الهشابة – (محموداب ناس ود الجردة) ود الزاكي (ذرية الشيخ محمد ود الزاكي وأبناء العالم ود الصغير) الدويم وكوستي (بها أسر من العراقاب المحمدية من ذرية أبو القاسم بن بطران، منطقة الترعة الخضراء ناس ود أبو لبيبة في شكيري جنب العشرة (سماعاب)، وفي الصوفي ناس ود أبزيق قدوراب وناس القلق محموداب، أيدين ود عبيد جنوب الدويم (سماعاب) شبشة (حاجاب) ود نمر وأبقر[١].

وفي شرق نعيمة نجد أولاد حجاز ودقسيان وأبناء عمومتهم (أبناء خير السيد وضيف الله) في قرى أيد الحمراء وأبو عجاج والمحمدية الحجراب في الغنامة وهم سريراب، وأولاد نعيم في دبال وكمبو محمد وكمبو هاشم وفي القطينة الفكي على العسلوب، وفي القَرَّادة وود الجترة وود النورة وشكير وود سِرير وأب عجب العركيين .. وهناك ذرية حليمة بنت محمد (أب أرنب) شقيقة الخمسة وأبناؤها ناس على ود عوض الله وعلى ود المِشَّتِتْ في القَنُوبة وأبعجاج وربك والجَترة (وآباؤهم الجميعاب) [٢].

وفي العاصمة نجد المحمدية في الشقيلاب والدخينات والخرطوم وأمدرمان وأمبدة وهناك قطاع عريض من المحمدية بعيدون عن الديار والأهل والعشيرة وهم من أهل

(١) المصدر : أحمد شيخ عبد المحمود محمد رحمة (مقابلة شخصية) مارس ٢٠١٤م .

(٢) مختار عبد الهادي عوض الله حجاز (مقابلة شخصية بمنزل الباحث يناير ٢٠١٤م) ابن عم الباحث ونائب الشيخ بإيد الحمراء المحمدية.

العلم والمعرفة والفقه، أبناء بطران من أبنه أبو القاسم العراقي (كَنْدِمَرْ) وتعني بالدنقلاوية السيف القاطع، في جزيرة تنقسي بدنقلا حيث قبر هذا الشيخ وبديار الشايقية في نوري، ومروي شرق، الكاسنجر، أتماري، فقير نكتي، البسلي، وفي شندي بالشقالوة ووادي بشارة ونجد مع هؤلاء ذرية عبد الرسول في غرب شندي مع الحسانية بجبل الجلف وحوش بانقا ويعرفون بالعبلات كما نجد ذرية لبطران بمدني وبالكمر غرب مدني وبكسلا وشمال كردفان بأم بقيلة والدومة والمزروب وبالدبة أم روابة وبحمرة الشيخ(١) كلهم ينتمون لأبي القاسم بن بطران بن عوض الله بن محمد بن حمد بن حسب الوالي ابن الشريف محمد السائح وأهلهم في الديار الأصلية يعلمون جيداً أن لديهم هنالك أبناء وذرية.

(أُنظر: ص (٢٠٢) ص١٠ خرطة توضح الديار الأصلية للمحمدية وأماكن الانتشار).

---

(١) مخطوط عن العراقات المحمدية لم يصدر بعد.

المبحث الرابع

القبائل المجاورة وشكل العلاقة معها

لا شك أن طابع القبائل حينما حَلّت بهذه الديار هو طابع القبيلة في مهدها الأول في جزيرة العرب في حماية الحِمَىَ ورعاية الذِمار فحددت كل قبيلة دارها بالدرقة والسيف كما يقولون وأصبحت محل حمايتها والدفاع عنها.

وعلاقات المحمدية مع من حولهم لا بأس بها إلا من بعض المناوشات مع الجموعية جيران الشمال وهي لا تتعدى نطاق الفرسان من هنا وهناك ولم يورِّطوا القبيلتين في مواجهة مباشرة وحدث أن دخلت خيول الجموعية في خمسة فرسان بقيادة ود المك أرض المحمدية وكان للمحمدية خمسة فرسان أيضاً في حالة طوارئ دائمة ورباط لدارهم صوناً لها من الدخلاء وكان من بين هؤلاء الفرسان الخمسة زايد ود أبو بلال وكان فارساً طويل القامة ونور الله أبو فديوة وهو عقيدهم ولم يكن طويلاً بل يميل إلى القِصَر وفي يومهم ذاك كان زائد يمازح نور الله قادحاً في مقاس قامته فرد عليه بقوله (إن شاء الله يا زايد تبقى علينا كتلة في الخلاء ويعادلونا نشوف أي عدل سيميل بأخيه ومن صلاح الرجل أنهم أدركوا خيول ود المك في يومهم ذاك على الحدود ودار بينهم قتال فقُتِل زايد وواحدٌ من فرسان الجموعية وحَمِيَ القتال بين ود المك ونور الله وهم يلبسون الدروع وكانت الفرسة التي يركبها نور الله شائعاً فَخَنَسَتْ أمام حصان ود المك مما جعل الدرع ينحسر عن ظهره فعاجله ود المك بحربة نفذت من ظهره إلى مقدمة السرج ولكن نور الله الشجاع قفز بحربته تلك على حصان ود المك حتى ركب خلفه واستل خنجره وبقر به بطن ود المك فاندلقت أمعاؤه وتواقف الفريقان إذ كان هناك تعادلاً أثنان من كل فريق وطلب ود المك من مرافقيه ربط أمعائه بالعمة وإخراجه سريعاً مسبباً ذلك بأن الكاهليات أن أَدْرَكْنَنَي هنا فَسَيحْشِينَ دُبُرِي بالكَنَشَة فَعَجِّلُوا إخراجي من هنا) [(١)].

---

(١) محمد إدريس حجاز (مقابلة شخصية) ١٩٧٠/ (والد الباحث) .

كان هذا الحادث في العام ١٨١٩م علماً بأن نور الله مولود في العام ١٧٥٩م أي انه غادر في الستين من عمره وبما أنه فارس القبيلة وحامي حماها فقد رثته شاعرة المحمدية قَنَنَابَ بقولها[١].

رَقَدْ رَاجِل الرَبطْ والحَلْ (قُتل).

كَتير رَايك رَقَدْ فَضَّل (وبقي لنا منك رأيك السديد).

الليلة نور الله مَا قَبَّل (غادر الدنيا الفانية).

المك المحينة الباقي حكم السيد (مك الجموعية).

بتغذا أبو قدوية بتدور ضرب الأيد (على أي شيء تحارب نور الله).

بِتَكَّي فوق سَلَطِيتُو ورَجَالتُو تزيد(أي نور الله) (أي يتوكأ أو يتبختر على رمحه).

فَاقِدِّنكَ الكواهلة من غرب لصعيد[٢]. (في الليلة الظلماء يُفتقد البدرُ أي نور الله).

هناك جيران آخرين في الشمال الشرقي هم قبيلة العوامرة تطور الصراع معهم حول الحدود إلى مواجهة بين القبيلتين وهي مواجهة أسيفه سُفِك فيها الدم المسلم والأسباب كان يمكن تداركها والتوافق حولها خاصة وأن القبيلتين تنتهي أصولهما لآل البيت فأما نسب المحمدية فقد عُرفَ وأما نسب العوامرة فيقول ماك مايكل أنهم جهينة[٣] .وينقل لنا صاحب حصاد القرون أنهم أشراف من آل البيت وذلك في ورقة نسب الخوجلاب العوامرة بالكلاكة .

---

(١) مخطوط للوسيلة قسم السيد عن الكواهلة .

(٢) الوسيلة قسم السيد، مخطوط الدرر البهية، ص ١٦.

(٣) ماكمايكل– تاريخ العرب في السودان، تعريب سيد محمد على ديدان، الكتاب الثاني، ص ٣٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم (لعن الله الداخل فينا بغير نسب والخارج منا بغير سبب). أو كما قال (ﷺ).

هذه شجرة بنسب الخوجلاب العوامرة نقلها الشيخ عباس البلة[١] من نسب الفكي المنصور خوجلي أحمد قرية محلية الربع الجزيرة .(إبراهيم والعركي وعلى أبناء محمد بن خوجلي بن ضوين بن أحمد بن على بن حسب الله بن سليمان بن النور بن مساعد بن محمد بن سمرة بن ملاك بن علي بن محمد بن أحمد عامر بن محمد بن حمد بن رافع بن عامر بن الحسين بن إسماعيل بن عبد الله بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن السيد الحسين بن الإمام على بن أبي طالب ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه) [٢].

فإن كان هؤلاء ينتهي نسبهم إلى إبراهيم بن موسى الكاظم والمحمدية ينتهي نسبهم إلى أخيه اسحق بن موسى الكاظم والاسمان موثقان كما سلف بواسطة الأمام بن حزم الأندلسي في جمهرة أنساب العرب، إن كان ذلك كذلك تكون القبيلتان قد ارتكبتا خطأً بل إثماً مبيناً وقطعتا رحماً كان واجب البِرّ والصِلَة وكل ذلك في لُعَاعَةٍ من الدنيا هي الصراع حول أرض كان يمكن أن تسع الجميع.

ما كَانَ كَانْ ونورد بعض التفاصيل فقط للتأريخ، حدثت المواجهة وكان ذلك في التركية السابقة فنظم المحمدية رجالهم ونظم العوامرة مقاتليهم في الصف المقابل تلون لحاهم الحِنَاء وهنا تدخل العقلاء فكان الشيخ ود عبد الدافع من الغُبُش وسيطاً يريد إطفاء نار الحرب قبل أن يشتعل أوارها فكان يخط للعوامرة خطاً، طالباً ألاّ يتعدوه ويفعل نفس الشيء مع المحمدية وهذا بلغة العصر الفصل بين القوات حتى لا يحدث احتكاك يفسد الوساطة وليأخذ الوسيط مساحة زمنية تمكنه من فعل شيء يدرأ الشر ولكنه كان عندما يعود للعوامرة يجدهم قد تخطوا الخط الذي رسمه لهم ويجد المحمدية

---

(١) سعد الدين محمد أحمد، حصاد القرون مجلد أول، ط١، ص ١٣٧.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

ثابتين على خطهم ويبدو أن العوامرة كانوا مصرين على القتال فخاطبوا الوسيط بقولهم : (يا ود عبد الدافع كان دايرلك عصيدة بي سمن أمشي أرجانا في البيوت)، يعني وساطتك مرفوضة فقال لهم متعجبا(أنا أخو الفقرا البعبدو الله حي .. أنا محتاج لعصيدة بي سمن؟) وبعد سماعه لهذا الكلام المستفز الذي يعني رفض الصلح دعا للمحمدية وقال لهم خذوهم من سافل وأهل الدائرة معكم[1]، ويبدو أنه كان للعوامرة قَنَّاصَاً استطاع أن يصطاد ببندقيته من على البعد فَارِسَي المحمدية أولاد خليفة ود بريقع من أمام صفهم وعلى فرسيهم فكان ذلك الشرارة التي جعلت المحمدية يَكِرُّون عليهم بلا هواده ويقتحمونهم اقتحاماً، أفقدهم صوابهم وكان شعارهم الذي يرددونه (تَارَكْ آخليفة، تَارَكْ آخليفة) فجاسوا خلالهم وأفنوا منهم عدداً كبيراً في وقت وجيز، يقال ملأوا منهم ثلاثة عَدَدَة جمع عِدَ والعِدَ هو البئر، أو القَليبْ...)[2] كان للعوامرة شيخ ضرير اسمه ود أبوزْميمْ يركب حصاناً سريعاً ويَرْدِفُ خلفه ابن ابنه يرقب المعركة من على البعد من خلال السؤال لحفيده هذا ولما انجلت المعركة عن هزيمة العوامرة سأله بلغته التي يفهما (هل السافل أكل الصعيد أم الصعيد أكل السافل) ويبدو أن مهمته إبلاغ الحكومة في حال انكسار العوامرة فأجابه الحفيد بأن السافل أكل الصعيد: فقال (خلاص العوامرة كِتْلَت بنا إلى الخرطوم) وأطلق لفرسه العِنَانَ فكان ينهب الأرض نهباً في سرعة البرق ولما فَطِنَ له المحمدية طلبوه بحصينهم ولكنه استطاع الإفلات منهم وأبلغ الحكومة في الخرطوم بأن المحمدية أفنوا أهله[3] وفعلاً رست باخرة الحكومة على النيل قِبَالَتِهُمْ وعليها العسكر وطلبوا من أبو الحسن ودكَرفِينْ من الحِسِنَّات وكان وقتها لديه الزعامة على الكواهلة .. طلبوا إليه أن يُمْلي عليهم أسماء رُؤوس الفِتْنَة كما سَمُّوها ولم يكن رجلاً حكيماً إذ أملي عليهم أسماء خمسين رجلاً من وجوه القوم من المحمدية وما ضر لو جعل الخمسين خمساً ... تم نفى الخمسين إلى فازوغلي ...فاصطدم به ود جار النبي موبخاً له على هذا التصرف الذي لا يَنِمُّ عن حكمة

---

(١) محمد إدريس حجاز، إضافة إلى أنها متداولة عند مجتمع القبيلة ١٩٧٠م (والد الباحث).
(٢) المصدر السابق ومن محفوظات القبيلة.
(٣) نفس المصدر السابق.

وكان كلام ود جار النبي الدارجي (المايل أب عُيُوناً بُيُضّ وِكتْ طلبوا منك أسماء كان تمليهم أربعة وله خمسة أسماء تقوم تمليهم أسم خمسين راجل تهلك القبيلة ... ما تخاف الله) [١].

أما مصير أولئك الخمسين المنفيين فقد مات منهم من مات بسبب البعوض أي الملاريا ومن بقى منهم تزوج من أهل المنطقة وأصبحت لهم ذرية وبقوا هنالك إلى أن ماتوا ولا يُعلم عن ذريتهم شيئاً ولم يعد من الخمسين إلى الديار إلاّ خمساً أتُوا بخبر الباقين[٢]. يقول أحد المؤرخين: (أن الوطاويط حكام البرتة في فازوغلي في الوقت الحاضر كلهم من مولدي العرب والسودان) [٣] ومما يتردد عند المحمدية أن هؤلاء الوطاويط حكام البرتة في فازوغلي هم نتاج اختلاط هذين الأصلين المحمدية المنفيين إلى هناك والبرتة.

هذه القصة والتي سبقتها إنما أثبتها شيخ العرب وشيخ المحمدية أباً عن جد(١٩١٨ – ١٩٩٤م) في منطقة شرق نعيمة[٤] فقد كان صاحب ذاكرةٍ وقَادَّة يحفظ كثيراً من تاريخ أهل السودان ومن تاريخ المنطقة بل ومن تاريخ المهدية لديه من أفواه الرواة ما لم يُسَطَّر في الكتب ومن أسفٍ لم يُسجل إلا ما علق بذاكرة البعض فقد توفى في العام ١٩٩٤م ومات معه الكثير مما لو سُجْل لأعطى تاريخاً يستفاد منه. أُثِبْتَ في النص بعض الكلام الدارج بين قوسين كما هو لأنه يعبر عن المقصود تعبيراً دقيقاً ومما رواه من وحي موضوع العوامرة والمحمدية أن المفتش الانجليزي المستر هيث كويرث جمعهم كمزارعين في مشروع أبو قوته في ليلة سياسية وكانت له حَوّاشة هناك وكان الوقت أيام حرب الطليان في كَرنْ ويبدو أنه يريد استنفارهم للحرب فخاطبهم بلغة عربية مُكَسَرة بلسان أعجمي، وينبغي ملاحظة أن هؤلاء القوم يحفظون أحداث مستعمراتهم ويعرفون كيفية تسخيرها لخدمة أهدافهم قال لهم كما روى شيخ العرب:

---

(١) محمد إدريس حجاز ١٩٧٠م (محكية محفوظة من قصص تاريخ القبيلة) .

(٢) مخطوط الوسيلة قسم السيد عن الكواهلة، لم يطبع كما أنه من المحكيات المحفوظة لدى القبيلة .

(٣) نعوم شقير ، ط ٢ ١٩٩٧م، ص ٧٥.

(٤) محمد إدريس حجاز. مقابلة شخصية ١٩٧٠م.

(هِي .. زمان وَكِت تركية سابق، مُهَمَّية وعوامرة اتشاكلوا .. محمدية أخذ هقو بيده.. أوامره جرى اشتكى للحكومة تفتكروا مين شجاع؟ فقالوا له شجعان العوامرة لأنهم احتموا بالحكومة أي استنصروا بها، فقال الخواجة: لا شجعان محمدية لأنه أخذ هقو بيده).. وعَلّق شيخ العرب بقوله: (تاريه الخواجه بن الكلب داير يُوَدِّينَا الحرب).. فقال الخواجة: (أي زول عنده جمل يجي يسجل عشان يمشي كرن). فتوارى الكثير من الحسانية وغيرهم خلف الأعذار ولما كان الخواجة بمقدمته تلك يقصد استنفار المحمدية قال : (خلاص أي صاحب جمل ما عايز يمشي يسلم جمله لواحد من المحمدية لأنه محمدية مستعد يمشي). وبالفعل تحرك عدد منهم على هذه الجمال وما أن وصلوا منطقة طيبة الحسناب حتى أُعْلِنَ عن انتهاء الحرب وفوز الانجليز وحلفاؤهم فعاد المحمدية بتلك الجمال ومُلِّكَتْ لهم[١].

من ناحية أخرى وأثناء الحرب العالمية طلبت الحكومة من العمدة النعيم ود الكريل تكليف ستة من شباب المحمدية للاشتراك في مهمة نقل العتاد للجيش الانجليزي من منطقة الروصيرص وبالفعل كلف ستة من شباب المحمدية وهو العدد المطلوب وقاموا بالمهمة خير قيام والشباب المكلفون هم: محمد احمد عبد الله الكريل، المعروف بالأحيمر، ٢/ ود أبو راس. ٣/ الهادي الشيخ إدريس. ٤/المرضي الشيخ دريس. ٥/ عبدالماجد أحمد خليفة (فزيعة الهَمْ) ٦/ عبدالقادر الأمين الوحيدو[٢]. وقد سجل موقفهم البطولي شاعر المحمدية الماحي ود حسين (كسيرة). في قصيدة شعبية تقول أبياتها:

---

(١) محمد إدريس حجاز (مقابلة شخصية قصة) ١٩٧٠م.

(٢) الوسيلة – مخطوط عن الكواهلة لم يطبع.

عجبوني وسروا بالي ** السَدُّوا العداد طوالي.(أي العدد المطلوب ٦)

الاحيمر يا كُحْل السَرَارِي ** الما قالوا لي جاري (أي أن الإحيمر لا يهرب)

دخل الحارّة البارودة غالي ** السدوا العداد طوالي(الحارة: المعركة حامية الوطيس)

ود أبوراس بالوحيد ** البيقفاك تركوا الجديد. (تركوا الفرحة).

الدخل الحارّة أم رعيد ** قال العِمِير عند السيد(أي موقناً أنه لا يموت قبل أجله)

عبد القادر ود الأمين ** القرن جُمَال واحدين (قام بالواجب نيابة عنهم وعلى جمالهم)

الدّخَل الغابة أم رطين ** الحَدَر أبْوَاتْ الحَنِين

عبد الماجد يا ود خليفة ** أبو سِيرةِ حلوة وطريفة

دخلت الحرب العنيفة ** راجلاً نفسك عفيفة ... الخ[1].

(١) الوسيلة: مخطوط عن الكواهلة لم يطبع.

الفصل الثاني

إدارة القبيلة ودورها السياسي في العهود المختلفة

الفصل الثاني

إدارة القبيلة ودورها السياسي في العهود المختلفة

مدخل:

نشأت ذرية الشريف محمد السائح جد المحمدية في كنف أخوالهم الكواهلة وبتقادم الزمان وتكاثر الولدان وتعاقب السنون والأجيال وتلاحق الأكتاف أصبح المحمدية من الكثرة العددية بحيث يحتاجون لقيادة تميز جمعهم وتظهر اسمهم وتدير حركتهم وإمارة تحفظ كيانهم فكانت القيادة الإدارية أو الزعامة في البدء في أبناء قدّورة بن محمد (أب أرنب) أما الدينية فكانت لعوض الله توأم قدورة الذي ذهب في سياحة لِعَشر سنين قضاها مع العركيين حيث تزوج منهم عائشة بابكر دفع الله مقبل وأنجب منها التوأمين الصالحين بطران وعبد الرسول اللذين أورثا صلاحاً ممتداً في الذراري[1] أفاد منه الكثير من الناس في بقاع السودان المختلفة كما سلف سابقاً وسنفصل لاحقاً خلال هذا البحث ولم ينحصر الصلاح في أبناء عوض الله وحدهم بل نجده في ذراري أشقائه مثل الشيخ محمد ود رحمة صاحب المسيد العامر والقصيد الراشد والدعوة الممتدة وهو من ذرية شقيقه إسماعيل بن محمد (أب أرنب).. ومثل أسرة الشيخ إبراهيم الكباشي الذي أقر خليفته الحبر بعد نقاش لجماعة منهم الشيخ عبد المحمود محمد رحمة أنهم محمدية حماداب[2] ولكنهم لا يعلنون ذلك لمكانتهم من الكبابيش فهم شيوخهم، وبتبادل الأدوار نجد أن أبناء شقيقهم محمود ابن محمد (أب أرنب) قد تولوا إمرة الدفاع عن هذا الكيان بل ويتدخلون أحياناً في ترشيد وإصلاح ما اعْوَج في القيادة الإدارية بغرض إصلاح المسار، وبرز منهم الصالحون أيضاً أمثال الشيخ على العسلوب وغيره كثر.

ورد سالفاً أن القيادة الإدارية أو الشياخة ابتدرها في البدء أبناء قدورة بن محمد (أب أرنب) فكانت البداية أونسه والبلاّل ويقطنون منطقة قوز عوض الله والشكابة الحالية خمسة عشر كيلو جنوب جبل الأولياء شرق النيل الأبيض[1].

---

(١) الوسيلة قسم السيد، مخطوط الدرر البهية في نسب المحمدية، صـ ١٨ .

(٢) أحمد الشيخ عبد المحمود محمد رحمة، ذكر أنه كان حاضراً للنقاش إضافة للوسيلة، الدرر البهية، ص١٣.

(١) الوسيلة قسم السيد، مخطوط عن الكواهلة غير مطبوع ص ٩.

تداول أولاد قدورة زعامة المحمدية من البلال إلى بن عمه عبدالله حمد المعروف بِشَر دَاقِسَة وكان من المهاجرية (تعني الهمباتة) وتركها وأصبح زعيماً على المحمدية ولما كان قاسياً في تعامله مع أبناء عمومته في تحصيل ضريبة الأرض والأفراد وهو ما يعرف بالدقنية وهذه الكلمة كانت متداولة كثيراً عند الكبار وكانت تُحَصَل لصالح الحكم التركي في السودان ومن المعروف تاريخياً أن هذه الضرائب كانت من الأسباب المباشرة للثورة ضد الحكم التركي فكانوا يقولون (عشرة رجال في تربة ولا ريال في طلبة)، وبسبب قسوته في التحصل واجه النقد حتى من أقرب أصدقائه ود دَمْسَا من المحمدية العوضلاب إذ خاطبه شعراً أطلق بموجبه المحبوسين بسبب الضريبة فقال: إياك شر دَاقِسَا شُغْلَك الْكَي فوق أنفسا .. جماعة ما بحانسا ... هَمَّلْت سَرِقَةَ الْحَسَا... فكهم قبل ما تحصل كارثه. وبسبب هذه الرياسة غير الحانية وغير الرفيقة فَقَدَ الرجل مكانته في الزعامة[٢] وبسبب عدم الرفق هذا تدخل فرسان القبيلة نور الله أبو فديوة وفضل الله من المحمدية المحموداب فأرغماه على التنازل لصالح شيخ جديد هو الحاج محمد بلة الشهير بالحاج ود كَرْدَم كان ذلك في العام ١٨١٤م[١] وكان عمر الحاج هذا خمس عشرة سنة فقط واستطاع أن يقود المحمدية مدة خمسين عاماً حتى سئم الشياخة وسئمته أي أواخر دولة الفونج وصدراً من الحكم التركي من العام ١٨٢١م وبعد محاججة ولجاجة ومحاصصة وتدخل بعض الأعيان ومنهم الشيخ الإمام ود جاد ولي الذي سبقت الإشارة إلى قصته مع شلعي أبو العافية زعيم الكواهلة ووقوف المحمدية إلى جانبه لهذا فهو كثيراً ما يدخل في قضاياهم بغرض الإصلاح وقد أثمر هذا التدخل الناصح عن تنازل الحاج ود كردم لصالح شيخ جديد للمحمدية في العام ١٨٦٤م هو إبراهيم إدريس الكريل والذي تنازل بدوره لأخيه عبد الله ود الكريل بعد صراع مع ود جار النبي لتبدأ بعبد الله ود الكريل حقبة زاهرة وثرة وغنية بالأحداث الجليلة إذ صادفت

---

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

ولايته على القبيلة ظهور الثورة المهدية وعايش فيها المهدي والخليفة وشهد نهاية الثورة المهدية وما بعدها[١].

(١) الوسيلة قسم السيد، مخطوط عن الكواهلة غير مطبوع ، ص ١٠.

المبحث الأول

ود الكريل مع المهدية في عهدها الأول

ولد الأمير عبد الله ود الكريل في نفس يوم وفاة عقيد المحمدية وفارسهم نور الله أبو فديوة في العام ١٨١٩م وعاش عمراً مديداً حتى العام ١٩١٤م حيث توفى عن عمر ناهز الخمسة والتسعين عاماً، قاد المحمدية في فترة ولايته قيادة حكيمة بل وأصبح إبان المهدية أميراً على المنطقة من حولهم ومتحدثاً رسمياً باسم أمراء بحر أبيض[١] وجنبهم الكثير من الزلل والحماقة الموفية إلى غضب الخليفة على بعضهم فقد كان رحمه الله صاحب بصيرة مبصرة وصاحب كلمة مسموعة عند الخليفة فكان لا يرد له طلباً وكان يعرف كيفية مخاطبة الخليفة في يوم بؤسه ويوم سعده ولولاه لطارت رؤوس زعامات دينية وإدارية[٢].

كانت الزعامة على الكواهلة في يد محمد ود جار النبي إبان الحكم التركي وهو من العرواب أي أبناء عروة بن يوسف كمال ولكن تعرض لمنافسة من أبو الحسن ود كرفين من الحِسِنَّات الكواهلة أخوال المحمدية وكانت سلطات الأتراك في مثل هذا الأشكال تعمل بمشورة شيخ العرب ود أبسن الذي كان يلقب بناظر البحرين بحر أبيض وبحر أزرق، وقد سعى ود كرفين لدى أبسن بِحِيَلٍ وطرقٍ شتى لمؤازرته على غريمة ود جار النبي وقد استطاع أن يكسب ثقة ود أبسن وأن يحيده إلى جانبه مما جعل ودا أبسن يقول: (قَرَّبْتَ أبو الحسن الرجال والمال أي أن قبيلته صاحبة ثراء وكثرة عددية، وأضاف وأبعدت ود جار النبي أهله قَدُرْ خُفْ البعير- أي قليلي العدد ومقدور عليهم – والتعبير بالكناية والتعريض هي طريقة السناب التي يبرعون فيها وفي الغالب ما تصل بهم إلى الهدف دون مشقة الحديث المباشر[٣]. فكان تحكيمه أن تكون النظارة بالتناوب كل عام لأحدهما على أن تكون البداية هذا العام لأبي الحسن ود كرفين وهذا نوع من سحب البساط من ود جار النبي بالتدريج ولكن ود جار النبي رفض هذا الحل بحجة

(١) الوسيلة قسم السيد، مخطوط عن الكواهلة غير مطبوع ، ص ١٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠ .

(٣) المصدر السابق، ص ٨.

أنـه معين بفرمـان تركـي ملـزم ولمـا ذهـب لإحضـاره عاجلتـه المنيـة فـي طريـق الرجعـة وضاع الفرمان فخلا الجو لأبي الحسن ود كرفين وأصبح ناظراً على الكواهلة مكان ود جار النبي وفي عهده حدثت المشكلة والقتال بين المحمدية والعوامرة التـي مَرَّ تفصيلها في الفصل الأول فقد رأيتم كيف جانبته الحكمة حيث تسبب في نفي خمسين رجلاً من وجوه المحمدية إلى فازوغلي لم يعد منهم إلا خمسة[١]، وبوفاة ود جار النبي الكبير عاد ولده حمد خلفاً لأبيه شيخاً لا ناظراً بعد تمرد الحسنات عليه، وأصبح شيخاً على العرواب والمحمدية أبناء عمومتهم وكان ذلك في العام ١٨٤٩م [٢].

بعد ستة عشر عاماً تخللتها إختلافات بين المحمدية والعِرواب نتج عنها فصل إدارة المحمدية عن ود جار النبي والعرواب في العام ١٨٦٥م فصار المحمدية يتبعون لوحدة الدويم وكل ذلك إبان شياخة إبراهيم ود الكريل الذي تنازل لأخيه عبدالله كما ورد سالفاً ليتوارث الشياخة هو وبنوه من بعده جيلاً بعد جيل إبان المهدية ثم الحكم الثنائي الانجليزي المصري The condmminum rule وخلال الحكومات الوطنية المتعاقبة بعد الاستقلال إلى أن حُلّت الإدارة الأهلية لتصبح الزعامة رمزية وشرفيه فقط[٣].

بعد النجاحات والانتصارات العسكرية الأولى التي حققها الإمام المهدي في أبا وما تلاها وهِجْرَته إلى قدير كانت القيادات الدينية والسياسية تأتيه من أرجاء السودان المختلفة للمبايعة والمؤازرة والولاء وبما أن منطقة المحمدية هي من ضمن مهد مراحل الدراسة للإمام المهدي، فقد درس على الأستاذ محمد شريف نور الدائم في الشكابة المحمدية التي تحمل هذا الاسم إلى اليوم، لذا تحرك منها وفد يضم عبد الله ود الكريل كزعامة إدارية وقبلية، ومن الزعامات الدينية الشيخ الإمام ود جاد ولي وتلميذه ود الزوين من الجميلية، والشيخ الإمام هو من أتراب ود الكريل وهو سماني الطريقة على الشيخ التوم ود بانقا . كان والده تاجر أواني متجول يأتي لمناطق المحمدية من جزيرة توتي موطنه الأصلي، عارضاً بضاعته وكان يتبعه الإمام ابنه صغيراً فلم يعجب ذلك

---

(١) الوسيلة قسم السيد، مخطوط عن الكواهلة غير مطبوع ص ٩.
(٢) المصدر السابق ص ٩.
(٣) المصدر السابق ص ٩.

محمد ود قسيان من المحمدية أبناء إسماعيل فاستأذن والده أن يذهب به إلى حيث يتلقى العلم فأذِنَ له فكانت قسمته تجارة العلم لا تجارة البيع والشراء وقد حفظ الجميل بأن أهدى ربع أجر مسيده لمحمد ود قسيان لهذا السبب وفاءً وعرفاناً، جدير بالذكر ان الشيخ الإمام كان ممن لا يؤمنون بالمهدية في قرارة نفسه ولكن للضرورة أحكام[١]، كذلك يضم هذا الوفد الذاهب للمبايعة من الغُبش العَرَمَاب الشيخ الحسين جَلِيس النبي وقد كان شيخاً ورعاً صادقاً لأبعد الحدود وكان يحب المحمدية ومعهم الشيخ محمد الأغبش الذي دعا للمحمدية بالبركة والنصرة من قبل، وبعد أن قطعوا الفيافي إلى قدير وقبل الدخول على الإمام المهدي قال الشيخ الحسين لمرافقيه على سبيل المناجاة والمسارة قال : إذا قام المهدي بتنصيب ود الكريل أميراً علينا فهو مهدي وينتفى ذلك أن نصبني أو نصب الشيخ الإمام[٢]، فالإمارة لها مواصفاتها الخاصة إذ النجابة وحدها ليست كافية ولعل أمير الشعراء شوقي كان صائباً حين قال[٣]:

وَكَم مُنجِبٍ في تَلَقّ الدُرو ** سِ تَلَقّى الحَياةَ فَلَم يُنجِبِ

دخلوا على الإمام المهدي بقدير وأدوا بيعة الولاء فقال المهدي موجهاً الكلام لأولاد الغبش في نداء محذوف ياء النداء: (أولاد الغُبْش أي يا أولاد الغبش- قُنَّاعَة مع ود الكريل ما في هو أميرٌ عليكم) فصدقت بذلك فراسة الشيخ الحسين والملاحظ أن المهدي لم يخاطب الشيخ الإمام ويبدو أنه كان يَجِدُ عليه شيئاً ويعلم عدم إيمانه بمهديته وإنما بايع تَقيَّةً فلما أدار الوفد ظهره للرجوع قال المهدي لجلسائه (إحذروا إبليس وجنوده بجبل أولياء وود الهبيل) [٤] وهي كلمات لا تقدح في إيمان الرجل بقدر ما أنها نوع من الهجوم الشخصي لأن الإيمان بالمهدية ليس من أركان الإيمان الست وهي (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) إيراد مثل

---

(١) محمد إدريس حجاز (مقابلة شخصية ١٩٧٠م) إضافة إلى تأكيد شفاهي مع الوسيلة ٢٠١٣م.

(٢) الوسيلة قسم السيد، مخطوط عن الكواهلة ، ص ١٠.

(٣) ديوان أمير الشعراء أحمد شوقي، الشوقيات .

(٤) المصدر شفاهة محمد إدريس حجاز (لقاءات مباشرة) ١٩٧٠ (والد الباحث) .

هذه الأقوال ليس المقصود منها الإساءة لأحد ولكن فقط لعرضها للتحليل والغوص فيها للوصول إلى ما وراء الكلمات فقد لا تكون مقصودة لذاتها.

من ناحية أخرى كان لهذا الوفد تعليقاً على الشخصية المُبَايَعَة بعد خروجهم من عنده.. تَصَدَّرَ التعليق الشيخ الإمام نفسه بقوله (مَاهُو مَهَدِي فقال له أولاد الغبش كيف عرفت ذلك؟ فقال: أنه يسقط عليه الذباب، فضحك ود الكريل وقال جَعَلْتُه نَبي كمان)؟ وصمت الغبش ولم يعلقوا وصار ود الكريل (أميراً مناصراً للمهدية حتى سقوطها في العام ١٨٩٨م على يد الجيش الانجليزي المصري بقيادة كتشنر[١].

---

(١) الوسيلة – مخطوط عن الكواهلة غير مطبوع، ص ١٠ و ١١.

المبحث الثاني

ود الكريل وخليفة المهدي

لا شك أن بداية حكم الخليفة كان محفوفاً بالمكاره وعدم الرضا من الكثير من أهل البحر ومن الأشراف ربما حسداً وربما طعناً في أهليته للحكم وربما للعصبية التي هي من فعل الجاهلية ولم يكن هذا الموقف حكيماً إذ جعلهم عرضة لبطش الخليفة ونقمته وعن السلطة يقول أمير المؤمنين عمر (إنَّا لا نطلبها ولكنا نكره العزل عنها) فكيف بمن هو دونه ولذلك فقد بدأ الخليفة عهده بالهجوم على مراكز التأثير مُرَكَّزاً هجومه على العلماء والزعامات الدينية حتى لا يؤثروا على العامّة. فمن أقواله الدالة المنقولة والمتداولة (فقرا البحر كلكم أولاد حَرُّوم، أي تُدْعَون بأسماء أمهاتكم دون الآباء: ود أم حقين، ود الزهراء ود أم مريوم ود رَيَّا ...الخ) [(١)] والمعنى البعيد هو الاهانة والتقليل من الشأن وفي تعاملنا البسيط فإنك حين تدعك أُذُن الطفل أو تقرصها فيصرخ تقول (له ود المَرَة) أي أن أبناء الفحول لا يصرخون فذاك القول من هذا القبيل بقصد التصغير من الشأن. غير أن ود الكريل بنظره الثاقب وبديهته الحاضرة فقد سلك سلوكاً آخر أكسبه ود الخليفة وجعله من المقربين له بل وأسكنه إلى جواره فقد كان بيت ود الكريل في الموقع الذي شيد عليه مستشفى أم درمان الحالي[(٢)] وكان الخليفة يرتاح لحديثه فهو لا يضحك ملء شدقيه إلا في مجلس فيه ود الكريل وكان يعمل بمشورته ويقدمه على أُمراء بحر أبيض في الرأي والمشورة، وبهذه الصلة القريبة والثقة فيه استطاع ود الكريل أن يصرف سيف الخليفة عن رؤوس قد أينعت وحان قطافها لدى الخليفة ومثال لذلك من أمراء بحر أبيض ناصر ود نمر فقد كان فارساً مهاباً لا يشق له غبار ولكن كان مندفعاً تنقصه حكمة ود الكريل التي هي لا رَيثٌ ولا عَجَلُ أما ناصر فكان يجابه الخليفة بالصوت العالي حين المشورة مما جلب عليه نقمة الخليفة فكان يناديه باسم أمه يا ودتام زينو إذلالاً فيرد عليه ناصر أنا يا خليفة المهدي ود نمر ود بشارة ود شلعي- وكلهم كان قائداً للحسانية،في منطقة النيل الأبيض ولما كان

---

(١) المرحوم محمود عبد الله قدم الخير (مقابلة بمنزله بتعويضات بيت المال بأمدرمان) ١٩٨٤م..

(٢) الوسيلة، مخطوط الدرر البهية، صـ ٢٣ .

الخليفة لا يطيقه فقد قرر قتله ولكن شفاعة ود الكريل أجلت ذلك[١].. فقال له يا خليفة المهدي (ناصر ما الزول البيقتلوه فهو فارس وضو قبيلة .. وخَلِيْهُ ليوم الحارّة)، أي لعل الله يريك منه ما تَقَرُّ به عينك، فعدل الخليفة عن قتله ولكن وضعه في السجن ليكون قريباً منه ... ومع بوادر أخبار تحرك جيش الغزو الانجليزي المصري، ظهرت للعيان من بعيد أجسام بيضاء طويلة بأرجل حمراء على قمة جبال المرخيات فتساءل الخليفة من يأتينا بخبرها؟ فانتهز ود الكريل الفرصة وقال للخليفة أن ناصراً أهلٌ لذلك فَأَرْسِله فإن قُتِل فقد تخلصت منه وإن أتانا بخبر العدو فقد أشترى نفسه منك فوافق الخليفة على الفكرة بإسراج حصان قوي سريع لناصر من حصين الخليفة وسيف ماض وكانت لديه بندقية[٢]، وحين التحرك، أسرّ إليه ود الكريل في أذنه بقوله: (شفت الطير داك أقتل لك فيه واحدة وتعال أرميها لينا هنا وفوت أهلك) وفعلاً وجد ناصر أن هذه الأجسام ما هي إلا أسراب من طيور الباجبار فاصطاد منها واحدة كما طلب منه ود الكريل واتى غائراً حصانه على جناح السرعة وكان شكله من على البعد متغيراً ومرعباً أضطر معه الخليفة ومن معه إلى التحول إلى الداخل مخافة أن يصيبهم منه أذى فهو في لحظة هياج فقذف بصيده ولحق بأهله[٣].. ويبدو أن ود الكريل قد أدرك بنظر ثاقب أن الدولة في أضعف حالاتها وأن نهايتها قد دنت وأنها لن تستطيع مقاومة الغزاة وأن يد الخليفة التي كانت طويلة في الوصول إلى المعارضين قد وهنت ولم يعد بإمكانها الوصول لأحد لذلك طلب من ناصر اللحوق بأهله فلن تطاله يد الخليفة .

وممن لم يكن له في ود الخليفة نصيب من مشائخ الدين، الشيخ الإمام ود قيدولي الذي أسلفنا أنه ممن لا يؤمنون بالمهدية بل ممن يكرهون الخليفة ويدعون للخروج عليه مؤازرة لموقف شيخه الاستاذ محمد شريف نو الدائم، ولما كان ود الكريل ترباً للشيخ الإمام وأصبح واحداً من نسيج قبيلته فواجب الإمارة على المنطقة يدعوه

(١) الوسيلة، صـ ٢٣ + مخطوط الوسيلة عن الكواهلة . (لم يطبع).

(٢) الوسيلة، مخطوط عن الكواهلة + عوض أبو المعالي من الرِكاب إلى التراب. رقم الإيداع ٢٢- ٢٠٠٤م، ص ٣٧.

(٣) الوسيلة قسم السيد، مخطوط عن الكواهلة .

لحمايته فأبعد عنه شبح القتل الذي أزمعه الخليفة فاستطاع ود الكريل مداراته حتى أصبح الخليفة نفسه في خبر كان وعاش الشيخ الإمام من بعده سنين عدداً حتى توفاه الله في العام ١٩١٩م[١] أي أنه عاش قرناً من الزمان رأي خلاله ليالٍ مثقلات يلدن كل عجيب.

من المعضلات التي واجهها أمراء بحر أبيض وحلها ود الكريل أن الخليفة قد استدعى الأمير يعقوب جُراب الرأي وقال له أني قد وصلتني شكاوي من بحر أبيض تقول بأن الجَهَدِية يسطون على الناس في بيوتهم يأخذون منهم ما يشاؤون من أكل وشرب وغيره من متطلبات الحياة عُنْوَةً فإن كان الحال كذلك، فإني أُخيَّرُك بين أمرين: قطع الرأس أو النفي إلى الرجاف وبالمقابل جمع الأمير يعقوب أمراء بحر أبيض يخبرهم خبر الخليفة معه ويخيرهم هو أيضاً بين الرجاف وقطع الرأس فقال له ناصر ود نمر في عجل نختار قطع الرأس وفي الإجابة يأس من عدالة يجدها عند حُكامه هؤلاء فزجره ود الكريل بقوله وماذا يساوي رأسك عند الخليفة إن كنت لا تحسن القول فأسكت وشرع فوراً في المعالجة فقال للأمير يعقوب (إن هؤلاء الجهادية حرفتهم الجهاد فلا مزارع لهم ولا مطاحن وإنما يأتوننا يطلبون ما يسدون به جوعهم ورمقهم، (كِسِيَرة أو لِبينة أو روبية) فَنُكْرِمَهم بها عن طيب خاطر وليس في الأمر غَصْبٌ وإذلال، فَسُرَّ عن الأمير يعقوب وقال لود الكريل أو تستطيع تكرار هذا الكلام أمام خليفة المهدي يا ود الكريل فقال له بلي وبالفعل كرر هذا الحديث على مسامع الخليفة[٢]فعفا عن الأمير يعقوب وعفا هو بدوره عنهم فأدرك ناصر حينها أن الرأي قبل شجاعة الشجعان.

لود الكريل نوادر وطُرَف مع الخليفة منها مثلاً: (حدث أن أشاع أحد الجهدية لدى الخليفة أن ود الكريل لا يصلي فقال له الخليفة يقال أنك لا تصلي يا ود الكريل (فرد عليه كيف أصلي وأنت موجود يا سيدي)؟ أي أنت تحمل عني عبء الصلاة. فقال الخليفة (سَوِّي ليك عِرْوَة) – أي عمل عشان أدخلك الجنة فقال ود الكريل:

---

(١) الوسيلة، المصدر السابق ص ١٠.

(٢) المصدر : محمد إدريس حجاز (لقاء مع الباحث) ١٩٧٠م.

(دردقني بِطِيخِيَّة معاك ساكت يا خليفة المهدي) (أي: أشفع لي ولو كنت صفر اليدين من أي عمل). وضحك الجميع لهذه الملحة الطريفة[١].

وطرفه ثانية: كان خليفة المهدي يصلي بالناس إماماً في صلاة جهرية وكان من المأمومين ود الكريل فأخطأ الخليفة في القراءة فقام أحد العلماء بإصلاحه ويقال أنه الشيخ الحسين ود الزهراء وكان الخليفة يبغضه فلما قضيت الصلاة استقبلهم الخليفة بوجه عابس وقال: من الذي خرب الصلاة ويبدو أنه كان يعلم من هو ولكنه قصد أن ينال منه فإن هو سكت عرف عند الحاضرين بالجبن وإن هو تكلم نكل به أمام الملأ وسكت الجميع ولم ينبس أحد بِبِنْتِ شَفَة، فبادر ود الكريل إنقاذاً للناس من هذا الحرج باستخدام الطُرفة فقال: (الصلاة محضورة يا سيدي الخليفة ده أخوك الخضر (أي: الرجل الصالح) عدلك فضحك الخليفة قائلاً مقبولة مِنَّك يا ود الكريل)، والخليفة ليس رجلاً ساذجاً وإنما كان يدرك أنها إنقاذاً للموقف قام به ود الكريل لذلك، أمضى له ما أراد والحقيقة أن ود الزهراء بين أمرين أحلاهما مر، إما أن يجاري الخليفة فيفقد هيبة العلماء وإما أن يعارضه علناً فيفقد حياته ذاتها وذلك ما حدث فمات مفئوداً في سجن الخليفة والشاعر يقول[٢]:

ومن نكد الدنيا على المرءِ أن يرى *** فيها عدواً ما من صداقته بدُّ

وطرفة ثالثة: سببها أبنه حسين الذي علق حين سمع بزاوج الخليفة الأخير قائلاً هذا الرجل مازال مولعاً بالنساء، فخشى ود الكريل أن تصل هذه الكلمة إلى مسامع الخليفة فينكل بحسين فأصطحبه معه إلى الخليفة وقال له لابد أن تقتل حسيناً حتى يكون طاهراً من قوله القبيح وأخبره القصة حتى لا تأتيه من أحد آخر، فقال الخليفة (حسين ولدنا بِدُّوه الهدية ما بقتلوه)، ونجا ود الكريل وابنه بهذه الحيلة من غضب الخليفة.

ومن طرائفه أنه كان في مجلس الخليفة فمر أحد التعايشة بهم يقود بقرة فقال: (البعرف الفي قلبي ده له هذه البقرة) فقال ود الكريل لابنه حسين: (أربط البقرة عندك

---

(١) مخطوط الوسيلة عن الكواهلة، كما قصها على الباحث الدكتور صديق ناصر مدير سابق لجامعة أم درمان الإسلامية، فأمه بنت السيد الكريل. ٢٠١٣م.

(٢) الوسيلة، مخطوط عن الكواهلة، غير مطبوع ص ١١- ١٢.

وقال للجهدي، أنا عرفت الفي قبلك أنت تحب المهدي وخليفته) فبهت الرجل وأسقط في يده وقال: نعم صدق ود الكريل أنا بحب المهدي وخليفته وأخذ حسين البقرة من هذا التعايشي، لا يعني كل ذلك عدم الجدية عند ود الكريل بل كان رجلاً حازماً ولكنه كان يعلم أن في الحاكم وقَبِيلُه تَجَاوَزَاً لابد من مقابلته بالحكمة بغض النظر عن مسببات هذا التجاوز، وبتصرفه الحكيم تجاه كل ما حدث استطاع أن يكسب ثقة الحاكم وأن يُسْبِلَ سِتْرَاً سَاتِرَاً على نفسه وعلى قبيلته وعلى من معه من أمراء بحر أبيض وقبائلهم[١] .

وللخليفة نفسه طرف مع آخرين، فأثر عنه قوله الناس معنا ثلاثة واحدً يخاف الله ولا يخافني مثل ود البدوي هذا، وآخر يخاف مني لا من الله مثل ود البنا هذا .. وثالث لا يخافني ولا يخاف الله مثل النور عنقرة هذا والعهدة على الراوي لأن مثل هذا الحديث يجئ على ألسنة الرواة ولم تسجله كتب التاريخ... وله أيضاً أنه وهو منسحب من أمدرمان وجد ود البنا الشاعر يخبئ نفسه في مكان ما فقال له ساخراً ما هذا ود البنا فرد عليه بقوله: يا خليفة المهدي ﴿وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾ [٢]، والإجابة ذكية ولكن الخليفة قابلها بقوله: (أنت في كتاب الله ما لقيت إلا آيات الاختباء هذه لتحفظها، بالطبع كان الحوار في لغة دارجة طريفاً وظريفاً [٣]، رحم الله الجميع ونحفظ لود البنا رائعته الخالدة المعركة وجيش المهدي التي مطلعها:

الحربُ صبرٌ واللِّقاءُ ثباتُ ** والموتُ في شأنِ الإلهِ حياةُ .

فهذه المعاني لا تصدر إلا من نفس مؤمنة.

خلاصة القول عن الأمير ود الكريل أنه كان رجلاً كَيّسَاً وقائداً رحيماً بقبيلته حافظاً لحرمة جيرانها وحرمة القبائل التي تحت إمرته ومن حُنُوّهِ على أهله لم يضغط عليهم كثيراً في استنفارات المهدية إلا في معركة كرري عندما أصبح الجهاد مُتَعَيّنَاً حيث طلب منه الخليفة ومن بعض الأمراء الآخرين أن يذهبوا لاستنفار الناس للقتال

---

(١) الوسيلة، مخطوط عن الكواهلة، غير مطبوع ص ١٢.

(٢) سورة التوبة جزء من الآية رقم (٥) .

(٣) رواية المرحوم محمود عبد الله قدم الخير . بمنزله بتعويضات بيت المال، العرضة شمال ١٩٨٤م.

وفي معركة فاصلة كما ورد في كتاب حياتي لبابكر بدري [(١)]فاسرج ود الكريل أثني عشر فرساً بفرسانها منهم عبد الحفيظ حامد النور من المحمدية العوضلاب ومنهم الشهيد إبراهيم الرضي من المحمدية المحموداب ومنهم ود عطا من القدوراب وآخرين .... استشهد منهم إبراهيم الرضي في معركة غير متكافئة حصد فيها سلاح الغازي أرتالاً من أهل الإيمان وكانت المعركة في يوم الثلاثاء إذ قال شاعرهم ما يبدو أنه نشيد المعركة لأنه ورد في أكثر من كتاب منسوباً لأكثر من شهيد وقد ورد في مخطوط الوسيلة [(٢)]وفي حصاد القرون [(٣)].

ما بجري تقيل علي ** بنات آدم بفاشن بي (أي: يفضحنني)

بنات الحور بعاينن لي ** ما بجري تقيل علي (أي: الحور في انتظاره).

يوم الثلاثاء صباح جونا السُناح وقباح ** حِسّ الجُلة فوقنا صاح (أي: الغزاة المستعمرين).

في جموعنا ضربوا سلاح ** وجَبَتْ جَنّة المِصْبَاح

ما بجري تقيل علي (أي: لا أتولى من الزحف).

للذنوب أسرف لقتالنا ما أتوقف

العاش غِنِم واتْصَرَّف والمات في الجنان خَرَّفْ (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر).

ما بجري تقيل علي

الكانوا بيوانسونا عند الحارة ما نسونا

يوم الانجليز جونا شردوا الأمرا خلونا (أي: نجوا بأنفسنا وتركونا).

ما بجري تقيل علي [(٤)]

---

(١) ورد في كتاب حياتي لبابكر بدري تحقيق علي بدري، ج ١، صـ ٢٩٦، الآتي : (وكذلك طلب الخليفة من محمد البصير وعبد الله عوض الكريم أبو سن والعباس العبيد وود الكريل وغيرهم من الأمراء أن يذهبوا لذويهم لاستنفار الرجال المستحقين للجهاد) .

(٢) مخطوط الوسيلة قسم السيد عن الكواهلة غير منشور ص ١٢.

(٣) سيف الدين محمد أحمد، حصاد القرون، ط١، ج١ ص ٥٩٣ منسوبة للأمير شكر الله خوجلي من الكلاكلة.

(٤) مخطوط الوسيلة عن الكواهلة غير مطبوع ص ١٢ .

ود الكريل في عهد الحكم الثنائي:

بعد انتهاء الدولة المهدية على يد كتشنر تفرغ ود الكريل لقبيلته يصرف شأنها وشأن القبائل التي تحت إمرته مثل الجميلية وهم من بطون العبابدة والبجا، والحامداب وهم حسِنَّات عويضاب، أو مغاربة كما يدَّعي البعض منهم ومعه المتابير وهم عركيون جهينة ومعه السريحاب وهم يقولون أنهم جعليون، والصندوداب والناصراب والعرماب.. كل هؤلاء كانوا تحت إمرة عبدالله الكريل وبتقليب المعاني لكلمة الكريل يُخْلَص إلى أنها تعني جمل الشيل الذي يكُرُّ معه كل الأحمال أو حامل هموم الآخرين أو العود الصلب لا تحرقه النار يبقى خلال الفحم لصموده تزوج عبدالله الكريل خلال حياته ست نساء، أنجب من خمس منهن أثني عشر ولداً ذكراً وثمان من البنات [١].

في العام ١٩٠٨م قامت حركة عبد القادر محمد إمام ود حبوبة، والجدير بالذكر أن ود حبوبة ليس من الحلاويين كما يعتقد كثير من الناس وكما درج المؤرخون أن يكتبوا فالحلاويون هم أخواله وأرضهم مهد حركته ولكنه كاهلي من الحسانية الرحماب [٢] وكان ود الكريل يعلم ذلك جيداً ولتعذر تحركه لعامل السن أرسل أبناءه النعيم وإدريس ومقبول ليكونوا عوناً لود حبوبه ولكن عند وصولهم كان كل شيء قد انتهى فلما، رآهم الخواجة الذي كان يُدَوِّن الأحداث تصرفوا بذكاء وحكمة تشبه حكمة أبيهم عبد الله ود الكريل وبسؤاله عن سبب مجيئهم قالوا له إنما جئنا لقتل الدرويش يعنون ود حبوبة فَدَوَّن الخواجة ذلك وشكرهم ولو علم حقيقة الأمر لنكبوا نكبة ود حبوبة [٣].

وبما أن المؤرخ مستر هل يأخذ معلوماته من مثل هذه المدونات فقد فهم من المدونة أعلاه أن ود الكريل قد ساهم في القضاء على ثورة ود حبوبة والأمر عكس ذلك تماماً [٤].

---

(١) الوسيلة المصدر السابق ص ١٣.

(٢) الوسيلة قسم السيد، مخطوط عن الكواهلة غير مطبوع ص ١٥، كما أكدها للباحث سيف الدين البصير من الحلاويين في لقاء بالمسجد الشاهد . مايو ٢٠١٥م.

(٣) المصدر السابق ص ١٥..

(٤) الوسيلة ، المصدر السابق ص ١٥ .

وفي العام ١٩١٤م رست سفينة القيادة في مرفئها الأخير بالأمير عبدالله ود الكريل عن عمر ناهز الخمسة والتسعين عاماً كانت حافلة بجلائل الأعمال في خدمة أهله وقبيلته ووطنه... ليمسك المقود من بعده، ابنه النعيم كَعُمْدَةٍ من المشاهير من أهل الإدارة الأهلية في عهد حكم استعماري فقد أثبت جدارة وحنكة جعلت الانجليز يحترمونه ويقدرونه وخصوصاً الخواجة الشهير المستر ريد الذي كان مديراً لمديرية النيل الأبيض وكان صديقاً للعمدة ويحب حديثه الناقد لهم.. ومما قيل من مناحة عند موت الأمير ود الكريل [١].

شوف ود الكريل عقيد الخيل.

رقد فحل القبيلة أبو إدريس حمله، تقيل شن بشيلا

رقد أبوك يا المقبول عقيد خيلاً بجن دردور

(وشرح ذلك كله بالفصحى أن موت ود الكريل بنيان قوم تهدم، كأنه موت أمةٌ).

---

(١) المصدر السابق ص ١٥.

المبحث الثالث

العمدة النعيم ١٨٧١-١٩٤٠م

في العام ١٩١٤م عند وفاة الأمير عبد الله ود الكريل تولى الزعامة ابنه النعيم وهو في الثالثة والأربعين من عمره فحكى سيرة والده حزماً وعزماً وإراده وملحة وطرافة وحكمة رغم أنه كان يُنْبِذ أحياناً لتهدئة انفعال النفس وكانت له مجالس وطرائف مع صديقه الصدوق ذلك الشجاع المهاب أحمد الكنين من أولاد قسيان [(١)] وقد كانوا أصحاب نَعَمٍ كثيرة وكل الهجرات إلى الصعيد مع الرزق تقريباً من أبناء إسماعيل جد قسيان وشقيق الخمسة من أبناء كريل ومحمد وكان العمدة النعيم يُسَمِّي السماعاب هؤلاء جنينتي تصغير جَنَّة ويعني بذلك جنينته التي يأكل منها بل ويعتمد عليها في الطلب والقطعان وهي الضرائب التي تُحَصَّل على الحيوان لصالح الحكومة، ورغم أن الشيوخ والعُمَد كانوا يراعون أفراد قبائلهم في ذلك أكثر من مصلحة الحكومة ولا يُسَجِلون العدد الحقيقي من الحيوانات المملوكة لكل شخص حتى لا يُثقلوا عليهم في الضرائب إلا أن العربي يميل دوماً إلى الحرية ولا يستكين للقيود أبداً.. وفراراً مما يُحَصِّل العمدة من ضرائب على قِلّتِها فقد هاجر عدد كبير من السماعاب جنوباً إلى إيدين ود عبيد جنوب الدويم على النيل الأبيض وقد حاول العمدة النعيم إعادتهم مستنجداً بالمفتش الانجليزي لأنهم مصدر دخله فلم يعد منهم إلا القليل وفي ذلك تقول أخت النعيم المتزوجة في هؤلاء السماعاب والمنحازة لأبنائها منهم كأنما تبعث رسالة من مهجرها الجديد [(٢)].

يا تُور كُرَّ وزِيم ** (أجار كما تريد وخذ حريتك)

ضَرَبْنَا الكِتْر أب رَضِيم ** (أي أتخذنا مضاربنا حيث لا قيود .. الخلا ولا الرفيق الفسل) .

وكَجَّنَا بِلِيد النعيم ** (أي كرهنا وهجرنا)

---

(١) مخطوط الوسيلة عن الكواهلة ورواية عن محمد إدريس حجاز (مقابلة شخصية) ١٩٧٠م .

(٢) عبده البلال الكريل ومحمد المهدي أحمد حجاز وهي مما يردده ويحفظه غالب بيوت المحمدية .

وكَجَّنَا النعيم

وحتى خَالُه القِصَير أب قِدِيدِيمْ.(وصف بعدم الملاحة).

ولا يُعلم ما ذنب خاله ولكنها الحرية تمارس في أبعد مجاليها قولاً حتى ضد العمدة ولا يفعل العمدة غير أن يداعب اخته لتسمعه ما قالت فيه من شعر ناقد وحدث أن تشاجر صديقه الكنين مع صهره، صهر العمدة، في الزراعة فطعنه الكنين بمديته طعنة وقعت بين العنق ووترة العنق، فلما جيء بهما إلى العمدة أدخلاه في موقف حرج هذا صهره وذاك نجيه وخليله فمال إلى الكنين مناجياً بحيث لا يسمعه أحد (الكنين الزول ماك كاتلوا ... (أي: كدت أن تقتله). كان تطعنه في مكان لا يراه الناس ويهدده في نفس الوقت، فحبسه في سجنه لمدة سبعة أيام تجاوز فيها الرجل الطعين مرحلة الخطر وأرسل الكنين إلى المركز بالقطينة فحكم عليه حكماًَ مخففاًَ بالحبس لمدة بسيطة لاقي فيها عنتاً من المأمور وهو في الغالب مصري وكان الكنين يتحين الفرص للانتقام منه وواتته الفرصة حين قدم المفتش الانجليزي بعفشه من الخرطوم على الباخرة فاستنفر المساجين لنقل العفش ولما لم يكن وقتها هناك ثلاجات عَمَدَ الكنين إلى أهم شيء وهو زير المفتش فانزلق به عامداً من سقالة الباخرة فكسره مدعياً أن ذلك من آثر الجوع وأن المأمور لا يوفر لهم الطعام فاستشاط المفتش الانجليزي غضباً وعلا المأمور بدُرَّتِه على رأسه محتجاً على أجاعته لمساجينه والكنين ينظر في غِبْطَةٍ إلى عَلْقَةِ المأمور ومثل هذا الدور عند الكنين والعمدة كثير نكتفي منه بهذا المثال.

كان هرم السلطة بالنسبة للإدارة الأهلية يبدأ من تحت من الشيخ رأس القبيلة المباشر واللصيق ثم العمدة وفوقه وكيل الناظر ثم الناظر ثم المأمور ثم المفتش الانجليزي ثم مدير المديرية وهو انجليزي أيضاً ولكن العمد كانت لهم مساحة من التصرف في قبائلهم طالما أنهم موسومون بالعدالة والرأفة وتستأنف أحكامهم إلى من هم أعلى منهم.. إلى وكيل الناظر والناظر إلى أعلى هرم السلطة وكل قبيلة لها شيوخها وعمدتها فمثلاً كان على المحمدية العمدة النعيم ود الكريل وعلى الحسنات العمدة ود الكنين والعمدة ود صغيرون وفي نعيمة دار الحكم العمدة محمد عبدالقادر

هباني... أعقبه بعد موته شقيقه العمدة مهدي وفي الهشابة على محمد إدريس هباني، وفي الشوال العمدة ود مصطفى خال الإمام الهادي [(١)]وفي أم جر العمدة الزين وفي الدويم عمدة الجعافرة ود حسن وفي ود نمر العمدة الكمبيلي محمد إدريس هباني وفي العلقة ود مسلم ومن الغلاماب العمدة التوم ود رجبة وكان في القطينة المجتمع الخليط من الدناقلة والجعليين والشايقية وأقليات أخرى كان عليهم العمدة خليل عبد الرحمن من الدناقلة وعموديات أخرى صغيرة مثل العمدة يونس على أولاد الريف والعمدة قيلي في منطقة ود شلعي وسكانها أيضاً ممن وفدوا إلى المنطقة من وقت بعيد وأصبحوا جزءاً أصيلاً من نسيجها الاجتماعي أما الوكلاء فلم يخرجوا من عائلة إدريس هباني الناظر الذي اختاره الانجليز بدلاً من ابن عمه ناصر ود نمر لِتَؤُدَةٍ ودَمَاثَة ورَوِيّة في ود هباني يفتقدها ناصر ود نمر الذي يعتمد على قوة الشكيمة وعصبية المزاج دون إعمال الرأي [(٢)].

كان للانجليز احتفال سنوي يجتمع فيه كل هؤلاء وبعض مواطنيهم وكان هذا الاحتفال يسمى عرضة ريد عندما كان المستر ريد مديراً لمديرية النيل الأبيض، تجري في هذا الاحتفال المسابقات وتمنح فيه الجوائز للمتسابقين فينا لها كل من اشترك وفاز باجود حصان أو أجود حمار أو أحسن ثور أو أكثر إنتاج... الخ بل حتى الطيور الداجنة فهناك من يفوز بأحسن ديك... ويمكن أن تقدم في هذه العرضة الشَكَاوَيَ والظِلاَمَات للمفتش الانجليزي ضد الحكام المحليين أنفسهم فَيَبُتُّ فيها المفتش الانجليزي على الفور وهو سلوك يمكن أن يُطْلَق عليه بين الشعب والحاكم ينزل فيه الحاكم للمواطنين ليشيع بينهم البهجة والمسرة من خلال الاحتفال وليستمع إلى قضاياهم ويسعى في حلها وليتأكد ميدانياً أن حُكَّامَه المحليين من أهل الإدارة الأهلية يقومون بدورهم جيداً ويشيعون العدل بين الناس يعني نوع من الرقابة والتفتيش والملاحظة.. وأشعار ذلك الزمان من الدوبيت تعكس لنا عدم تهاونهم مع من يهدد أمن المجتمع فيقول قائلهم:

---

(١) محمد إدريس فهو شيخ إدارة (مقابلة شخصية) ١٩٧٠م (والد الباحث) .

(٢) المصدر السابق .

(يا عبد الله أخوي مالك مِحَمِّر فِيّ كان ما حُكْم الانجليز واليد بِقَت ملويَّة كنت أبيعك فـي الدلالـة وأشْرَبَك عَسَلَية) [١].(وشـرح ذلـك لفما تنظـر لـي شـذراً فلولا الحكم الإنجليزي الغاشم فلبعتك بيعة وكسٍ واشتريت بثمنك خمراً أشربها).

ومما يروى في عدم التهاون في الأمن كمثال أنه حدث أن قبضوا على قاطع طريق خطير يُدْعَى كِرَّه كان يهدد الأفراد والقوافل وكان مصدر إزعاج شديد للسلطات فلما ظفروا بـه قتلوه شَرَّ قِتْلَه وجعلوا منـه عبرةً لكل من تُحَدِثُه نفسـه بـالإخلال بـأمن المجتمع إذ لَفُّوا جَسَدَه بقماش كَثِيف من الدمورية وصَبّوا عليه البنزين وأشعلوا فيه النـار حياً فلم تقم لجماعته قائمة من بعد ذلك [٢].

أما العمدة النعيم ود الكريل فهو من أشهر أهل زمانه من العُمَد في المنطقة وكان صـديقاً لمسـتر ريد [٣] يسـتعين بـه فـي حل القضـايا العويصـة بين الأهالي وبين أهل الإدارة أنفسهم فحدث أن نشبت مشكلة ونزاع بين البيتين الدينيين آل الشيخ ود بدر وآل شيخ إدريس ود الأربـاب حول النظـارة كل يريدها في بيتـه بل أن آل شـيخ إدريس ود الأرباب يعتبرون أنفسهم شيوخ ود بدر نفسـه، جلب المستر ريد بعض رجالات الإدارة الأهلية لحل هذه المشكلة ولكنهم فَشَلُوا جميعاً مما أضـطره إلـى اللجوء إلـى صـديقة العمـدة النعيم ود الكريـل وذهـب معـه العمـدة النعيم وكـان رجـلاً أعطـاه الله بسـطةً فـي الجسم وتوفيقاً في كيفية حل المشكلات، فأجلسهم جميعاً على صعيد واحد وقال لهم كلامـاً كبيـراً فـي دارجيتـه المؤثرة: (إنتـو يـا نـاس ود بـدر جِدَّكُم حَفَّظْ أَلِف ممن أسمه محمد القرآن– يعني ناهيك من الأسماء الأخرى، وانتو يا ناس شيخ إدريس ود الأرباب جِدَّكُم وِلْدوه وفي فِرْكَة مَصوبَنَة من نور جَايَه من الجنة تقعدوا تتابعوا لـي فـي نـاس ريد أبو صليعة ده وتتشاكلوا في نظارة وعمودية.. وهنا يستشيط المستر ريد غضباً ظاهرياً موجِّهاً كلامـه للعمدة النعيم (بَطِّل يا عُمْدة يا ما عندك أدب عشان إيه تقول لمفتش

---

(١) من الروايات المحفوظة لدى الكثير من أمراء المجتمع والاحتفال يسمى مجازاً عرضة ريد تقام بنعيمة رئاسة الإدارة الأهلية.

(٢) المصدر السابق محمد إدريس وآخرين.

(٣) إداري إنجليزي مشهور كان مديراً لمديرية النيل الأبيض ويطلق اسمه على حي بأم درمان هو حي ريد .

انجليزي كلام فارغ زي ده) – ولكنه في داخله مبسوط لأنـه أحس أن القوم يتقبلون هذا الكلام –.. والعمدة لا يلتفت لتعليقه ويواصل قوله لهم: [نحن نـاس الإدارة الأهلية ديل عند ناس ريد أبو صليعة ده زي الطفل في المهد يشيلونا كده ويختونا كده (بالوصف)] أي يقلبوننا ذات اليمين وذات الشمال كما يشاءون، (وأنتو ناس أكبر من كده) فما كان من الطرفين إلا أن تنازلا جميعاً وحُلت المشكلة، سبق للباحث أن نقل هذا الأمر للدكتور سيف الدولة مصطفى بركات العميد السابق لكلية البيطرة جامعة السودان ووالده هو عمدة العيلفون فأكد: أن أهلهم الكبار رووا لهم هذه الرواية وأن ود الكريل هو من قام بحلها) (١).

هنا لم يتمالك الخواجة مستر ريد نفسه من الفرح وأمسك برأس العمدة النعيم قائلاً في إعجاب (أوه رأس انجليزي) يعني العبقرية لا يملكها إلا من كان منتمياً إليهم – إلا أن العمدة النعيم كان لا يفتأ يسمعهم أن هذه البلد ليست لهم وإنما هم غزاة مستعمرون ولكن كان حديثه محبباً إليهم.

ما إن عاد العمدة النعيم إلى دياره حتى وانته منيته وترك فراغاً كبيراً ملأه أبناؤه من بعده ولكن الرجل كان فحلاً لا يُجَارَى يتخذ أحكامه دون إملاء من حاكم أعلى وينفذها بالطريقة التي يراها ملائمة ومجدية فحدث أن جاء المفتش الانجليزي إليه في زيارة تفتيش إداري ووجد ثلاثة من المواطنين مرفوعة أيديهم ومربوطة إلى شعب في الفناء الذي يحكم فيه العمدة فاستشاط المفتش الانجليزي غضباً من هذا المنظر وأمر بحل الوِثاق عن هؤلاء الثلاثة وإخلاء سبيلهم والعمدة يشاهد فما كان منه إلا أن خلع لبس العمودية وأرتدي ثوب العامة من الرعية ذلك الأخضر بسبب الدهن والذي يصلح لأوقات الراحة وبالفعل دخل إلى مكان راحته لِيُقَيِلْ وترك المفتش الانجليزي في وحشة ودهشة مما يَصْنَع العمدة فأتاه قومه وخاصته يهرعون إليه يقولون أنه لا يستقيم أن يأخذ راحته والمفتش الانجليزي يجلس وحيداً ينتظر فرد عليهم بقوله (المفتش الانجليزي ماذا يريد مني .. لِبْس الحكومة وخلعته له ولكن ما زالوا به حتى أقنعوه بالخروج إليه

---

(١) محمد إدريس حجاز كما يحفظها أيضاً مجتمع القبيلة + مقابلة شخصية مع د. سيف الدولة مصطفى بركات . ٢٠٠٠م. (ابن عمدة العيلفون).

ولو من باب المجاملة فوافق بشرط إرجاع الوضع إلى ما كان عليه وربط أولئك الثلاث في نفس الوضع الأول الذي وجده المفتش فأضطر المفتش للموافقة وأعيد ربط أولئك النفر الثلاثة... ومن بعد توجه بكلامه للمفتش الانجليزي قائلاً (نان وقت أنا أربط وأنت تجي تحل على أعين الناس البيسمع كلامي تاني منو) فأفاد ذلك المفتش المتعلم درساً عملياً مفيداً في الإدارة من رجل إداري معلم بالفطرة [١].

دروس العمدة في الإدارة وحل المشاكل وإرساء القيم لا تُحصى ولا تُعد ويكفي منها هذا المثال، والرجل مدرسة ونسيج لوحده ولذلك كان محط اهتمام الإداريين من الانجليز.

لعل الدرس السابق يعكس لنا استقلالية العمدة النعيم في اتخاذ قراراته بعيداً عن سلطة الخواجة خاصة فيما يتعلق بأهله وقبيلته فلا مكان للإملاءات والتدخل في الخصوصيات حتى لا يفتح باباً للوصاية على أهله من قِبَل الحاكم الغاشم المستعمر فأهل مكة أدرى بشعابها فكان يحكم بنفسه دون الرجوع لأحد وينفذ حكمه في سجنه الذي يجاور منزله وهو عبارة عن خيمة من الشعر والصوف يتوفر فيها الطعام والشراب وكان يفرض الغرامات على العُصَاة والمُتَمَرِدِين وأهل الجُنَح وحكمه نافذ.

كان للعمدة النعيم طوافاً سنوياً على مواقع قبيلته القريبة حول نُعيمه في موسم الحصاد الذي يصادف عَرْضَة ريد سالفة الذكر تصحبه في هذه الرحلة من أزواجه تلك الكُردية المسماة عاجبة أغا ظاظا من ناس حسن كُرْد بالقطينة (أنظر: صفحات ١٣٢ – ١٣٣ – الأكراد والأتراك والمصريين كجزء من نصيب المنطقة) وتتولى عاجبة هذه جمع الحصاد من أرض تخص العمدة غرب الدرادر وهي أرض عالية تعرف بضهر ود الكريل وكانت عاجبة كإمرأة غريبة مكان نقد المحمديَّات من النساء، فلما انجبت للعمدة النعيم ولداً في العام ١٩٠٨م سماه على والده عبد الله ود الكريل... أرادت عاجبه هذه أن تغيظهن فأرسلت إليهن تعلمهن بقولها (قول للمحمديّات حَمّار الكَرَدْ .. عاجبة وِلْدَتْ جَابَتْلَها وَلَد ... ويِكْبَر ويبقى حاكم البلد ... وكاتب ويِقْضَي الغرض) [٢].

(١) المساعد الطبي عبد الرحمن الشيخ أحمد من البديرية الدهمشية بالقراصة.(مقابلة شخصية) عام ٢٠٠٠م.

(٢) رواية محفوظة مصدرها شيخ الإدارة محمد إدريس حجاز والكثيرين من أفراد وقيادات القبيلة

وبالفعل كَبُرَ في كَنَفْ أبيه وأصبح عمدة يشار إليه بالبنان بعد تقسيم العمودية إلى بحري وجزيرة فكانت عمودية الجزيرة من نصيبه وعمودية بحري عليها أخيه الإمام المتوفى في عام ١٩٧٨م ومن بعد أَلْغَى الرئيس النميري ١٩٦٩-١٩٨٥م ألغى الإدارة الأهلية لتعيدها ثورة الإنقاذ مرةً أُخرى ولكنها عودة اسمية بسبب التوسع الشديد في الحكم المحلي فحل سيعد بن العمدة الإمام مكان والده وأصبح الأمين عبد الله النعيم عمدة مكان أبيه عبد الله وأميراً على المحمدية ومشاركاً في المجالس التشريعية والمحلية من مؤسسات ثورة الإنقاذ إلى أن عاجلته المنية في عمر لم يتجاوز الستة والخمسين عاماً وفي وقت كان يُرْجَى منه الكثير لأمّته وقبيلته ولكن الموتَ نَقَّادٌ فهو أَقْرَبُ لأحدكم من شِرَاك نَعْلِه.

المبحث الرابع
شياخات في أماكن متباعدة

هناك بقية من المحمدية بل كثرةٌ كاثرة في الجزيرة وحول سنار وفي جنوب النيل الأبيض ولهم إداراتهم الأهلية بعيداً عن الديار الأصلية في أقصى شمال النيل الأبيض.. فتجد في جبل سقدي مُحَمَدِيَّة سماعاب وقليل من الحاجاب يدير حركتهم تاريخياً أثنان من شيوخ الخط والآن لهم عضو مجلس تشريعي محلية ومنهم أمين رابطة الكواهلة بسنار، وفي جبل موية تجد المحمدية القدّوراب ولهم شيخ خط واحد ومنهم عضو محكمة الناظر زائدا رئيس رابطة الكواهلة بسنار علماً بأن النظارة والعمودية بجبل موية للعمارنة [(١)].

وفي قرى كتوشة والتبلدية نجد للمحمدية العبيدلاب شياخة بل كانت لهم عمودية فلهم وزنهم وكان عمدتهم هو على ود عبودي ولهم عضو بمحكمة سلطان ما يرنو... وما يرنو نفسها فيها محمدية عبيداللاب لهم شيخ هو الشيخ الزين الفكي[(٢)].

وفي أبو آمنة قُرّب ما يرنو يدير حركة المحمدية الشيخ حسن الزين حامد من السماعاب والشيخ الخير ود الشيخ طه [(٣)].

وللمحمدية الفيلاب شيوخهم في سنجة وشرق سنار والمقام وكذلك في قُنْدَال شمال سنار على البحر محمدية حاجاب. وفي سنار السكر منطقة حرورة محمدية سليماب شيخهم على ود جبرين، وفي قلع ود العجوز محمدية حمّاداب شيخهم إدريس نور السيد وفي برقو ود حوبة سكر سنار محمدية فيلاب شيخهم محمد عبد العال وفي ود الركين شرق سنار سماعاب شيخهم محمد أحمد بابكر، وفي سكر سنار قرية الكبره سماعاب شيخهم محمد فضل المولى، وفي سكر عسلاية سماعاب شيخهم فضل

---

(١) أحمد عبد المحمود محمد رحمة (مقابلة شخصية) . بقريتهم بجبل سقدي يوليو ٢٠١٤م.

(٢) المصدر السابق نفس التاريخ .

(٣) المصدر السابق نفس التاريخ .

سليمان، وفي أم دَبَاكِر المحمدية بين ربك وكنانة عبيداللاب ولهم عُمْدَةٌ بحاله هو العمدة فضل السيد مصطفى [(١)].

وإلى الجنوب منهم في منطقة الجبلين نجد الشيخ المحمدي الكبير أبا الدخيرة شيخ الصَبَحَةَ أما الدخيرة ابنته المشهور بها فقد تزوجها ابن عم لها من المحمدية السماعاب [(٢)]، وإذا عبرنا النيل إلى منطقة تندلتي غرباً نجد في منطقة المَجَرٌّ قرب تندلتي من الحاجاب ناس عبد المحمود فضل المولى شمال الزلط وعبد الله ود فضل المولى جنوب الزلط وهو الآن يقيم بالكدرو بالخرطوم بحري شرق السكة حديد [(٣)].

أما في الجزيرة خط المناقل في مناطق الرانجوك نجد محمدية محموداب وعبيداللاب وقدوراب شيخهم الأمين عبد الله جميل ٣٠ كيلو غرب سقدي، وفي مبروكة ٢٠ كيلو غرب سقدي نجد عبيد اللاب شيخهم موسى البشري وفي مِرِيخْلَة حاجاب شيخهم عبده النور [(٤)].

وفي كرري حاجاب وسماعاب ناس ود الروف شيخهم من الحاجاب آدم عبدالرحمن وفي مهلة شرق الكوة سِرِيرَابْ وقدّوراب شيخهم الحاج مهلة، وفي دوبة شرق سنار نجد المرقوماب وفي الدندر السريراب ولهم شيوخهم [(٥)] أما في المنطقة من الهشابة وود الزاكي وحتى القطينة شرق النيل وغرب النيل الأبيض فكان أول شيخ على المحمدية هو الشيخ حجاز أحمد حجاز قسيان وكانت الصلة مباشرة بينه وبين العمدة النعيم لقرب المسافة.. أعقبه أبناءه إدرس ود حجاز ثم شقيقه أحمد حجاز ثم محمد إدريس حجاز والآن الشيخ محمد المهدي أحمد حجاز، وكانت دار الشيخ منزلة للعمدة النعيم في عرضة ريد في أماكن الزراعة على النيل التي تسمى الْكَبَدَاَتْ قبل قيام خزان

---

(١) أحمد عبد المحمود محمد رحمة مصدر سابق (مقابلة شخصية) يوليو ٢٠١٤م .

(٢) الوسيلة، الدرر البهية ص ٢٠.

(٣) كل المعلومات عن الزعامات الإدارية أعلاه مصدرها أحمد شيخ عبد المحمود ود رحمة . (مقابلة شخصية) يوليو ٢٠١٤م .

(٤) أحمد شيخ عبد المحمود ود رحمة .

(٥) أحمد شيخ عبد المحمود ود رحمة .

جبل الأولياء الذي أغرق الأراضي والجُزُر مصدر الرزق الرئيسي للإنسان والحيوان في المنطقة [١] .

أولاد حجاز ووالدتهم الطُوالِية القبيلة رأوا أن يَعْفِى العمدة النعيم والدهم من الشياخة فما هي إلا عبء كبير عليه ورَهَقٌ مادي ومعنوي فذهب ابنه الأوسط عبدالله ود حجاز إلى الفكي على ود عويضة، من أكبر صالحي ذلك الزمان من الحسانية القشقشاب يطلب منه الكتابة للعمدة النعيم لإعفاء والدهم من الشياخة ففعل، ولما كان شيوخ ذلك الزمان محترمون عند الحكام وافق العمدة النعيم بقوله (هَاجَني ود حجاز... الفكي على ود عويضة فَضَل ليه فَدْ نائب بتدورو يكسرو فوقي، أمشي خلاص عفينا أبوك من الشياخة) ولكن حجاز عند العمدة النعيم من نُبَلاءِ قومه ولا يوجد بينهم من يقوم مقامه ويسد مكانه فهو ابن بنت القوم (الصلاحية) في تلك المنطقة إضافة إلى سعة أفقه في إدارة الناس كما أنه رجل مثقف يقرأ ويكتب.

ذهب العمدة النعيم إلى تلك المنطقة في رحلته السنوية وفي النفس شيء من حتى فغير منزلته إلى ود نعيم من المحمدية السريراب نافخاً فيه كعادة العمدة النعيم (ود نعيم أبو قليب الشياخة جاتك.. فرد عليه ود نعيم ما لي وللشياخة ... الشيخ هو حجاز فقال له حجاز أبى الدور بتدوروا تهملوا القبيلة؟ فقال له لا سوف أحضر من أخواله الصلاحية من يقنعه وهذا ما يريده العمدة النعيم فقال له أفعل) وبالفعل أعد مجلساً فيه أخواله عبد الله ود أبو المعالي والحسن ود موسى فاستطاعوا إقناع حجاز بالعدول عن عزمه ذلك وأعادوه إلى سدة الشياخة ما أراح ود نعيم وبسط العمدة الذي يخبئ في ركائبه حمارة حرة ولبسة تليق بالشيخ أهداهما لحجاز عاد بها في المساء إلى دياره وسط احتجاج زوجه فقد عاد الأمر إلى ما كان عليه فقال لها في تهكم نبيل– أي عبارات باسمه– (الهَوّان الله يا بنت عوض الله الدور بِتْدُورِيني– أَسْرَحْلِك بغنمك).. أي أن مهمتي هي رعاية القبيلة لا غنمك.. وبذكر أخوال حجاز تخبر حكاوي ذلك الزمان وفي أعقاب الثورة المهدية أن شيخاً يأتي من ضهرة المناقل إلى مناطق النيل الأبيض

(١) محمد إدريس حجاز ١٩٧٠م وآخرين، أخبار موروثة ومتداولة.

يدعي ود الهجيمة يطلب العطاء فيمدح الواهبين ويهجو الممسكين، شأن الشعراء في كل زمان فمن أقواله(جيت *غاشي القَرَّاصَة*[١] (*) طالب ناسها .. أول من جيت في ود الشيخ سليمان يدي القرش ويأبى على القُرَّاصة.. أي لا ينزله للطعام وهو صعيدي من أولاد الريف ... والدرديري ضُلُمّة ومعاها كباسة ... وهو من العبدلاب.. وأولاد الفكي إبراهيم مرفعين رويسا تم بدوروا الرئاسة .. وهم من محس توتي .. وناس ود صبير طرطشة ومعاها طقاشة . وهم من الدناقلة، والشيخ ودا أحمد كرم وجودة وتجارة ومغلق ساسها، وأصوله من رومي البكري من البديرية الدهمشية كان سر تجار المنطقة، والصديق الأحيمر جودة ومعاها فِرَاسَة أي حكمة وأصله من البديرية أيضاً وكل هؤلاء ممن تختلط حياتهم بالمحمدية في المنطقة وهم من القادمين من مناطق التأثير الحضاري في الشمال) .

ثم ذهب ود الهجيمة إلى الدرادر بلد الصلاحية أخوال حجاز فقال: (أول من جيت في عبد الله ود أبو المعالي يوكلك الحالي وينومك في العالي وكان ما الجيب خالي بيدي الجنيه طوالي ...(أي كريم) والحسن ود موسى أن لقيتو في الخلا كلامو حِلُّو وإن جيتو في البيت الصُرَار ما يبلوا ...(أي: بخيل) وفي الشبونات موسى ود جبرين قمر ٢٩ أي محاق مظلم ... أما الكريم ود الكريم مرقت منو صاغ سليم أي مرق ملوص كما يقولون بلا شيء ويقصد الفكي عبدالرحيم ود عويضة في القبوب)[٢].

كان والد حجاز ... أحمد ود حجاز ود قسيان رجلاً ثرياً يملك من كل صنف من النعم العدد الكثير فقد حَدّث عنه ابنه حجاز أنه من صنف الحمير فقط عدّ له خمسة وعشرين٢٥ حماراً عدا الأنواع الاخرى ... تزوج من الصلاحية شبك النور بت تقلي ود الحسن ود الفكي محمد ود حامد فأنجب منها حجاز وافترقا لتتزوج من أبناء عمومتها الفكي بابكر ود الفكي موسى ود الفكي محمد ود حامد.. درس حجاز مع أهله الفقراء (الفقهاء) وجاهد معهم في حروبات المهدية وكان يقود شباباً يعرف بشباب حجاز ...

---

(١) من القرى المشهورة في شمال النيل الأبيض والمحمدية لهم أراضي للزراعة بها .

(*)

(٢) يحفظها أهل المنطقة عموماً كإرث متداول .

وفي عام المجاعة سنة ١٣٠٦هـ في عهد الخليفة أصاب الناس الجوع وأخذتهم السَنَة فشكا حجاز لوالده الثري حال إخوته من أمه وأنهم قد جاءوا فأخرج له أربعين عنزاً مَرِى أي تحلب فقط، أخرجت أمه وأخوانه ووالدهم من لأواء سنة المجاعة وكان يحسن إلى والدته فتقول فيه الشعر: (يا ماسك دريب السيس سَلِّم على أبو إدريس النفره مو رخيص وجده الفكي إدريس ... الأيده بتعطيني وبحلب بعشيني).. وشِعْرٌ من هذا القبيل واعتذرت لابنها حجاز عن مفارقتها لأبيه للنبل الذي لمسته فيهما ولا غرابة أوَلَيسُوا من عترة النبوَّة والنبي أجود بالخير من الريح المرسلة.

من نافلة القول أن أحد أبناء الفقرا الصلاحية ويُدْعَى موسى تَفوّه بكلامٍ مَفاده أن نَغْنَم أموال المحمدية لما رأوا من كثرة الرزق (السعية) عندهم فانسرب حجاز خِلسة إلى أهله يُعْلِمُهُم ويُعِدُّهُم لملاقات من أراد بِهِمُ الشَرُّ فلما وصل أولئك في خيولهم وجدوا المحمدية شَاكِّي السلاح وفي حالة استعداد وحجاز بينهم فهابوهم وصَدَفُوا عن نيَّه القتال فأنزلهم حجاز تحت شجرة وأكرمهم وحُلِبَت لهم الألبان حتى شبعوا ورجعوا ولم يعودوا لمثلها [١].

يُحَدِّث الحاج عيسى ود على ود أبو لبيبة المتوفى عام ١٩٩٥م عن عمر ناهز الخمسة والتسعين عاماً وهو من المحمدية السماعاب بالترعة الخضراء غرب النيل أن عمه حجاز ود أحمد كان شيخ المحمدية كلهم في الغرب والهُوِى وشياخته كانت تمتد من منطقة الهشابة إلى جنوب القطينة وفيما عرف بِسَنَةِ فصل الدقاقة العام ١٩٢٨م أنفصلت شياخة حجاز إلى هُوِى وغرب فكان من شيوخ الغرب ود أبو لبيبة محدثنا سالف الذكر وود القُلُّقُ وناس ود أبو سلب وفي الهُوِى (تعني الشرق) حجاز ومن معه إذ توزعت الشياخة إلى ١٧ شياخة شرق وغرب.

(١) مختار عبد الهادي وشقيقه الأكبر مولانا القاضي حجاز عبد الهادي عوض الله حجاز (مقابلة شخصية) بايد الحمراء المحمدية ٢٠١٤م.

توفى شيخ حجاز ود أحمد حجاز ود قسيان في الثلاثينات من القرن الماضي عن عمر ناهز القرن من الزمان وكان كلامه في آخر عمره لا يعدوا السؤال عن وقت الصلاة فيا له من خريف عمر [1].

خاتمة :

حين كانت القبائل تدير نفسها بنفسها ومنها قبيلة المحمدية كانت المشاكل محلولة في اطار البيت الواحد والرحم موصولة والكبير موقر والصغير مرحوم والجار موفورٌ حقه، أما الآن فحدِّث ولا حرج فإنك تُشاهد ما يهز الدولة نفسها .

(١) حفيده محمد إدريس حجاز (مقابلة شخصية) والد الباحث .

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية والتقاليد المرعية

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية والتقاليد المرعية

مدخل:

يتناول هذا الفصل مجتمع القبلية وثقافته في السكن والعمران وفي الطعام واللبس والزينة والأدوات والأواني وحياتهم في الحِلِّ والتِرْحَال وفي الأفراح والأتراح وعلاقاتهم الاجتماعية بينهم ومع غيرهم من المجتمعات. كما تناول دور الجدة أو (الحبوبة) في مجتمع القبيلة وبث ثقافتها للصغار والكبار وحرصها على مستقبل النشء وتعامل الناس مع قيمة الزمن والوقت ومع الفصول المختلفة والطبيعة من حولهم والصحة والأمراض والآفات والعلاج والتعليم وأنواع النباتات والعشب أو القش والزواحف والطيور مع إيراد نماذج من الحِكم والدوبيت وثقافة الناس في كيفية اختيار الزوجة وما يتبع ذلك، وحتى لا تندثر كثير من المصطلحات والأسماء لكل ما يستخدمون كان الحرص على إيرادها للمحافظة عليها كتراث وثقافة.

لابد من ملاحظة أن الحياة الاجتماعية للمحمدية لا تختلف عن القبائل الأخرى مما يعكس قوة النسيج الاجتماعي للوطن ككل خاصة وأن لحمة وسداه الإسلام واللغة العربية ومكارم الخلاق.

المبحث الأول

المساكن

البيوت أو الأكنان في الغالب هي القطاطي أو الدُرْدُر ويتكون من جزأين سفلي وعلوي؛ السفلي يكون من الطين في شكل مستدير تعلوه قطية من التمام تبدأ* أوسع قليلاً من دائرة الجالوص، تحتها ثم تضيق كلما اتجهت إلى الأعلى حتى تربط في أعلاها بلحاء الأشجار فيما لا يتعدي قبضة اليد أو اليدين معاً والثُمام في رحلته إلى الأعلى يُربط بلحاء الأشجار في عيدان مرنة تكون موصولة في كل دائرة تعرف (بالكَاجَة) تضيق وتصغر كلما اتجهنا إلى الأعلى فتعطي في النهاية شكلاً هندسياً مخروطياً هرمياً يسمح بانحدار الماء دون أن يتسرب للداخل أو يؤثر على الدائرة الطينية تحته إذ أنها أوسع منها قليلاً في استدارته بحيث يغطي أطرافها ويحميها من تأثير حركة الماء النازل. وبعضهم لتوسيع المأوى يجعل أمام هذه القطية ما يعرف (بالكُرْنُق) في شكل ضهر تور مستطيل له ثلاثة أضلاع والضلع الرابع هو مقدمة وباب القُطِيَّة الذي يفتح فيه مباشرة ويكون له باب صغير وربما شبابيك أو نوافذ وهو عبارة عن مَضْيَفَة ومُتَّسَع وأحياناً مكان الكرنق هذا يكون حوش كاشف أي غير مسقوف ويسمى بالصَرِيف من التمام أو القصب. والقطية تكون بها شبابيك أو نوافذ صغيرة تعرف بالطاقة يمكن غلقها بلفافات من القماش أو الهِدم أو الجوّالات القديمة يعني ما يشبه الحياة في بوادي العرب.. أما بعض الموسرين فيكون لديهم مُرَبَعة أو أكثر وهي عبارة عن غُرفة من الجالوص مسقوفة بالتمام وتحته عيدان مستقيمة تعرف بالرصاص تعلوها مطارق من الحطب أو عيدان رقيقة من القنا تُرَص مخلوفة فوق بعضها بالطول والعرض بحيث لا تسمح بسقوط أو انبعاج الثُمام فوقها والذي يكون منسوجاً في شكل شرقاوية ويحمل ذلك ما يعرف بالمِرقْ وهو عبارة عن عود ضخم وقوِي يوضع طولياً تحت الرُصَاص على الحائطين يحمل ذلك كله ما يعرف بالأمينة

* الثُمام: هو نبتة لها عيدان رقيقة متوسطة الطول تأكلها الحيوانات وتستخدم في سقوف المنازل والقطاطي وتستخدم كوقود.

وهي عبارة عن شعبة قوية تدفن في الأرض ويكون رأسها في منتصف المرق بالضبط بشعقتين أو بدونهما ولكنها تُؤَمِّن البيت من أن ينهار أي اسم على مسمى وعليها تسمى المرأة التي تدير حركة البيت أو الولد العَلِيه التَّكل أي الحمل والمسئولية. بعد ذلك يُبْسَط الطين بطريقة مسطحة على السقف وهو ما يعرف بالنِعَال ويُذْرَى فوقه التراب ليسد الثغرات وينشف الطين ثم تركب الميازيب أو السباليق لتصريف ماء الأمطار. هذا في القرى البادية، أما التي تحضرت قليلاً بفعل الزراعة والاستقرار فعرفت الحيشان وصار للأسرة سكن منفصل عن الديوان وهو مكان الضيافة وله كُنُفْ منفصلة لقضاء الحاجة تسمى بالمستراح أو بيت الأدب أو الدبلويسي بلغة الفرنجة. هنالك نوع مستدير من الغرف الطينية من أسفله إلى أعلاه يسقف بما يسقف به الجالوص وهذه الغرفة تسمى الكُرْفَة.

لقضاء الحاجة أهل البادية لا يعرفون الكُنُف وإنما يوغلون في الخلاء وحتى عندما يذهبون إلى الحواضر فإنهم يأنفون من الدخول إلى المستراحات إلا مُضْطَرِّين.

في السنين غير المطيرة أو في زمن المَحَلْ كما يسمونها يرتحلون إلى حيث المطر والعشب ويقيمون فيه فترة تسمى (بالعَزِيبْ) حتى لا يُعرِّضوا بهائمهم وأنفسهم لأي محنة.

أمّا في موسم الحصاد فيهجرون القرى والحَلاّل بعد أن يوصِدُوا أبواب منازلهم أو يُطَوِبُونَها أو يضعون على مداخلها غصناً يفيد أنها مهجورة مؤقتاً ولا يخشون شيئاً من سرقة أو إتلاف فهم آمنون عليها لأمانتهم هم مع أنفسهم ومع غيرهم.

ترحل الأسرة كلها للبلاد أو الحوّاشة حيث يسكنون بيتاً من القصب عُمُدَه من جميع الجوانب من الحطب يربط عليه القصب يكون له باب واحد من جهة الجنوب اتقاءً لبرد الشمال لأن الفصل يكون شتاءً. والبيت يكون عبارة عن غرفة واحدة وأحياناً تضاف إليها غرفة أصغر بغرض الاستضافة، وفي هذا البيت الغرفة تمارس الحياة بكاملها فهو مكان الاستقبال وهو غرفة الجلوس وغرفة النوم وهو منتدى الأسرة وهو المطبخ حيث تتواسطه اللدايا أو الأثافي وهي ثلاث كُتل من الطين بأحجام متساوية

تسمح بوضع إناء الطبخ عليها بارتياح وتحفر في دائرتها الداخلية الضيقة حفرة صغيرة تسمح بإدخال الوقود وإشعال النار، والوقود عبارة عن حطب أو قصب أو بُتَّاب (أي السنبل الفارغ) وهو متاح في الدائرة حول البيت وأواني الطبخ لا تتعدى الصاج للعواسة وما يسمى الدَحَلُوب لِلَبَن ويكون غالباً من الفخار وآخر هو الكنتوش من المعدن للطبخ وإناء الفخار صحياً هو الأنفع لأنه لا يتحلل بالمؤثرات الأخرى، والأواني داخل المنزل عددها بسيط جداً وحسب المتطلبات كَمَّاً ونوعاً حتى لا تكون بنداً يرهق صاحبة الدار بالنظافة فصواني الطعام لا تتعدي الاثنان واحدة لأهل الدار والأخرى احتياطي للضيوف والصحون كذلك لأن الوجبة قد يكون صحنها واحد لا تتعدى العصيدة بملاح الروب أو التقلية أو كسرة بلبن أو لبن رايب أو إدام آخر وسلطة، وكذلك الشاي والقهوة فصوانيه لا تتعدى الاثنان وعدد محدود من الكبابي والفناجين. ومن الأواني الأخرى صفيح أو جردل لنقل الماء وزير وطست لغسيل الملابس وَقَيّمَةُ الدار تقوم بغسل ملابس الأسرة لوحدها، والملابس ليست بالكثرة التي نراها الآن وحتى الإدام فهو مما تنتج أرضهم من الخضر، واللبن من إنتاج ضرعهم.

أما الطحين فإن وُجِد الدقيق فبها ونعمت وإلا فلا حيرة فالبديل متيسر وهو المرحاكة وهي عبارة عن حجر مستطقيل عرضه معقول يسمح بطحن الحبوب وفي نهايته إناء من الفخار محفورٌ له في الأرض لينزل فيه العجين من المرحاكة، وعملية الطحين كالآتي: تجلس المرأة على عقبيها وركبتيها مترنمة بأنغام مساعدة منشطة وتضع حجراً آخر تمرره فوق المرحاكة وبينهما العيش الناشف لدرشه فيعطينا الدريش أو العيش المبلول لفشخه وهو ما يعرف بالفشيخ وتكرار هذه العملية بين حجري الرحى يسمى بالرَدّة تُكَرَرْ إلى أن يعطينا عجيناً ناعماً على قدر الحاجة أو ما يملأ جَرَّةَ العجين وتُسمى الجَرْ، وعجين المرحاكة مفضل على دقيق الطاحونة، والمرحاكة تجرش فيها أشياء مثل اللوبيا العفن ليعمل منه إدام وطبيخ لوبيا لذيذ جداً وفي غير وقت

الحاجة لها تُنَظَف المرحاكة وتُغطى، ومن المتطلبات* الأخرى المشلعيب أو المُعلاق من السعف أو الجلد (لحفظ الإدام المتبقي والزائد عن الحاجة يُعَلَق في السقف تأميناً له من القطط وما شاكلها من الكلاب والحشرات) وذلك لعدم وجود ثلاجات. ومن الضروريات الغوغاية (أداة حلج) لحلج القطن والمُتْرَار يُتَرُّ به القطن لجعله خيوطاً تلف في شكل كِيفَة أو غَزْل، وسِعِن لترويب اللبن وهَزَّه لعمل الروب واستخراج الفُرصة (الزبدة) يلحسها الأطفال فتشفي صدورهم من البرد أو تُسَخَّن في النار لإعطاء السمن، وبعد تصنيعه تتبقى بالإناء ذرات صغيرة يُسَمُونها الحِتِل يأكلها الأطفال من إنائها نفسه وطعمها لذيذ مثل الربيت وهو ناتج تسخين دهن الحيوان لأن صافي الدهن يكون ودكاً تستخدمه النساء لتطويل شعورهن وتنعيم خشونة الأرجل والشقوق وأحياناً يخلط بالزيت وبعض العطور ليعيطنا ما يعرف بالكركار، دُهُن الجَدَّات، ويَقُلْنَ عبارةً مشهورة: (ود ابن آدم دَخَّلُوه في البحر ما انْبَلَ.. ما بلاّه إلا الدِهِن)[1]، وما أن تشتكي إحداهن من وجع الرأس (أو الصداع) إلا وتقول رأسي حَفّ أي جفّ من عدم الدُهن فتضع الدُهن على رأسها وتمسح أسفل رجليها مما يعرف بالراحتين فترتاح[2]، ومن ثقافات الشعوب الأخرى أن اليابانيين مثلاً وهم أمة عريقة لا يضعون الطنافس تحت الرأس وإنما يسندون بها الأرجل اعتقاداً منهم أنها أولى بالراحة لحملها الجسم طيلة مدة الحركة نهاراً.

---

* المتطلبات والأدوات أعلاه هي ضروريات كل منزل وهي إرث مشترك يدل على وحكدة الثقافة المجتمعية.

(١) الجدة آمنة بنت يوسف. (مقابلة شخصية ومعايشة بإيد الحمراء ١٩٦٠م).

(٢) نفس المصدر.

المبحث الثاني

الطعام واللبس والزينة والأواني والأسِرَّة

في السابق لم تكن توجد جزارات عند المحمدية في هذه المنطقة وإلى اليوم وبالتالي فهم لا يمتهنون مهنة القَصّابين وكانوا عندما يشتهون اللحوم يذبحون ما يسمونه بالكرامة تقسم في شكل كيمان دون وزن، كل يأتي من المشتركين بعوده ويقوم أحدهم بتوزيع هذه الأعواد على الكيمان كل عود في كوم وبما أن كل منهم يعرف عوده جيداً فإنه يأخذ الكوم الذي عليه عوده راضياً وطيبة بذلك نفسه فيا لها من قناعة نريدها في حياتنا اليوم في هذا الزمان الذي انتشرت فيه الأنا والأنانية والأَثَرَة وحب النفس. والسُعَار المخيف من أجل الدنيا الفانية وزخرفها.

بقي توضيح أن غالب قوت الأهل من المحمدية في هذه المنطقة الوسطى ومثالهم ينطبق على الأهل في أماكن تواجدهم في السافل يدور حول المتيسر لديهم من اللبن ومستخرجاته كإدام مثل اللبن الرائب والروب والغُباشة (عبارة عن روب مخفف بالماء البارد لقطع العطش) والزبد والسمن أما الأطعمة فهي مما تحصده أيديهم من الزرع فلا تَكَلُّفَ أبداً وحياتهم سهلة لا تعقيد فيها، فالعصيدة الدافئة بما يصنعونه لها من إدام هي من أكلاتهم الشائعة والمفضلة والكسرة الرهيفة والسَنْسَنَة أو القُرَّاصة ولكلٍ إدامٌ يُناسِبها فمن اللبن يصنعون إدام من الروب يعلوه السمن وإدام الويكاب وأم رِغَيدَة واللحم إن وجد يصنعون منه حساءً فقط، أمّا الشرموط أو اللحم المجفف، والتقلية فهي إدام مناسبات فقط، كالزواج والختان كما تُجْرش اللوبيا ويُصنع منها إدام لوبيا وهناك أم تَكَشُو وأم شِعِيفَة من الملوخية البرية (المطرية) ومن الويكة الناشفة وتطبخ بدون لحمة – يعني مَشِّي حالك – ومن المأكولات اللذيذة البلايل (حبوب مغلية بالماء على النار) – بليلة العيش والفريك واللوبيا والعدس بالسكر والسمن وبعضها يمكن أن يؤكل باللبن كبليلة العيش أو الذرة ويمكن توظيف المُحَّارة في أكلها بدل الملعقة ومما يُطيب أكله للصبية وجبة عشاء تُعرف بالقاشيد عبارة عن لبن خالص يغلى في النار

وينثر عليه دقيق القمح أو السميد والسكر ويحرك حتى ينضج ويغلظ ثم يفرغ في كورة أو صحن ويصب عليه قليل من السمن ويؤكل بالملاعق بعد أن يبرد قليلاً.

أهل البادية عموماً يفضلون حياة (الضَهَرَة) [١] على حياة القُرى الآهلة بالسكان على النيل ولا يروقهم أكل البندر (المُدن) الذي يَصْنَع البطنة ويذهب بالفطنة فيقولون في مقام النقد لهم:(أهل الحِلّة أبان زِنْقِلَة) [٢] أي كرش، وأصدق مثال لذلك أن رحمة النفيدي وهو من فرسان البادية قد تزوج من القطينة وهي تعتبر حاضرة من حواضرهم فلم ترق له حياتهم ولا أكلهم فأنشأ يقول:

لاح لي برقاً قبلي فوق عولي وفوق إبلي (أي أهله وحلاله في البادية

قوم يا بخيت أحلب لي ولبن النُوق طايقلي (يطيب لي)

يا بخيت قوم فوتهم ريحة الحوت في بيوتهم (اعتادوا أكل السمك)

شِدّ لي فُوق ابْعُرْفَاً مَنَقَّي كَجَنْتَ بَلَد اِلّيف واللَّفَة (كرهت أهل الحضر)

أرح لي أم آدم في الرَّقَّة ناساً عِرْفُو موقودهم ولبن البَكْرَة عَرُوضُهم (أي إلى الذي يكرمونك باللبن.

جدير بالذكر أن رحمة النفيدي هو حوار الشيخ محمد ود رحمة الشيخ المحمدي الواصل والصالح بجبل سقدي[٣].

الأواني:

أما من ناحية الأواني المستعملة فهي تتمثل في:

البرّاد – الكفتيرة – المُصْفى – الملاعق والسكرية – السوّاحة(أداة تحمص البن) – الفندك – إيد المدق – المنقد (الكانون) – الماشة (لالتقاط الجمر) – الشرقرق – الشغال (يغلى فيهم البن)– الجبنة (من الطين ومن الصفيح ومن الصيني) – الليفة (من شُعيرات السعف حمراء اللون لتصفية الْبُن في الجبنة) – الوقاية (دائرة من القماش توضع عليها الجبنة) – الفنجان والكباية البنور – الدوكة (من الفخار) – صاج حديد للكسرة الطرقة – صاج حديد غريق للقمة والعصيدة

(١) الضهرة: الأماكن التي تبعد عن النيل قليلاً.

(٢) الزنقلة: تعني البطنة أو الكرش.

(٣) محمد إدريس حجاز. (مقابلة شخصية) ١٩٧٠م (والد الباحث).

– العَوَّاسَة (بيد من خشب ورأس من حديد للعواسة ولِحَك الشيط اللاصق بالصاج، وبعض الصبية يأكلونه – المعراكة[1] معها الطايوقة لقيام الصاج أو الدوكة، القرقريبة (أداة من السعف لبسط العجين على الدوكة لإنضاج الكسرة) – الطبق أو الريكة كأس من القرع لصب العجين على الصاج – علبة صلصلة فارغة لحك طرف الطرقة من الصاج توطئة لوضعها في الطبق – الصينية – الصحن البَاشَرِي – صحانة من الألمونيوم والصيني والمعدن – القُدَاحَة من العُود – الحَلّة والكنتوش والسكين والجزّازة والمُفْراكة والكمشة والكُنُش والدّحلوب (حلة مستديرة من المعدن) لتفوير اللبن وبه القُتَّانة والعُمْرَة (من السعف) للحليب – السِعِن لترويب اللبن وهزِّه من بعد – القِربة لتبريد الماء والزير والقُلّة والتِيبَار (كلها من الفخار لتبريد الماء) – الحَمّالة والنقّاع – القِحِف ويصفون به من يَغُلَّ يده – زجاجات لحفظ السمن – المُرحاكة والجِب لحفظ الطحين في آخر المُرحاكة والجَرَّ من الطين المحروق لحفظ العجين – الجُراب لحفظ العيش والدقيق والكَابْدِلُو لحفظ الملابس – المشلعيب يُعلَق فيه بقايا الإدام للحفظ – المُسْحَانة لدق وسَحن الأعشاب العطرية – الرَكْوَة من الجلد للوضوء أو إبريق الطين – التَبَروقَة من السعف أو فروة من الجلد – البكارية لنشل الماء من البئر بالدلو ويكون من الخنزير اللستك – عنقريب القد (سرير منسوج بالجلد) والعنقريب الهباب وعنقريب الحبل وفرشها من البروش الملونة طبق غطاء الطعام أيضاً من السعف الملون – ولحفظ الأشياء لابد من وجود السَحّارَة وتُقْفَل بالطبلة الصغيرة والمفتاح في (محفضة) صاحبة الدار[2].

(١) المعراكة قطعة قماش تمسح بها الدوكة أو الصاج وتسمى الكهنة عند أهل الجيش.

(٢) المهمات أعلاه من ضروريات الاستعمال المنزلي.

المبحث الثالث

الجدة أو الحبوبة ودورها في الأسرة والمجتمع

للجدات دور مهم جداً في تقويم الناشئة.. تقول لك عندما تضع أمامك العشاء:(أُكُل يا عشاي.. أَكُل أَبُقَى تُكُل) (أي: كل وأكبر لأننا في انتظارك)، أو تقول لك:(يا عشا البايتات) يعني عبارات تصنع منك رجلاً وتشعر أنك فعلاً دخري الحوبة ورجل المستقبل. أما الصبي الذي عليه الاعتماد فلا تدعه جداته يكسر الحطب بالفأس في موسم الزراعة والإنتاج مظنة أن يصاب فيتأثر بذلك موسمه وموسمهم جميعاً، والفتى لا يسمح له بشرب القهوة دون ذكر أسباب.. ربما هو نفسه لا يفهم السبب ولكن القصد هو المحافظة على قواه كلها وسبب آخر عام ألا تستعبده المكيفات فيقع تحت تأثيرها. والجدة لها دور عظيم في توجيه وتربية ومراقبة النشء وتلقينه ما يخلق منه لبنة صالحة في بناء المجتمع. أولاً تسمح لك باللعب مع أترابك فإن تأخرت تأتيك وتحتال على إحضارك وتقول لك في أسلوب رَفِيق السفيه الخارج بمعنى أنك تضيع وقتاً زائداً في اللهو البريء وكلمة الخارج تعني أنك تتمرد على تعليماتها وغالباً ما يكون وقت اللعب بين المغرب والعشاء لأن الناس كلهم ينامون مبكرين ليستيقظوا مبكرين لصلاة الفجر. وليذهبوا إلى معاشهم في نشاطٍ تام بعد أن أخذوا قِسْطَ رَاحَتِهم موافقةً للفطرة[1]﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾[2] وتوجيه المجتمع يُذَكِّرهُم: (إيد البدري نومي بدري وقومي بدري وصلي بدري وأزرعي بدري وحشي بدري وأحصدي بدري وشوفي كان تِنْقَدري).

مواصلة لدور الجَدَّة أو الحبوبة فبعد الانتهاء من اللعب وهو من مطلوبات الإعداد السليم تجهز العشاء وهو في الغالب من اللبن كما أسلفت ومن بعد تبدأ القَصَصَ الذي يفضي إلى النوم وهو في غالبه قصص يحكي الحب والوفاء والبطولات والفداء والنجدة والوعظ والدين وما يُرَسِخ كريم الخصال في شكل نثر أوشعر (مثل قصص ود النمير وفاطمة السمحة وموسى ود جلي ويوسف ود سنينات) فترسم لك

(١) آمنة بنت يوسف (مقابلة شخصية ومعايشة) ١٩٦٠م. جدة الباحث.

(٢) سورة النبأ الآيات (١١-١٠).

العفو عند المقدرة وأقدار الرجال، تقول:(عندما تمكن يوسف قال له موسى: فلتقتلني. فرد عليه يوسف بعبارة عجيبة، قال له: أنا الضو في البيت ما بقتلو بتقتلو المرة) [١] أي أن موسى رجل ضو وقَمِينٌ ألاَّ يُقْتَل.

وفي البطولات نسمع منهن:

علي الكرار يا علي عريس أم غيار يا علي (أي الحرب)

السيفه حامي وحار يا علي كَمَّل الكُفّار وخَلَّى اللحم حُجَار

وتُلَقِنُك الحكمة أيضاً من أفواه العارفين، فتقول: الشيخ المكاشفي يقول: نِعْم الرجال الحارتين في ديارهم ساكنين، أخدوا النساء جابوا الجنين[٢]. وذلك يعني أن تطلب رزقك في ديارك خير لك من طلبه في الغربة.

وتعكس لك كلامه في الوعظ: (يا زارعين حَبَّ البَزَار في الآخرة يبقالكم عدار والقش يشيط بعد الخدار)[٣]. أي أعمل لشبابك قبل هرمك والعمل الفاسد عاقبته يوم القيامة وخيمة وطعمه مر. ويقول أي المكاشفي مما حَفِظَتْ:

أمانة عليكم يا عواصي والكلاب قدر الحواشي نار أم لهيب تاكل تواسي

أمانة عليكم يا حسودة والكلاب قدر الأسودة نار أم لهيب تأكل مقودها[٤]

والعبارتان تفيدان أن العصيان لله سبحانه وتعالى والحسد جزاؤهما النار التي وقودها الناس والحجارة.

وفي ضرورة التوكل على الله والاعتصام به نسمع منها التالي:

أن الطيور قررت النزوح إلى مكان اسمه أم زِبِل، فقالت مجموعة من الطيور: كان الله قِبِل باكر نَرِد أم زِبِل ما عدا النعامة فكانت متحدية، إذ قالت: كان قبل كان ما

---

(١) آمنة بنت يوسف (مقابلة شخصية ومعايشة) ١٩٦٠م (جدة الباحث).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

قِبِل بُكْرَة نَرِد أم زِبِل فأصبحت لا تطير عقوبةً لها على تحديها وعدم تفويضها الأمر لله كما فعلت صويحباتها[1].

وهذه من الأساطير [2] التي تُقوِّي الاعتقاد في الله وفي قدرته وأنه له في مشيئته أمر وأنه هو مالك الملك والمتصرف فيه وحده لا شريك له الله الحي القيوم.

ومن الأساطير المَرْوِيَّة منهن أن رجلاً وقع في الأسر فقيل له لن يخرجك من الحبس إلا كذبةً بليغةً نسمعها منك، فقال لهم:

الليلـــــة شـــــفت القعـــــوي حلبـــــوه (أي: الضـــــفادع)

وأهلــه رِووا فيــه وحتــى العقــاب حَقَنُــو(أي: حفظــوا بقيــة اللــبن)

والليلـــــــة شـــــــفت فحيـــــــل البلـــــــوم شـــــــدو

والفــأر شــال دقلولتــه (أي عصــاه) ومــن الكــديس حجــزو

وشـــفت القطـــن بِتْفَلَّـــت علـــى النـــار(أي: يتحـــداها)

والشـــــــرموط شـــــــال رأس الحديـــــــة وطـــــــار

وفـــــي عـــــش أم صريصـــــر بَيَّضَـــــت أم عَكّـــــار

وبـي درب الأسـودة اتقـارب الحَمّـار[3](أي: أنهـا تطـارد الأسـود).

فأطلق سراحه لأن الكذبة بليغة فعلاً فقد جمع كل شيء ونقيضه.

وفي باب مدح المصطفى عليه الصلاة والسلام تقول لك:

فـــي الطعـــام مـــا بـــتملا زيفهـــا (أي كرشـــها)

ومـــا بتنـــوم تســـمع نفيفهـــا (شـــخيرها)

وتبـــرد المحمـــوم بيهيفهـــا (الســـقط) [4]

وهذا شعر رمزي يعني الصلاة على النبي ﷺ تماماً كالقصيدة الرمزية للشيخ حياتي، إذ يقول:

---

(١) آمنة بنت يوسف المصدر السابق، (مقابلة شخصية ومعايشة) ١٩٦٠م (جدة الباحث).

(٢) الأساطير هي القصص من نسيج الخيال لترسيخ بعض المعاني.

(٣) آمنة بنت يوسف مصدر سابق.

(٤) المصدر السابق.

ساعة الليل ما جَنَّ ناس ليلى جَنِّي(أي: وصلنني)

أجّن نار جناني وهيجني(أي: أشعلن النار في قلبي).

ناعسات العيون الكاحلة جَنِّي

ربات الحُسُن القاتلة جني

قالن لي سلامات الْهَجَنِّي(أي: حيينه وألهينه).

بي مرهم صلاتِن صَحْوَجنِّي (أي: أصحونه).

بي حُلَلْ الحُلِى والند شجني(أبهجنه بأردانهن وعطرهن)

قلت ليهن فلا تُبَارِحَنِّي(أي: لا تغادرنني).

وقفن لي هنيهة وراجفني

أبْكَني وبَكَن حين ودَّعَنِّي[1]

وهي قصيدة رمزية تعني الصلاة على الرسول كسابقتها أتت في قَالَبٍ هو غاية العذوبة والجمال والسبك الفني الرصين.

ويمتد الشعر الرمزي في الصلاة على الرسول ﷺ فتقول:

ناقتي ما ها ناقة خاسة

ما جابوها لي مَرَّاسة (أي ليست للعاطلين والمخمورين

(أي قبة الرسول ﷺ والَمَرَس)

وفي أم شبكاً صفر مُمْرَاسَا

(أي قبة الرسول ﷺ والَمَرَس هو حبل صغير تربط به الدابة)

ناقتي ماها ناقة حيرة

وما ساقوها فُجَّار ليلة

وفي أم شبكاً صفر كل ليلة[2] (المعنى هو ما سبق)

ذلك أنها مشغولة بحبيبها المصطفى لا تغفل عن الصلاة عليه.

وتمدح الرسول ﷺ:[1]

(١) إذاعة الكوثر، فهي تبث مدح النبي ﷺ، والشاعر هو الشيخ حياتي من آل العارف بالله ود بدر.

(٢) آمنة بنت يوسف مصدر سابق.

كيـــف معـــاي زول مـــن أَمَـــهْ * ود آمنـــــة مـــــرواد العمـــــى

كـــان أُومـــا ســـاكِتِ للســـما * يـــدوِّر وصَـــبَّتُه تمشـــى مـــاء

جاتـــك حليمـــة راكبـــة حمـــار * حمـــــار أعرجـــــاً فَتّـــــار

قاليـــــــــه أوف.. النـــــــار (يعنـــــي انطلـــــق مســـــرعاً)

فـــــــي خـــــــامس شـــــــهورك حُمْـــــــتَ بالأَقْـــــــدام

وفـــي التاســـع نَطَقْـتَ وجِبْـتَ قـولاً تـام يـا الختـام(أي: خـاتم الرسـل)

وفـي مجـال العبـادات لمـا كانـت رواحـل الحـج هـي الجمـال تـورد وصـف الجمـل استعداداً لقافلة الحج تماماً كما يمدح البرعي الطايرة السودانية:

جملـــي البريـــدو جـــابوه لـــي مـــن أنـــا وليـــد

مـــا تقـــول بيضـــته علـــى الـــدبلان بزيـــد

أفطـــــس قدومـــــه قلمـــــاً مبـــــري بالأيـــــد

مـــدردم خُفُّـــه فـــي الوطيـــة مـــو عـــريض

ضـــامر حشـــاه مثـــل الشـــولة فـــي الأيـــد

(هـــي الغـــزل فـــي شـــكل مســـتدير ومخـــروط)

مـــا تقـــول عرقوبـــو شـــوتال مـــدقوق جديـــد

مـــا تقـــول ضـــنبو علـــى الشـــبرين مـــا بزيـــد

مـا تقـول حِوّيتـه مخلوفـاً عنـد رشـيد(أي: سـرجه).

مـا تقـول عينيـه خـتم دق ود تبيـد (تـاجر الـذهب)

ما تقول رقبتو كالروق ال بالهويد(مثل سرب الطيور)

مـــا تقـــول اضـــنيه مرفعـــات زي كلـــب الصـــيد(٢)

وفي الحج لها أيضاً:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مدحة يرددها المغني السوداني عبدالكريم الكابلي في الإذاعة السودانية للمادح ود سعد.

لِمتين يا عاشقين نَحَدى الكُلُوسْ (أي الجمال والحداء هو لحن يجعل الراحلة تُسْرِع)

لي أمات درر مو فانوس (أي الأماكن المقدسة مكة والمدينة)

وَحَات درب السُراط الخشمو موس[١].

أما في القصص العاطفي:

تروى قصة تاجوج وابن عمها المحلق ما يعيد إلى ألأذهان ما يسمع عن مجنون ليلي العامرية وقيس بن الملوح أو قصة قيس بن ذريح ولبنى، وابن زيدون مع ولادة بنت المستكفي وكلها تدور حول اللوعة والفرقة بعد السعادة والمرح واللقيا مثال: أتبكي على لبنى وأنت تركتها.. وأنت عليها بالملأ أنت أقدر.. وقصة تاجوج والمحلق معروفة فبعد الفرقة جاءت تزور المحلق وتعوده في فراش المرض فجعلت النسوة يتحدثن عنها بما يشين فأنشأ يدفع عنها بقوله:

ماها أم شباط .. ماها أم لباط.. أنضمن بشيشي.. الملكة جات[٢]

وبقية القصة يوردها نعوم شقير من شعر المحلق:

ومن القصص في الحب أن أحدهم جن بحب أربع بنات أخوات فأنشأ يقول:

بنات عثمان يا لبيب أخضر شايل الوضيب

أنا جنيت يا الأهل وحاكيت سقد البحر

بعد التوب انضهل

قولي صح مو مزاح .. وحاكيت جرقاس في النباح.. وأخير المات واستراح

أنا المَقْتُول بالسَنِينْ وأنا المَرْضَان لَيِ سِنين

ثم يصف محبوباته بنات عثمان:

واحدة فيهن غابة البِنْتُر ويزيم..(أي: الأسد يزأر) إن ضربت سلاح ما بتستقيم

خربت بيوت كتب المدير (أي: جمالها أخاذ)

واحدة ما بتنقاد بالرسن وواحدة فوقها سيدي الحسن(أي: يحفظها سيدي الحسن)

واحدة توب الشاش للفرير وواحدة خيت النافش الحرير (أي: ناعمة بضة).

---

(١) آمنة بنت يوسف مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق.

ثم يخاطب أُمَهُنَّ واسمها الجسير أن أشيري عليّ:

يا الجسير كيف الدَبارة.. والبِرُوح فيك ما خسارة

يعني هو مستعد للثمن مهما غلا ولكنه بالطبع طلب مستحيل.. قال تعالى في معـرض النهـي:﴿ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1] وهذا يريد أن يجمع بين أربع وهذا هو الحب المستحيل.

ومن القَصَصْ من قبيل الشباب والمرأة: أن امرأة أرسلت ابنها إلى موقع يسكن فيه خاله ليعاين ابنته علها تروق له فيتزوجها فكانت هي أول من صادفها ترعى زراعة أهلها فاعترضته ومنعته العبور، فأرسل إلى أمه يقول:(يا الشايل السلام وَدِّيه لي أمي.. وقولوا لها الزاد الِيلْ قبيل خَلِّي.. في حُدْر التَرَس بَرّكت جملي وشالت عصاتها وجات تَبَاطِنِي.. عاينت لي كُرَاعَها كيف شَقَّها مَتْنِّي.. وعاينت لي خَشُمَها ريالته كيف تمشي وقلت يا ود بدر الرشيد دي تَحِلَها مِنِّي) [2].

ومن نماذج رسائل الغرام في ذلك الزمان الغابر:

يا متدلي شايل البلد.. قول لي عرجون العرد للسلام بكتب ليك سند

يا متدلي شايل البلود.. قول لي أم رنعاً خدود للسلام بركب قاعود

وهو ولد الناقة سفينة الصحراء[3].

مجالس الشاي والقهوة:

تجتمع النسوة في بيت إحداهن فتوضع (السَوَّاحة) "أداة قَلْيِ البُن" على الجمر بعد رصِّه (بالماشّة) "أداة التقاط الجمر" ثم توضع بها حبيبات البُن وبعد تحميصه يَكْرُفْنَ من دُخانه المتصاعد إذ في استنشاقه كَيْفٌ يَذْهَبُ بالصداع، وبعد دق البن بإيقاعٍ موسيقيٍ آلاته (الفندق) وإيد المدق ثم يُغْلَي في الشَرْقَرَق أو الشَغَّال بعد وضع عِرْق الدواء عليه وهو الجنزبيل أو الزنجبيل ثم يفرغ في الجبنة لتدور على فناجيلهن بعد

---

(١) سورة النساء، الآية (٢٣).

(٢) من قصص الخيال الشعبي الذي يغذي روح الابتكار في النشء مثل ود النمير وفاطمة السمحة. آمنة بنت يوسف، مصدر سابق. والمعنى أنه وجدها متوحشة وقبيحة ولم ترق له ودعا الصالحين للخلاص منها.

(٣) مثل هذا القصص هو من القصص المتوارث وهو من إبداعات الخيال التي لا يُعرف لها مؤلف. من نقل المصدر السابق ١٩٦٠م.

وضع ليفة على فم الجبنة وهي خيوط حمراء من مستخرجات السعف والجبنة نفسها تستريح على وقاية من القماش في شكل دائرة وقد تُزَيَن الوقاية بالسُكْسُك، والجبنة تكون من صفيح أو صيني أو طين والأخيرة أفضلهن على الإطلاق وقد لفت منظرها نظر شاعر اللغة العربية الكبير علي الجارم في زيارته للسودان عام ١٩٤١م فأنشأ في نونيته يقول:

يا نَسْمَةً رَنَحَتْ أَعْطَافَ وَادينا ... * قِفِي نُحَيِيكِ أو عُوجِي فَحيِينَا

أَثَرْتِ يا نَسْمَةَ السودان لا عَجَةً.. * وهِجْتِ عُشَّ الهوى لَو كُنْتِ تَدْرِينَا

يا ساقِيَ الحيّ جدّد نَشْوَةً سلفتْ * وأنت بالجَبَناتِ الحُمُرِ تسقينا

واصدَحْ بنونيةٍ كُلَّمَا هَتَفْتَ بها * تَسَرّقَ السمع شوقي وابنُ زيدونا

وأحْكِم اللحنَ يا ساقي وغنّ لنا * إنَّا محِبّوكِ يا سلمى فَحِيينَا

قد يصحب جلسة الجبنة خَتَّ الودع أو حِوارٌ مسرحي أبطاله البُن والسُكر والشاي فيقول السُكَّر لِلْبُن:

لَمْلَمُوا عِدَّتَك تقول نَقَّالِي .. وسَفَّهْتَ النِسَا وبَطَّلْتَ لِلأَشْغَالِ (أي: شبهه بالإسكافي)

وطولة مجلسك لِي فلان قال وقالّي (أي النميمة وسيرة الناس)

فَرَدَّ البُن على السُكر بقوله:

إنت ساكت ود ريف نَضَّام وأنا حبشي أصيل جاي من قِدَّام وقول الناس قالوا إنت عضام..

واقتحم ساحتهم الشاي فقال عن نفسه:

أَنَا تَرَمُونِي.. أنا أبو شعيرة البَرمُونِي.. في البَنُّور كَبُّونِي.. وفي الزاوات استلموني.. وما سَقَطْتْ دَفُونِي[1].

وأيضاً ينقلنا الخيال المسرحي ليصور لنا جلسة الأطفال رجاء شرب الشاي وهم متحلقون حوله وحول أُمّهم وهي جِلْسَةُ شَغَفِ قد تَخْلِقُ غَفْلَةً عن أشياء أخرى..

والتصوير بالكلمات لذلك كالآتي:

---

(١) تراث شعبي من نقل آمنة بنت يوسف، مصدر سابق ١٩٦٠م.

الشاي أبْ صُغَاراً حِدَاه ...

سَوَّىَّ العجُوز في تَلْتَلاَ .. عَقَبْ الكلب لِقَى الجَرَّ كَفَا ...(أي: قلب الجرة رأساً على عقب)

ووقت الحديد قال كُرْكُبَا حتى الفكي قطع الصلاة ..(المقصود رنين كبابي الشاي مع بعضها)

ثم جاء الولد وقال لأبيه يابا الرأس مَرَق أي نَضِجَ (ويبدو أن لديهم نيفة على النار) فقال له الأب: خلاص (أنت ليك أضان وأخوك ليه أضان (أُذن) وأمك ليها الشلاليف الثخان أوعاكم (تحذير) من العينين واللسان) [١] (فهما نصيبه هو) وهكذا فالناس لديهم من فاكهة المجالس ما يصنع مسرحاً.

ومن أشباه المسرح الألعاب لتزجية الفراغ عند الصبية وبنظرة فاحصة تجدها إرثٌ عالميٌ مشترك وإن اختلفت الصور والأشكال فالأفكار متشابهة فإذا أَخَذْتَ لعبة التيوة كمثال (كرة قماش في حجم كرة التنس) فشخوصها أربع كل اثنين ضد اثنين يشغلان نقطتين متباعدتين فيرفع أحد الخصمين التيوة إلى أعلى في الهواء فيضربها خصمه بعيداً وقد يَشْتُرُهَا إلى الاتجاه المعاكس ليتمكن صاحبه من وصول الميس قبل وصول الخصم الآخر إلى التيوة ليضربه بها فإن وصل إلى الميس يفوز هو وصاحبه والعكس صحيح فيخرج المنهزمان ليدخل آخران من المنتظرين وهكذا.. فهذه اللعبة نفسها أراها تجري على مستوى أوربا وأمريكا ولا يختلف إلاَّ شكل المضرب والكُرة ولبس اللاعبين والميدان فإنه يُعَد إعداداً خاصاً وعلى ذلك قِسْ من ألعاب الكرة والدافوري وألعاب الحيلة والاختبار مثل (يا لَبْلَب كم في الخط (اختبار الحدس) وغمدت وأهل الصعيد انقرضوا وحمور وقمر السوق عمر والرِّمة والحراسة وأم الزمل وكديساً قاسك وألعاب القوة مثل الصراع وشدت والضَقَل وشِليل ومما يشترك فيه الكبار والصغار المنقلة والسيجة والكار... ورحلات الصيد في الوادي المجاور على الأقدام وفي اليد المجداع أو الضلعة والسفروق وتصحبهم كلاب الصيد لاصطياد الأرانب في اليوم المطير إذ

---

(١) تراث شعبي من نقل آمنة بنت يوسف، مصدر سابق ١٩٦٠م.

أن جو الطين والماء مناسب لاصطيادها فمرة يكسبون وأخرى يقمحون وقصد ذلك كله المتعة)[١].

أما ألعاب الصبايا الصغار فمن جنس اهتمامات المرأة فَيُخِطْنَ بت أم لِعَاب(تمثال عروس من القماش) ويصنعن عرساً خيالياً يغنين له.. كما يتصدرن عمل البليلة خارج البيوت أمام القرية وعلى مرأى من أهلهن لطلب الغيث من المولى سبحانه وتعالى ويسمينها الكرامة يقلن:

كنيش تجيب المطر والعيش..

السمبرية يا أم قدوم عيش أبوي بتين بقوم.. (أي: يا طائر السمبر).

بقوم باكر مع العساكر..

وفي ذلك عمق الإيمان أن المُعطي والرازق هو الله (إذا سألت فأسأل الله وإذا استعنت فأستعن بالله).

أما الصِبْيَة الذكور فبعد نزول المطر يبنون بيوت الرمال ويزخرفونها متمثلين بيت أبي القاسم الشابي:

نبني فتهدمُها الرِّياحُ * فلا نضجُّ ولا نَثُورْ

وكذلك يصنعون من الطين جمالاً وأبقاراً وحميراً ويلتقطون بِتَّ المطر وهي دويبة حمراء عليها مثل القطيفة ويأكلون الصمغ من شجر اللعوت وهذا الصمغ يسمى أُمَّارْغِيو كما يأكلون صمغ السيّال والسُنط متوكلين فلا تسمم ولا ضرر بل صحة وعافية[٢].

وفي موسم الحصاد تكثر الطيور فيضع الصبية الشراك لاصطيادها، والشراك أنواع منها الدَرْدَبيس وهو عبارة عن كرتين من الطين موصلتين بشعرتين يأتي الطير ويجلس برجليه (يَرِك) فوق الشعرتين فتدخلان بينهما فيعجز عن الطيران بالكرتين فيقع في قبضة صائده من الصبية.. وشرك ثاني هو القلوبية أو القلابة وهذه يشد أحد جانبيها بعود رقيق مثقف رأسه ومرقق، اسمه الحَمّاي يربط بخيط رفيع إلى الطرف

---

(١) هذه الألعاب هي من التراث ومن الواقع المشاهد والممارس، ويحتاج شرحها لبحث منفصل.

(٢) ممارسات مشاهدة ومستمرة وإن قَلَّت.

الآخر من القلوبية ومربوط به طُعْم إما جرادة أو دوسة أو حبة عيش أو أي شيء مما تحبه الطيور من دويبات الأرض فتأتي الطيور وتحاول أخذ الطعم فما أن تمسكه بمنقارها وتجره إليها إلا ويتحرر الحَمّاي من مَشَدِّه فَتُطْبِق القُلُّوبية على رقبة الطائر فيكون قد وقع في المصيدة، ولهم ترانيم يجلبون بها الطير إلى الشراك أو (يدودرونه) حتى يلج الشباك ومن الترانيم (القَدّالي يا ود حوّا، القدالي شركك نوّه القدالي يا ميلوفة القدالي تَرْتِر شوفها) ومنها ما يُدودرون بها القمري (حَمْرَا دباسة يا أم ضنباً مَواسَا عليك الخليفة يا السمحة ونضيفة) أما أم قيردون فتخاطب بـ(أم قيردون يا الحاجّة كُلَّ صباحاً لاجَّة وَلَدِك عريس يا الحاجة يوم الخميس يا الحاجة.. وكذلك عاشة أم قرين يا عاشة وهي الهدهد.. وللطير الخداري أهزوجة (الطير أبو الخداري أب ريشاً براري، بسلك وبديك وأخت شبابي فيك شبابي نور الوادي.. أهل الجنينة حاربونا وشدوا جمالهم جونا.. جمالهم بالكساره.. الكساره ماليها دبارة.. الخوف والجاروف والنار والجنة) [١].

مناسبات الأفراح:

الزواج ليس فيه تعقيداً وغالباً ما يتزوج الشاب بنت عمه فالأثاث لا يتعدى العناقريب والبرش والريحة في متناول اليد والملابس ربع دستة إلى نصف دستة من الثياب والفساتين وما تحتها، والتبروقة (المصلاة من السعف) والإبريق للصلاة وباقي الشيلة من صفائح الزيت والجاز والخراف وفرك القرمصيص وأم صفيحة، أما المنزل: ففي الغالب يشيده والد العروس داخل داره وهو لا يعدو أن يكون غرفة واحدة والمهر في الغالب لا يتعدى الثلاثين جنيهاً وهو ما يعرف بعرس الكورة ويعني محاربة غلاء المهور وتسهيل الزواج، أما ملابس الزوج ففي الغالب جلابيتين أو ثلاث وسراويل طويلة بتكة وعراريق وتوب ساكوبيس ومركوب أو شبشب.. وتعمل له الحناء في بيت أمه تحت إشراف جداته وتغني له البنات من أسرته وفي اليوم التالي يسير إلى بيت أهل عروسته تصحبه جوغة من الأهل والأحباب نساءً ورجالا والعريس على حمارٍ مُسْرَج ومُزَيَّن وبعد الوصول يستقبلهم أهل العروس أحسن استقبال ويُكَفُّوهُم أي يكرموهم

---

(١) أحمد ود عوض الله وأترابه (مقابلة شخصية) ٢٠١٤م بإيد الحمراء المحمدية.

وبعد الطعام يوقفوا العروس ويقطعوا الرحط.. وبعد الطرب والطمبور والرقيص وأخذ الشَبّال يذهب كُلٌ لحاله وتذهب المرأة لزوجها.. أما القُرَى التي دخلها شيء من تبدل الحال وهي قرى البحر (النيل) في الغالب فبالإضافة لما سبق لابد أن تذهب السيرة بالعريس والعروس إلى البحر ويدخلان الماء ويرش كل منهما الآخر بماء النيل تبركاً وهذه بالقطع عادة فرعونية فأهل القرى على النيل أغلبهم ممن نزحوا من الشمال ولذلك تعودوا عادات الفراعنة فالزواج والختان تصحبه صناعة الحُسُوَّة والنبيت وهو النبيذ والمريسة.. والحفلة نجد فيها البُطَان إذ يُعَرّي البعض ظهورهم ليجلدهم العريس بالسوط إظهاراً للشجاعة عندما يُسَخِّن الشلعابي بالدلوكة والشتم (دُفوف) والرقيص والحماس الذي تشعله ضاربة الدف – السِتُّور في القرَّاصة مثلاً – وبما أن أهل السودان ينفعلون بأحداث السياسة من قديم فقد يُسمع من أغاني الستور هذه في وقفة العروس ما يتناول الحرب الكورية وسياسة الخمسينات في السودان.. (الله لي كوريا والنار يا شباب سوريا.. أزهري إتعلا وتاني ما بتدلى وحزب الأمة بَرَّه.. أزهري عَلُّوه وتاني ما بْدَلُوه..) أو نسمع منها الشعارات بقطع عبدالله خليل الطريق على الاتحاديين وتسليم السلطة للجيش فتردد المغنية كلاماً هُتَافِياً (عبدالله خليل سرق المنديل من إسماعيل) [١].. وشعارات من هذا القبيل تخلط السياسة بالحياة الاجتماعية وبما أن مكان العُرس هو مكان تَجَمُع فمن المناسب أن يكون منبراً للدعاية السياسية حتى من الحَكّامات مما يعكس أن أهل السودان يتنفسون السياسة كما يتنفسون الهواء.. وأغاني السيرة كلها دعاء وتمني وأمل وطلب المباركة من الله ورسوله وإسناد كل شيء لله فتقول:(الليلة العديل والزين.. الليلة العديل يا عديلة الله.. والليلة العديلة يا رسول الله.. والعديلة يا عديلة الدائم.. وأخذ بنت الرجال العزهم باين.. الليلة العديل والزين والليلة العديلة يا عديلة الله.. الليلة العديلة والعديلة يا رسول الله).

ومن الدعاء:

العديل والزين.. تتبارك معاك ويومك إبقى سعيد.. وتَبَكِّر بالوِليد والفايدة تملأ الإيد.. شَدُّولو ورِكِب عصر اللّجَامو حديد.. تبكر بالوليد والفايدة تملأ الإيد.

---

(١) فاطمة الشيخ أحمد الشيخ (مقابلة شخصية) ١٩٦٥م بالقراصة – وهذا الغناء السياسي في الغالب من إنتاج (حواء الطقطاقة) الاتحادية المعروفة والمنفعلة مع الأزهري.

ثم تُثْنِي على العروس: الحُرّة بت الحُرّة.. فَرَشُولا الحرير فوق المساطب بَرَّه.. عند أمك وأبوك ما ضوقوك الهانة.. ودقُّو الجلاد (أي: العطر الناشف) في أربعين مسحانة.. الخ

ثم تغني بنغم آخر: الليلة العريس سيروه بالعديل.. وحَارْسُه الذوق من أمه وأبوه يا عديلة.. الليلة العريس قَدِّمَنُو وسار لي بت عَمُّو..

يا عديلة يا بيضاء ويا ملايكة سيري معاه.. الليلة شويم بقدرة الله (توجه).

ثم تغني أيضاً بنغم آخر:

سيد الحيشان الثلاثة.. الليلة عريسنا ساير بانبساطة

نَفَضَ الكِيس قَطَع الرُحَاطَة.. دفع المية للمشاطة

الليلة سلاحك رَطَن.. في سَابِع سَكَن يا عريسنا

الليلة حَنَنُوه وفِرْحَت أمُّه والجِنْيَات في الحيشان اتلموا(أي: الشباب)

والعديلة لي والليلة ساير لي بت عمو..

الشدر النخل العديلة .. والعزة بالأهل العديلة لي..

الليلة عريسنا ورد البحر يا عديلة هُويْ..

وقَطَع جرايد النخل يا العديلة هوي.. العديلة لي.. [1].

---

(١) من محفوظات التراث وقد أوردها سعد الدين محمد أحمد صاحب حصاد القرون في كتابه المذكور، ط١، ج١، عن مجتمعه فالمجتمعان متشابهان ومتقابلان حتى في الجغرافية والسكن ومنطقتهم هي منطقة الكواهلة.

المبحث الرابع

الحِكَم والأمثال والدوبيت

الحِكَم:

١- من حكمهم في اختيار الزوجة: المرأة (عاين) - أي أنظر - لي إبِيَهَا وإخَيِهَا فإن ولدك منها غالباً ما يخرج مثلهما.

٢- المرأة ما بيأخذوها عشان زيقها (أي منظرها الخارجي) وإنما يأخذ الرجل الرجال (أُخد بنت الرجل الكان هَكَعْتَ يقيلك وكان وَقَعْتَ يشيلك).

٣- حَسِّن الخال وخال الخال وشوف الجنا كان يجي بَ ِطّال.

٤- وتحذير من جَرَادَة العُشَر (أي المرأة الجميلة في منبت السوء).

٥- وتحذير ممن ليس لها أبٌ يوجهها أو أمٌ تضبطها (هبو هبو لا أم لا أبو).

٦- وفي وصفهن: النار ما فيها من شريرة وبنت النسا ما فيها من صغيرة.

٧- البنت عُشرة أي أنك إذا تعهدتها فإنها تبلغ مبلغ النساء سريعاً.

٨- النساء فيهن هَمِيم وفيهن خَمِيم وفيهن رَمِيم وفيهن عقرب ساكنة الهشيم فيهن هَفُوت فيهن لَفُوت.

وفي اختيار الرجال: أُخُد الأصيل ولو ينطوي في الحصير (من الفقر والجوع) الأصيل غُوف حرير والحرير لا يتغير أصله ولا يتبدل بفعل الزمن، ويشبه شيئاً من التأصيل في قصة تلك المرأة التي أتت النبي ﷺ تستنصحه وتستشيره أنه قد تقدم لها معاوية ورجل آخر يطلبونها للزواج فكان نصحه ﷺ:(أمّا معاوية فصعلوك وأما الآخر فيضرب النساء وخيرٌ لك منهما أسامة بن زيد أو كما قال).

وعن نجابة الولد يقولون:(الأمه سَهِيتُ "أي الناقة النجيبة" ما بِنْهَد والخَالُه هِرِيسْ ما بِسِد قَدْ "أي لا ترجى منه فائدة").

وعن الأولاد: أرجالك سفيه ما ترجالك عاطل.

١- البحر بياكل عَوَّامُو.

٢- النِسا قديمو تاه.

٣- الما عندو قديم ما عندو جديد.

٤- الضُفر ما بمرق من اللحم (للاهتمام بالأرحام).

٥- البِلِد المِحَن يلُولِي صغارها (أي يحصد ما زرع).

٦- ركاب سرجين وِقِّيع ومسّاك دربين ضِّهِيب (أي صاحب بالين كضاب).

٧- المال بسوِّي للإضينة بال.(أي: الفلوس تصنع لصاحبها مكانة).

٨- العلم في الصغر كالنقش في الحجر والعلم في الكبر كالنقش في البحر.

٩- المحن ضيفات (أي كأس يدور على الكل).

١٠- كويسات العسل ضَوَّاقات (أي كؤوس المنايا دائرة تقولها المرأة لمن لم تعزيها في عزيز لديها يعني الموت في أهلك بجيك وبتَسْدي فيك).

وفي اختيار الأخوان:

١- ما تخاوي ود الريف وما تقعد تحت الراكوبة في الخريف. (يعني: كلاهما لا يفيدك).

٢- ما تشكِّر لي الراكوبة في الخريف (أي من شكرته لي لا يستحق الشكر).

٣- ابن الوِز عوّام (أي على الأصول ينبت الشجر).

ومما يحفظونه من حكم ومواعظ وإرشاد ود بدر: (ثقاة مجتمع).

١- في الصيف كَتِّر طَشيشك (أي أترك الكسل وأبحث عن العمل).

وفي الخريف كَتِّر حشيشك (أي نظف زرعك).

إن خِتِيتْ لقمة درشيك الدناعة ما بتعيشك (أي إن أهملت زرعك فالشحدة ليست وسيلة للعيش).

٢- عليكم بثلاث:

الطِفِل المابشيب (القرآن).

والظن الما بخيب (صلاة الجماعة).

والقمر الما بغيب (الكرم).

٣- حفرة الجفا لا تنكتا (خالق الناس بخلق حسن).

ونعمة الله لا تجحدا (أشكر الله على نعمه وَجُد بها على الآخرين).

والبتجي من السماء لا تبغتها (أرض بقسمتك وأصبر على بلواك).

٤- عاجبني الصبي الكلامو بَيّن (واضح).

وقدحوا لين وسيكنوا تزين (كريم وشجاع ومقدام).

٥- سَلّمِ تسلم (كن مسالماً).

وما تشهد بما لا تعلم (تجنب شهادة الزور).

وما تجالس أهل التُهَم تُتَهَم (ولا تجالس السفهاء).

٦- البتوضأ ويصلي الفجر

ولله يفوض الأمر (الصبر والصلاة والتوكل على الله

وعلى أذى جاره يلزم الصبر وحسن الجوار)

إن جاه شي اليقول ده ود بدر

الدوبيت[١]:

أما الدوبيت فهو أدب سوداني خالص (أي من أدب البادية) وهو غالباً ما يكون وصفاً معنوياً لمحبوب فمثلاً لجيل المشلخات يقولون:

١- الليلة الصعيد جاب الهبوب مقلوبة .. وطرَّاني أم شليخ والجلسة في الراكوبة

(أي نسيم الجنوب ذَكّرَه محبوبته المشلخة الجميلة وجلوسهما معاً)

قوم يا يسن أخوي قصقص لدروبها. والحِجْل أب أربعين ظابط على مركبوها

٢- الليلة الصعيد أصبح مقبل جاي. وطَلّق عَفَرَّتُو وجاب حني القوقاي (أي القمري)

والبنت أم شليخ ربطت حديثها معاي

(أي حين يأتي نسيم الجنوب ومعه القمري تم بينه وبين حبيبته كلام)

---

(١) الدوبيت: أدب شعبي يُردده في الغالب الرعاة والمغنون والمحبون.

٣- ود الأدْرَع الأمُّـه جَـات جَـافْلابُو .. كَتِّرلُـو القَنِـيص وأرقـدلو فـوق ديـدابو(أي: طريقه)

شَلْخِك عَرَّضُو والدمعة تِدَلابُو.. وريقك أحلى على تمر الأفندي الجابو

(أي راقب طريق البنت الجميلة المشلخة عذبة الرِضاب)

ومن جيل عهد البواخر:

ديك بابور مصر جات تمشي بالزنزانة .. وتنهز في البحير (نهر النيل)

لمن يطقطـق زانها وفيها الدّقة بنت إدريس شـالتني بينيشـانها (وفـي هذا تصـريح فالدقة بنت ناظر البلد وأتت بها الباخرة من مصر).

وجيل آخر يشير لاسم المحبوب رمزاً مثل (٤١) وأظنـه إشـارة للاسم بالعدد وهذه تشبه لغة الإشارة فالواحد يشير إلى الحرف (أ) والأربعين إلى الحرف (م) أي يشير لها بألف وميم وهو التلميح باسمها لا التصريح مثال: واحد وأربعين بنت اللبيب عبدالله لا شـقت فريـق لا جالسـت خلـق الله.. نَهَدِك برتقـان وحاجبـك هـلالاً هـلَّ وريقـك طعموبـو الشاي بعد ما حلّ.

- واحـد وأربعـين بنـت اللبيـب عثمـان لا شـقت فريـق لا جالسـت صـبيان نهـدك برتقان وحاجبك هلال رمضان وشوفتك تَسْنِد الكان بالسنين مرضان.

- واحد وأربعين عينـي ما نظرنك (أي لا شبيه لك) يا المِثْل الكرام فرك الحرير جَرَحَنِّك وجننتي الرجال حتى الحريم عشقنك.

ومن نداء أو (نديهة الصالحين): يا سيدي الحسن يا أبقبةً لبنية تكتب لـي حجاب من رأسـي لـي كُرْعَـيَّ أدخل علـى البنُّوت وأَشَنِّق الطاقيـة وأفتح الجزلان وأدي كتيـر مـا شـوية.. يـا سـيدي الحسـن يـا أبقبـة لالايـة تكتـب لـي حجـاب ليزينـب التاتايـة.. الصـبي والعروس اتلاقو في الإندابة والشاي الشعير الفرطق الكباية.

وفي اللوعة والوصف:

- ديـك مطـرق خيـزران (أي: البنـت الجميلـة الرقيقـة تتهـادى فـي مشـيتها) جـات تمشي بالشكينته وخلّت قلبي شمعة ونار جهنم زيتها واقفين ديدبان أبشنطة وأب برنيطة ونستني الفرائض الخمسة ما صليتها.

- البارح وأول البارح مشيت لأهلي الجمالاب أدوني مريسة ونصها مُسْكَاب والمركب سِرِيتِق والبحر كَبْكَاب وديك بتّاً بالجزاير تَشْبَه الرُقَّاب هي الفردة وأنا زيقها وهي الحربة وأنا طبيقة (أي متعلق بها ومغرم).

ديلاك ثلاثة بنات واقفات حربوص حربوص طارن للسماء ووقعن ثلاثة فصوص يا جِنْجير البلوم يا مُرْتَع الجاموس وجلدك صوبنوه وفيه الدهب مرصوص.

من أغاني الرعاة:

(قالوا في الأمثال: أجهل من راعي وأحمق من راعي ضان وذلك أن الضان تنفر من كل شيء فيحتاج راعيها إلى أن يجمعها في كل وقت) [١]

- الضان ود الضان .. الرقبة جريدة والضنب دلقان

الكرعين محفحفات لي جري القيزان .. والبطن وسيعة لي مرقد التيمان[٢]

- من طلع العنقريب طلعت معاه نجوم .. اثنين بالشرق والتالتة بالخرطوم

شالن قلبي أنا وخلن كبيدتي تعوم .. وبت ناساً عزاز فوق المخدة تنوم[٣]

- البارح وأول البارح نايم لي في ضرا تميمات..

وجَنّي بقر جهين الكُلَهِن دباسيات وفيهن بقرة حبوبتي حَمْرة أم عقيلات

ضربتها بحريبتي أم شعيقات خليتها على تلاتة قلمات

ولابد أن نشير إلى أن الراعي عندما يخرج ببهائم القرية في الصباح الباكر لابد أن يحمل معه وعاء الزوادة وهو الكَبَروس عبارة عن وعاء من العود المجوف وله سير حمل بطول يمكنه من حمله وسير آخر يربط سير الحمل بجسم الكبروس ويلبس حجابه في ضراعه اليمين (ذراعه) ومعه الملقاط والمنقاش لإخراج الشوك من الرجل عند الإصابة به مع الإبرة والخيط ويحمل كسرة بريدة للزوادة داخل الكبروس لزوم الأكل بما يحلبه من اللبن وفي ذراعه الشمال يلبس سكين ماضية أو بردوية وهي أقل

(١) كمال الدين محمد بن موسى الدميري، (٨٠٨-٧٤٢هـ) ، تهذيب أسعد الفارس، حياة الحيوان الكبرى، ط١، ١٩٨٩م، دمشق، ص١٠٤.

(٢) سعد الدين محمد أحمد، حصاد القرون، ط١، ج١، ص٢٧٢ و ٢٧٥.

(٣) نفس المرجع السابق.

مضاءً ويتأبط مع ذلك عُكَّازه والقول المأثور في ذلك (العكاز من الكلب والسكين من السلب وفَكّة الريق مسمار القلب) أما لبسه عبارة عن سروال بتكة طويلة مربوط برأسها عرف من الخيوط للزينة وعَرّاقي من وزن تسعة أو عشرة أو البفتة أو الزاندي من أقمشة ذلك الزمان وعمة أو طاقية حمراء مشنقة وشبط شقيانة وبيده كرباج يَكْسَع به السَعِيَّة وإذا أراد تجبين اللبن يفعل ذلك بخلط ثمرة الجبين معه ثم يغني له كأنما يستحثه على التجبين: لبن الضان جوبن .. سيدك جيعان جوبن.. بكوس تحت الضان جوبن[1].

ومن الغرائب أنه يُجَبِّن وقطعاً أن التجريب هو ما قاد الرعاة إلى ذلك وليس لأغانيه أثر إلا الوقت الذي ينفقه في الغناء له.. ولابد أن تصحب الراعي في رحلته المتجددة الزمبارة والطِرِنْبِلَّة: وأنغامها: البلول.. البلول البلول لي أهلنا.. وبنات الريل جفلن من المقيل جفلن[2] .. والزمبارة لها هواة متخصصون يجيدونها أيما إجادة ويجعلونها تتحدث بأنغام شجية تؤثر في السامعين.

نداءات التنبيه للسعية:

للبقر دَج دَج أو هج.. ولتقريبها التربشة بصوت يصدر من الشفتين .. أما الغنم فنداؤها تَك تَك وحِي حِي الأولى للإبعاد والثانية للتقريب.. وللضان عَيِّ عَيِّ وللحمار نداء الإيقاف حَاوُ هُشْ.. أما الدفع والحركة فصوت يخرج من جنبي آخر اللسان كتلك التي تصدرها لمحدثك إن كنت موافقاً ثم عَرٌّ.. أما الإبل فإخ إخ للإيقاف والبروك مع رخي الرسن.. أما للسير والحدو فهج هج.. والكلب والجوارح نداؤها جَرٌّ للإبعاد وبصبصة للدنو.. وبستته للقط.. وكر للدجاج وقيل أن للإمام علي (رضي الله عنه) جد هذه القبيلة المحمدية – إلمام ومعرفة بلغة الحيوان.. والبهائم يكون لها وسم يميزها عند كل قبيلة وحي مثل القطفة والشقة والخرس.. الخ، فلحي بني فلان وسم ولبني فلان الآخرين وسم آخر لا يكرر ويكون معروفاً فما إن تضل البهيمة إلى حي آخر إلا

---

(١) أحمد ود الخير، (مقابلة شخصية) ١٩٦٣م، بادية إيد الحمراء.

(٢) سعد الدين، مرجع سابق، ص٢٨٢.

ويعرفونها أنها لبني فلان فيتم إعلامهم بها وعن الوسم يحدِّثُ القرآن الكريم كما مر بنا في هذا البحث أنه من عمل الشيطان ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾[1].

الأحاجي:

منها الطويل مثل ود النمير وفاطمة السمحة والريلة وكردفيل.. ومنها الحجا القصير وهو بمثابة الكلمات المتقاطعة للتسلية واختبار الذكاء وسرعة البديهة.. والوصف يناسب السؤال مثل:

١. طاسة وتمنطاسة في البحر غطاسة بطنها لولي وضهرها نحاسة.. ما هي ؟ هي الوزينة.

٢- ممسحة بلا مسوح وتمشي بلا روح .. المركب.

٣- دخل القش وما قال كش.. الضل.

٤- كان شالو ابنبطن وإن خلوه رطن.. القيد.

٥- كان شالوه ما بنشال وكان خلوه سكن الدار.. الهبود.. (الرماد).

٦- عمي قصير وبصير ما بلحق الكعكول .. الإشفة.

٧- عمي طويل ما بلحق الكعكول .. الدرب.

٨- بابور كبيرة وعساكر كثيرة وفيها أمحمد ضو القبيلة.. (السماء والنجوم والقمر).

٩- حبوبتي أم شنقنق في شق البيت تنقنق .. البليلة.

١٠- حبوبتي في ديوانها وتأكل في مصرانها.. اللمبة أم خيط وقيطان..

١١- من فوق راكوبة ومن تحت راكوبة ووسطهم صبي يلعب العيتنوبة.. اللسان بين الفكين.. الخ

---

(١) سورة النساء، جزء من الآية (١١٩) .

الطبيعة من حولنا:

وتشمل المُسَبِحَات مما خلق الله من أجل بني آدم من حيوان وجماد ونبات من شجر وعشب وزهر وحشرات ومخلوقات برية وبحرية وزواحف ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾[١].

بما أن المناخ سافنا فقيرة فالشجيرات تنحصر في السدر وثمارها النبق والسيال والسنط ونتاجه القرض مما يستخدم في العلاج والدباغة ومن الشجيرات اللعوت والطُّنْضُب وثماره الحُمبُك الذي يشبه فاكهة الكريز ودخان عيدانه ينفع للنزلة حسب التجارب ومن الأشجار الهجليج وثماره اللالوب يأكله الأطفال والكبار ونقيعه يسهل المعدة وحديثاً اكتشف أنه يؤثر في تخفيف مرض السكري ومن الأشجار أشجار الطلح وتستخدم النسوة عيدانه للدخان مما يشد الجسم أما أشجار الزينة والظل فتنحصر في النيم والعرديب والسيسبان والبان والأراك وثماره الشاو وهو لاذع الطعم وهناك الحراز المحارب المطر والكتر والدوم أما المسكيت فشجرة وافدة تأثيرها ضار على التربة.

أما الأعشاب والنباتات الطبية والعطرية فكثيرة جداً نذكر منها الرَبْعَة فهي نافعة للبقر، أمّالْبينة وهي مُدِّرَة لِلَبَن، أم مليحة، أم كويعات، الحنتوت يصلح علف للجمال، ضنب العجل، ضنب التور، أم قِنيديل، الدنبلاب ومن نظمهن أي الجدات حينما سُرقت أبقار الحي في غيبة الفرسان (يا حليل ناس هبيلة يرعن دنبلاب قش الخلا أبنيلة يا حليل ناس غبيش لوما عدمنا العيش وبيعيني بشوفن خَتَّن الباربيش، ساقوهن عبيداً "ترمز للحرامية" طلعوبهن الجبال بيعيني بشوفهن خَتَّنْ العجَّال ويا حليل ناس يوسف مع كمبال[٢] "وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر" فهم فرسان الحماية.. ومن النباتات الجبين للتجبين وقد شُرِح ذلك في الحديث عن الرعاة ومن العشب الأنكوج والدِفْرَة – تفضلها الأبقار – والضريسا والقوقيب.. والقَوُ والحسكنيت

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٤٤) .

(٢) آمنة بنت يوسف، مصدر سابق، ١٩٦٠م.

والرجلة والخضرة الخلوية.. ولسان الطير (يصنع منه ملاح الكداد).. النجيلة والسِعِد (البعد ولا البلاد أم سعد) .. أم أصابع والموليتة والتمليكة وعن ذلك يقول الشباب (التور أبجاعورة شَمَّ الدم وقال حَرَّم وشم الوِيكَة وقال تمليكة وشم اللوبة وقلب الهوبة).. التغر.. أم دعبوس (تؤكل).. أم سويط والسقيط (يؤكل جذره) والفقوس وهو منشط (يؤكل) والحميض (يؤكل).. المخيط والتمام والحنظل.. الريحان والمحريب.. بصل الكلاب.. اللاوليس (متسلق). المرخ (يصنع منه الحبال).. السَنَمكة (نبات طبي) .. الدهسير واللُّخ والخروع والبود والحمرة والعشر والدبس ونبتة طبية تسمى عرق العقرب (تفسد سم العقرب) .. وهناك أعشاب النيل وهي البردو وأبوعميرات وأم صوفة.

المبحث الخامس

الطيور

نحن الطيور أيها الإنسان بذا الجمال خصنا الرحمن

سبحانه جملنا فلا عجب من حَبَّنَا أهل العقول والأدب

أنواعنا كثيرة مختلفة وهي على كثرتها مؤتلفة[١]

ومن الطيور في ديار المحمدية: الوزين.. الرهو.. الحبار.. الباجبار والبجع وأبو المعالق وطير البقر والنعيجة ومالك الحزين وهو الغرنوق ويسمى حبيب بلاع الدبيب فهو يتغذى بها.. وأبوالسعن.. وأم رخم الله.. والسمبر.. وأبو الصقير.. والبومة والصقر الباز والحِدأة.. والسُقُد والواروير.. والطيرة المرعة والفِرَّة والقمري والبلوم.. والخُداري والقدالي والبراقي.. أم قيردون .. باندلا وجع الكلى وهو قدوم أحمر.. الزرزور.. الحديدون.. القطا.. الخفاش أو الوطواط.. ونسميه أبوالرقيع.. أم بعيرة والغراب والجبركل.. عشة أم قرين (الهدهد) والدجاج الداجن.

---

(١) محفوظات السنة الثانية الأولية بالسلم التعليمي القديم، بخت الرضا.

المبحث السادس

الزواحف والحشرات والحيوان

الثعابين أخطرها أبدرق وسمه قاتل.. وأبوعُرُف.. والرقيطا وهي تطير في الهواء وأشكال أخرى ذات ألوان منها الأحمر والأخضر والأسود والأبيض والأصفر وتجمع عندنا باسم الدوابي مفردها دابي وتميزها رائحة خاصة كرائحة شجر اللعوت فما إن تشمها تعلم أن في بيتك دبيب ومن الزواحف الضخمة الأصلة ويستفاد من جلودها في صنع المراكيب غير أنها قليلة ونادرة وربما يأتي بها البحر في موسم الفيضان ويأتي بالكثير من الدبيب يحمله قش أم صوفة في رحلته من الجنوب وأحياناً يحمل الغنم التغر وهي ليست من أغنام هذه البيئة وإنما هي أغنام البيئة الجبلية فصغر حجمها يمكنها من القفز من مكان لآخر في الأرض الجبلية.. ومن الزواحف والحشرات ما تسميه البيئة بالدّعَت أي اللوادغ كالعقارب وعقرب الجمال والكربة وأم شبتو والشبشة.. والصراصير والجنادب.. والنمل العادي.. والرتيلا.. والنمل أبوريش.. ونمل السكر والنحل في الأشجار وفي الخريف الزرنيخ والفراش ونسميه أبوالدقيق.. واليراع وتسميه الجوهرة.. الباعوض والنمتي.. بنت المطر والجراد والعتاب والقراد وضبانة الحمير.. والقمل والصواب والأرضة والسوسة ومن أقوالهم (أكل السوسة والعافية مدسوسة).. والصرفة والخنافس وأبو الجعران (أبوالجعران خطب القمراء).. فما يزال في سعيه الدؤوب في الوصول إليها ويسمى أيضاً أبوالدرداق.. المارقوت.. أبوالدنان والزنانة والفساية.. الذباب.. الخ.

أما الحيوانات الأليفة فهي:

البقر والضان والماعز والإبل والحمير والخيول وكلب الصيد والحراسة وأما الحيوانات الخلوية فهي الأرانب والصيد والغزلان.. والصبرة والقنفذ وأبو الجربوع.. الفئران.. الحرباء.. الورل.. الضب.. كديس الخلا، ولا توجد حيوانات برية مفترسة كالأسود والنمور وما شاكلها..

ومـن حيوانـات البحـر: القرنتـي أو العينسـيت.. التمسـاح.. الـورل.. أبوالقـدح أو السـلحفاة.. الضـفادع.. السـمك بأنواعـه الكثيـرة.. المحـار.. الـدغلوب.. الصـارقيل.. أم دليلي.. الخ.

المبحث السابع

الصحة

(أمراض الإنسان والحيوان والعلاج)

لاشك أن طريقة ونوعية التغذية لها دخل كبير في أمراض الإنسان وصحته والرسول ﷺ يقول:(المعدة بيت الداء)[1].. ويقول ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه ويقول (البطنة تذهب الفطنة)[2].. ويقول بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وفي جزء من حديث يقول:(... فإن كان لا محالة فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لِنَفَسِه)[3]... وقد قبل النبي ﷺ من هدايا المقوقس الجاريتين مارية القبطية وسيرين ورد الطبيب قائلاً:(نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع).. وأهل العلم يقولون قم من الطعام وأنت تشتهيه وفي ذات المعنى يقول الشافعي (رض):

ثَلاثٌ هُنَّ مُهلِكَةُ الأَنامِ وَداعِيَةُ الصَحيحِ إِلى السِقامِ

دَوامُ مُدامَةٍ وَدَوامُ وَطءٍ وَإِدخالُ الطَعامِ عَلى الطَعامِ[4]

والأهل كانوا ملتزمين في حياتهم بهذا الحجر الصحي فطعامهم معروف أُسُّه اللبن وقد فضله النبي ﷺ على سائر الأطعمة بطلب الاستزادة منه (اللهم زدنا منه) والطعام عندهم في صورته الأولية لم تطله يد الصنعة والتغيير.. والهواء صاف نظيف عليل بليل وبنت الكروم لا تجد مسرباً إلى مضاربهم ولذلك فهم يعيشون حياة لا يكدرها المرض كثيراً، أما الأجل فلا مفر منه ويكون بوقته ومع ذلك تحل بهم أمراض فيروسية مثل:

١- الحمى الملاريا: وعلاجها كان الكينا.

---

(١) الحافظ الذهبي، الطب النبوي، تحقيق: أحمد رفعت البدرواي، دار إحياء العلوم – بيروت، ط٣، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، ص ٦١.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٥.

(٣) المرجع السابق، ص٣٤.

(٤) ديوان الشافعي.

٢- السحائي أو الحمى المخية الشوكية: ويسمونها وردة سبعة لأن مدتها سبعة أيام يعقبها الموت أو الشفاء.. كما تسمى أبوفرار أو سمير وعلاجها حبوب السلفا.

٣- نزلات البرد: وعلاجها القرض مصاً له واستنشاقاً لدخانه ونزول الحمى يتم بالتَعَرق من خلال شرب شوربة ساخنة والجلوس تحت البطانية مع عدم التعرض للبرد هذا إضافة للعسل والزبد والحبة السوداء.

٤- الرمد الربيعي: وعلاجه نظافة العين وتقطير ماء الشاي الأحمر فيها لتطهيرها.

٦- الصداع: يربطون الحبة السوداء في طرف المنديل ويستنشقون رائحتها.

٧- السعر: إن عضك كلب سعران يقومون بسرعة بنزع شعيرات من ذنبه ويحرقونها على الجرح ومكان العضة فيموت الفيروس.

٨- البهق: يمسحون عليه مرهم الكبريت.

٩- الكسور: يجبرونها بالطاب ومن يفعل ذلك يسمى البصير أما الفصل والفلايت فيستخدمون معها الرباط والفصد والحجامة.

١٠- الدنقسيت: هي بقاق يمتلئ ماءً في باطن الرجل أو الراحات إذا وطأت على بول الحمار والطفل الذي يسير حافي القدمين يكون عرضة للإصابة.

أما أمراض الأطفال:

١- سيلان الأذن: ويسمى الصُمِّيغ وعلاجه النظافة مع عدم التعرض لحرارة الشمس.

٢- الكتكوتة أو السعال الديكي: وتسمى محلياً (أم قَنَطو) وعلاجه المحلي المتوارث لبن الحمير مع الوقاية وهي معدية.

٣- التسنين: يدعكون منابت الأسنان دعكاً خفيفاً لمساعدتها على الخروج وهي فترة تجعل الطفل ساكناً مسترخياً وقد يصاحب ذلك إسهال ويقولون عن ذلك (لو تعرفوا مروق سنيناتنا تحضروا كفيناتنا).

٤- كتمة البطن: تفك بشربة السنمكة أو غلي الحرجل أو النعناع.

٥- الحصبة: عندما تظهر الحبوب أو (تنتر) كما يقولون على الجسم الخارجي للإنسان ذلك يعني أن المريض يتعافى فيمسحونه برغوة اللبن فإنها تطفئ تلك الحبيبات.

٦- البلهارسيا: وهذه مما أتت به الترع من الخفراء الذين أتوا من مصر ومن الشمال ويكون الميكروب في البول وفي الفسحة وعلاجها في ذلك الزمن حقن الاستيبان والوقاية بغلي ماء الشرب وعدم العوم في الترع.

٧- الحبن والنشرة: والعلاج لبخة من البلح أو الحلبة لينطفئ الحبن.

٨- وجع الضرس: العلاج خلعه بالكلابة أو وضع التمباك عليه لتخديره.

هؤلاء القوم كانوا معافين لأن طعامهم كان على طبيعته التي أنبته الله عليها فلم يعدل ولم يحور مما يعرف بالتعديل الوراثي والجيني ولم يعرفوا المواد الحافظة للطعام والشراب، فلم تجد أمراض الباطن إليهم طريقاً ولم يصابوا في أخلاقهم، فلم تظهر فيهم الأمراض التي لم تكن في أسلافهم وعاشوا معافين.

أمراض الحيوان وعلاجها:

١- الجمال: من أمراضها الجرب وعلاجها القار أو القطران للمسح.

٢- البقر: من أمراضه أبقنيت يجعل البقرة تقنت وعلاجه من البيطري.

أبو ريالة يأكل لسان البقرة من أطرافه وعلاجه من البيطري.

أبو دميع ويجعلها تدمع وعلاجه من البيطري.

البردو وهو نبات نيلي يخلق الديدان في بطن البقرة مثل حبوب الأرز وعلاجه من البيطري.

ويمكن أن يصيب البقرة الجنون فترضع نفسها وعلاج ذلك ربط شعبة بين رأسها وثدييها فلا تستطيع الوصول إليه.

٣- الغنم: وتعني الضأن والماعز، فالنعجة أو الغنماية يمكن أن تسمت وتموت أو تُنقِر والنَقَر هو أن تلتصق بحلقها ريشة أو ورقة من ورق القصب مما نسميه الورتاب فلا تستطيع التخلص منها فتأتي على حياتها، وبقية الحيوانات آكلة العشب

يمكن أن تنقر كالإنسان الذي تطير إلى حلقه أو رئته حبة تسالي أو غيره يغفل عنها لسان المزمار فتؤدي بحياته.

٤- الحمير: يصيبها ما يسمى الهبوب تكون ظاهرة للعيان في ظاهر البطن فَتُسَعَطْ بزجاجة زيت تفرغ من خلال أنفها إلى جوفها فتشفى.. ويصيبها الدَبَر على ظهرها فيدميه فينثر عليه مسحوق حجارة البطارية فينشفها ويصيبها السعر مثلها مثل الكلاب والسعر عموماً علاجه الإعدام والوقاية فهي خير من العلاج.

٥- الطيور الداجنة: وأمراضها الهيم وأم غيغي وعلاجها التطعيم المبكر.

أسماء متعلقات الحيوانات:

- الجمل: القيد والرسن والحوية أو المخلوفة، القراف، الرحل، الكبس، الشبرية.

- البقر: العبوب إذا مات المتلاب أو العجل الصغير عن أمه يفرغ جلده من اللحم ويحشى هيكله بالقش ليخدع أمه فتظنه ابنها وتدر له اللبن.

المحويت: لربط رجليها الخلفيات عند الحليب.

العمره: يحلب فيها اللبن وهي إناء من السعف.

الزريبة: لحفظ العجول والشكيمة في فمها تمنعها الرضاعة وهناك ربطات معينة للحبل الذي تربط به البقرة من قرنيها أو من رجلها وهو الزردة وأم خُلْقَاً ضيق للقبض على البقرة المصايدة أو المتمردة.

- الأغنام: متعلقاتها الصرار وهو شريط صغير يلف حول الشطر ويلاط بفضلاتها حتى لا يرضعها صغارها من السخلان أو الحملان وأحياناً تربط في صلبها مخلاه تدخل فيها الشطور أو يربط ما يعرف بالخُلال في فم الصغار يمنعها الرضاع.

الكَرُّ: لحجز الصغار عن أمهاتهم.

- الحمار: متعلقاته السرج، اللبدة، البردعة، البطان، الكَرَّاب، الضناب، الفروة، الجنزير، البرمندي، الشاية، الوتد، العلوق، المخلاية، الخرج، اللجام.

أدوات القياس:

الذراع والياردة والمتر والباع والعود والحبل.

وتعريفات المساحة: الفدان، والجدعة تساوي (ثلاثة ونصف حبل) أو خمسة فدان ومن أدوات المساحة البيكم.

وتعريفات الأوزان: الأوقية، الرطل، الكيلو، الأُقة.

وتعريفات المكاييل: الكيلة (٢٨ رطل)، نصف الكيلة، ربع الكيلة أو الملوة، الثُمن، الجوال، الأردب.

المناسبات الدينية:

العيدين الفطر والأضحى والتوسعة في تاسوعا وعاشورا من المحرم وهي ما يعرف بالرحمتات وأغلب الظن أنها تعني الرحمة تأتي، ورمضان نفسه مناسبة كبيرة جداً وعبادة لا يتلاعب فيها أحد.

التاريخ بالأحداث الهامة:

وهذه ربما يحسب بها أعمار الناس وتاريخ المواليد وتاريخ الوفاة مثل: سنة التومات وهما مطرتان متتاليتان أغرقتا وأتلفتا سنة الفيضان ١٩٤٦م، ميتة فلان من المشاهير، كسر الغطيسة أي سنة قيام هذا المشروع ١٩٣٨م أو سنة الخزان ١٩٣٢م سنة الزفاية، سنة الطاعون أو الكوليرا، سنة الكسوف الكلي ١٩٥٢م، سنة الاستقلال ١٩٥٦م، سنة المجاعة ١٣٠٦هـ...الخ

أسماء الشهور العربية:

الضحية (محرم)، الويحيد (صفر)، الكرامات (٣) ربيع الأول وربيع الثاني ثم جمادي الأولى والثانية سايق، رجب، قصير أو شعبان، رمضان، الفطرين شوال + ذو القعدة، الضحية الأولانية (ذو الحجة) (١).

(١) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ص١٣٧.

التعليم:

التعليم ينبني أساساً على الخلوة في القرية أو عند مشائخ يفتحون خلاويهم لهذا الغرض وهو حفظ القرآن والاعتقاد السائد أن الولد إذا عرف قراءة وكتابة الجواب فذلك يكفيه وقد سمع الباحث من والده المولود في ١٩١٨م أن والداتهم أخفينهم عند القِيَفة على ضفة النيل عندما أتى أحد الشيوخ الكبار لأخذهم للمدرسة وذلك اعتقاداً منهن أن المدرسة تنحرف بسلوكيات الأولاد مما حرم الكثير من أصحاب المواهب والفهم والنبوغ من التعليم والفرصة كانت متاحة في أضيق نطاق لأبناء المشائخ فقط وهم أهل نبوغ وإلاَّ لَمَا قادوا قبائلهم.

– وعلى الأصول ينبت الشجر – فكيف يكون الحال لو زَيَّن العلم الاستعداد الفطري عند هؤلاء للزعامة والقيادة؟ بالطبع كان يمكن أن ينتفع بهم البلد كثيراً.

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية للقبيلة

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية للقبيلة

مدخل:

الاقتصاد عند المحمدية هو كسائر اقتصاديات أهل السودان وقتها يقوم على ساقين هما الحيوان والزراعة تدور حولهما حياتهم وهو ما اعتمدت عليه البلاد نفسها حقباً ممتدة إضافة إلى ما تجود به الطبيعة بأذن ربها من الصمغ والبقول وغيرها من مخرجات الحيوان كالجلود واللحوم، ونتاج الزرع من أقطان وحبوب زيتية وحبوب الغذاء كالذرة بأنواعها المختلفة وكان مشروع الجزيرة هو عماد اقتصاد البلاد في الزراعة منذ إنشائه إلى أن آل إلى ما آل إليه الآن .

المبحث الأول

الحيوان ومخرجاته

المحمدية في معيشتهم الخاصة كسائر أهل بحر ابيض كانوا يعتمدون على النيل الابيض أو البحر كما نسميه، في سائر حياتهم فالنيل في وقت الجفاف او في غير فصل الخريف هو مصدر السقيا للبهائم لأن اعدادها كثيفة وسقياها في الآبار تسبب لهم المشقة ولذلك فالنيل أولى، ويوفر عليهم التعب والنَصَب في سقياها ويمكن ان يكون الورُود غِبَّاً أي كل يومين أو يوم بعد يوم لمن يسكنون في الضَهَرة وتعنى الاماكن أو القرى التي تبعد من النيل الابيض قليلاً وتعتمد فيها البهائم على الحُمرة وعشب الوديان وبعض الشجيرات الصغيرة (ما يعرف بالعَضْرة) ومخلفات الخريف عموماً والقصب المُخَزِن لوقت الحاجة أي لأيام الجفاف إضافة إلى الأُمباز لإدرار اللبن والدريشْ للتسمين فبعض الخراف تُحْجَز في البيوت وتُعْطَى طعاماً خاصاً وهذا مع عدم الحركة يجعل منها خرافاً سمينة يعرف واحدها بـ"الدَّعْول" والخروف المدوعل عند أهل البادية هو ما نال اهتماماً خاصاً ومثل هذه الخراف تباع في المواسم كالأعياد والمناسبات الخاصة كالكرامة والسماية والزواج والختان الذي كان يمثل مناسبة مثلها مثل العُرس، وأثمانها بلاشك تَرْفَع من دخل الاسرة ويقابلوا بها حاجيات الاسرة النقدية الاخرى مثل السكر والشاي والبن والأواني والملابس والمناسبات والحلى للنساء وأدوات الزينة واحتياجات المركبات مثل السرج والمخلوفة والفروة التويلي واللبّدة والبردعة والاستعداد لموسم الزراعة كما انهم يدعمون دخولهم ببيع الذكور من النعم كالثيران والعجول والخراف والمُسِنَّات من الإناث والتيوس ويبقون على بعض الفحول من أجل التلقيح لاستمرار الإكثار والزيادة والنماء وقد ذكر للباحث أحد الأطباء[١]، ملاحظة عجيبة أن الله سبحانه وتعالى قد ركَّب في الخروف الواحد المقدرة على تلقيح خمسين نعجة في ساعة وجيزة من الزمن ولايصيبه من ذلك نصب ولا تعب بينما لم يعط

---

(١) د. طبيب محمد بابكر. (مقابلة شخصية بمدينة المهندسين أم درمان ٢٠١٠م).

الانسان هذه المقدرة وإلاّ لما استطاعت البسيطة أن تُقِلَّهُم – سبحانه كل شئ عنده بمقدار .

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [١]. لقد خلق الله هذه الانعام لاستخدامات الانسان ليستفيد منها في الأكل والنقل والغذاء والشرب والمسكن والملابس والاحذية وما ينامون عليه مما يعرف بعنقريب القِدّ ونسيج الشَمَالْ التي يفترشونها أرضاً للْجَمَال والزينة وللصلاة والنوم عليها وهي تُنْسج من اشعار هذه الانعام وأوبارها كما يستخدم الجلد المدبوغ كفروة للصلاة وفي تزيين ما يعتبر أسلحة كقائم السيف وغِمْدَةُ والجفير للسكين ومقبض عصى الخَيْزُران والقرجة والضُقْلة ومقُبَضُ السوط وضبةٌ للعكَّاز ويصنعون من الجلد محافظ للنساء لحفظ الفلوس بطريقة أمنة حداً إذ تتدلى المحفظة من العنق برباط قوي رفيع يتدلى خلال الثديين عبر البطن فتكون قابعة فوق القرقاب وتحت القميص ويأتي فوقه الثوب يعنى تأمين شامل لا يُمكّن أحداً من ملاحظة شيء فهل من مقارنة بما تحمله بناتنا اليوم ما يعرف بشنطة، اليد التي يسهل على الحرامي الجرئ خطفها والعدْو بها إلى حيث يشاء، كما تُصْنع من الجلود والشعر الأخْراج والفِراء والمخَالي وهي ما يعرف بالضبية لحمل بعض الحوائج وأحياناً لحمل الفلوس المعدنية إذا ثقل وزنها وهنالك صناعة الأحذية والمراكيب الفاشري والجنينة والأحذية والشباطة والصنادل والقَبقَبْ للنساء والرَّحط لمناسبات الأعراس والشنط[٢]. بأحجام مختلفة وسوق السرماطة في أمدرمان ما زال صامداً يحدثنا عن كل ذلك ولا ننسى أغلفة المصاحف والكُتُب والسُعُون والقِرب.

---

(١) سورة النحل من الاية ٥-٨

(٢) انظر الصور بالملاحق.

مخرجات الحيوان الأخرى النقدية تتلخص في اللحوم والسمن وفيما بعد الجبن أما بيع الألبان نفسها بالفلوس فلم يكن سائداً بل كان يعتبر عيباً فاللبن متاح لطالبه وللضيوف ... فقط هناك نوعاً من التجارة الصامتة أن بعض الجارات يتبادلن العيش بالروب تعطيك هِينَاً من عيش فتعطيها وعاء من روب ليكون إداماً أو تصنع منه طبيخ ولعل ما يجعل الروب سلعة نقدية أكثر من اللبن هو أن الروب قد بُذل فيه مجهوداً يجعل منه سلعة مُصنعة وفي ذلك تبسيط للحياة، صانعة الروب قد وجدت ما تصنع به كسرة والأخرى وجدت ما تصنع منه إداماً أي منافع متبادلة،غير اننا نلحظ في زماننا هذا أن اللبن قد أصبح من السلع النقدية المهمة التي تُدِر دخلاً مقدراً على المستثمرين فيه بحلب الأبقار الحلوبة وجلب الثيران من الخارج للتهجين .

الدخل المباشر من وراء هذه الحيوانات لخزينة الدولة هو مايعُرف بالطُلبة او القطعان اختصاراً وهي الضريبة التي تؤخذ على رؤوس الحيوانات من مالكيها بواسطة شيخ الحلة في المنطقة المعينة وتُورَّد إلى خزينة محكمة الإدارة الأهلية بمتابعة العمدة في الغالب بكشف يعده الشيخ ويراجعه العمدة(١)، والشيخ في الغالب يراعي احوال أهله فلا يعطي الحقيقة كَامِلة رَحْمَةً بأهله والعمدة يعلم ذلك ولا يعترض حتى تسير العملية بسهولة، وأحياناً يُحَمِّلونك في العدد الميتة ولاتعترض وبما ان والد الباحث كان شيخاً وقبله أبوه ثم عمه وجَدُّه فقد كان يدعوه لمراجعة كشف القطعان بالأسماء والعدد المحدد لكلٍ وعلى غير العادة كان هو الذي يقول والباحث يؤمن رغم أنه كان أُميَّاً لا يحسن القراءة والكتابة لكنه كان عالماً بأحوال قبيلته فرداً فرداً وان شعر أنه سَهَا أو أخطأ يقول له راجع معي مرة أخرى.

ظروف الجفاف في شمال النيل الأبيض اضطرت الكثير من أصحاب المواشي من المحمدية للهجرة بمواشيهم جنوباً بحثاً عن خَصْبِ المراعي . وتَجَنُباً للبِيئات الوَبيئة وغير الآمنة لم يتوغلوا جنوباً واكتفوا بالتجمع في مناطق جبل سقدي وموية وحول سنار شرقاً وغرباً ومع النيل الأزرق حتى الدمازين واختلطوا بالقبائل هناك ومع تربية

(١) محمد إدريس حجاز فهو شيخ إدارة. (والد الباحث بمنزله بإيد الحمراء المحمدية ١٩٦٤م).

الحيوان زرعُوا الفيافي الواسعة البِكْر وأصبحوا يُدعمِّون اقتصاد المنطقة والبلاد من خلال تربية الحيوان ومن الزراعة وصَلُحَتْ أحوالهم هناك وأصبح لهم كيان في المنطقة ولهم تأثيرهم في قضايا الدين والدنيا في مناطقهم التي حلّوا بها. ثراء الفرد عند المحمدية كان يحدد بما لديه من البهائم فقد روى الشيخ حجاز أحمد حجاز أنه أحصى لوالده أحمد ود حجاز من صنف الحمير فقط خمساً وعشرين حماراً وعلى ذلك قس مقدار الأنواع الأخرى فإنها تَسُد عين الشمس وهذا تعبير المبالغة عن الكثرة ولذلك سُمِّيت منطقتهم بأبي عجاج – عشرة كيلوهات شرق القَرَّاصة لِمَا يَعْلو من الغبار في الجو من كثرة حركة السَعيَّه[١].

---

(١) محمد إدريس حجاز فهو شيخ إدارة. (مقابلة شخصية بمنزله بالقراصة ١٩٦٠م).

المبحث الثاني

الزراعة

الحيوان والزراعة مكملان لبعضهما في حياة الناس فأينما وجدت الزراعة وجد الحيوان وهذه سُنَّةً جارية على المحمدية وعلى جيرانهم ففى وقتٍ مّا كان اعتمادهم الكُلّي في الزراعة على النيل في كل الأوقات وعلى البِلْدَات في الضهاري في الخريف والسنين المطيرة .

قبل قيام خزان جبل الأولياء كان النيل في مواسم الفيضان يفيض فيغطي متسعاً من الأرض المنخفضة حوله شرقاً وغرباً ويغطي الجُزر وبعد انحساره تكون الأرض قد أخذت كفايتها من المياه والرطوبة لدرجة التشبع فيزرع الناس العيوش وخاصة الصفراء والفتريتة والمغباش والأنواع الخفيفة في نموها في الكَبَدَاتْ والجُزُر والتي تؤمن لهم ولحيواناتهم الغذاء كما يزرعون بها فاكهة الأرياف البطيخ والشمام ويسمونه (القاوون) والعجور والتبش إضافة للخُضر والطماطم كما ادخل عليهم اولاد الريف من أصول مصرية زراعة اصناف لم يألفوها من قبل كالخس والجرجير والشمار والعُصْفُر والكراوية والجزر والبنجر ونظام الري عن طريق الجابية وظهرت عندهم مفردات الساقية والنَبَرو جَمْعُها نَبَارِي والجمّام والشادوف (أيا شادوف دُر هيا فزرعى يطلب الريَّا وعُمْ بالخير وادِيا وجئ بالماء والطين)

أي علموهم البستنة عموماً فالمزارع المصري هو اقدم مزارع في الدنيا لذلك حُقَّ للمفكر المصري الدكتور/ محمد عمارة أن يقول في محاضرة له عن الأُمة وإمكانياتها يقول: (نحن نملك أقدم مزارع في الدنيا هو المزارع المصري وأطول نهر في العالم وهو نهر النيل وأوسع أراضي صالحة للزراعة في السودان ولدينا المال ومصادر الطاقة في الخليج وشمال أفريقيا فكيف نفتقر ؟!!وكيف نبحث عن قُوتِنَا) [(١)].

إن من اصطلح عليهم باسم أولاد الريف ممن أتوا مع الفتح التركي والإنجليزي المصري من بعد وأثروا في نوع الزرع وفي التركيبة السكانية قد ساكنوا الناس ببيتين أو ثلاث في البدء في كل قرية والأن هم الغالبية العظمى[(٢)] فهم ولودون جداً ونجدهم

---

(١) قناة الجزيرة – ٢٠١٤م.

(٢) محمد إدريس حجاز، المصدر السابق، والواقع المشاهد الآن يعكس ذلك بوضوح.

بأسماء الصعايدة في قرى ود الزاكي وحريدانة وفي القراصة الشرقية والغربية نجدهم يحملون اسماء عويس ودياب ومرزوق ودَرَمَلّي وطِرِيْمْ وأبو طُبَّل وعَشْرى والمْنقُوري وأسماء النساء خَضْرَة وَسَعَادة ومسرّة ... الخ .

كما نجد أسماء الكاشف وسليم لبقايا الأتراك والأكراد والريافة ونجدهم في أماكن أخرى في النيل الأبيض مثل الدويم وأم جر .

حيازات الأراضي الزراعية على طول النيل الأبيض جعلت الحكومة تفطن إلى ضرورة فتح معابر تُعرف بالمُشَرعْ تعبر عليها الحيوانات والناس الي النهر بدون مشاكل وحتى لا يحدث غلق لطرق الوصول للنهر بسبب المزارع فتنشأ عن ذلك المصادمات بين الزُرَّاع وأهل الماشية وحتى لا تتلف الزراعة بمرور الحيوان عليها.

كانت منطقة أبو عجاج والتي نزح إليها المحمدية من ديارهم الأصلية فيما قبل التركية السابقة ٨٠ إلى ١٠٠ كيلو جنوباً في أعداد كثيفة .. كانت منطقة مناسبة لرعى الماشية في ذلك الزمان لذلك لجأوا إليها لقربها ولوفرة المراعي الجيدة.

مصادر السقيا : في الخريف كانوا يعتمدون على الحفائر والمَيَع والبار حيث تمتلي أم بريمة ويكون الماء تحت الاشجار في وادي أبو عجاج صافياً ناقعاً والطبيعة نفسها خلابة وساحرة وعندما يمتلئ الدَّرُو وهو عبارة عن خور متوسط يستمتع الصبية بالعوم والسباحة فيه.

وفي غير الخريف يكون ورود الحيوان والإنسان إلى البحر بمسافة عشرة كيلو متر تقريباً من المحمدية في قرى أبو عجاج وإيد الحمراء والغنَّامة وهم أصحاب رزق (بمعنى البهائم) ونعم كثيرة كما اسلفت يسد غبارها عين الشمس كما يحكون، وقد شَكَّلَتْ لهم الحكومة منذ العهد التركي حماية لطرق العبور إلى البحر فمثلاً بمنطقة القراصة الحالية فُتح لهم مورِدَان أحدهما بشمال القرية بعرض أربعة أمتار يُسمى مُشْرَع البُرمة تعبر به الحمير التي تحمل الماء في الأخراج لسقيا لإنسان وكذلك تحمل النساء الجِرار جَمع جَرَّة ومن هنا جاء الاسم بُرمة وأنشى مُشْرَع أخر جنوب القراصة بعرض ستين متراً يبدأ من القوز ويمتد إلى الموجة داخل البحر [١] وهذا لسقيا الحيوان وهكذا في سائر القرى على النيل ولا يستطيع أحد أن يتعدى على هذه المشارع بِزِرَاعة أو

---

(١) عبدالرحمن الشيخ أحمد صاحب أرض على شاطئ النيل يمُر بجانيها مُشرع البُرمة.(مقابلة شخصية بالقراصة ٢٠١٥م.

بنيان أو غيره . أمّا الآن فلتغير الحال نفسها ولعدم الرقابة فقد تعدى الاهالي على هذه المشارع بالبنيان والسكن والزراعة رغم أنها مُحَجَّرة بواسطة المساحة آنذاك.

بقي القول أنَّ المحمدية في السافل وفي الصعيد وفي هذه المنطقة الوسطى حول نعيمة والقراصة والدرادر ودبال قد امتلكوا الأراضي الزراعية في البحر على الشاطئ وفي الجزر لزراعة البستنة كما أسلفت وتعلموا فلاحة ما لم يكن معروفاً لديهم من اغراس مصر، كما أنهم امتلكوا الأراضي في الضهرة حيث يَصْدُرُ الرعاء لتوفير الغذاء لهم وللحيوان من القصب وخلافه وذلك مايعرف بالبلدات(مفردها بلاد)

تسجيلات الأراضي الزراعية:

تجدر الإشارة إلى أنَّ كل هذه الاراضي كانت حيازات منذ التركية السابقة وقَبْلَها فَعَمَد الانجليز إلى تسجيلها تسجيلاً رسمياً وقد عانوا من ذلك ولكنهم استخدموا اقسي الأساليب للوصول إلى الحقيقة وقد تمكنوا من إنصاف الناس بقدر الإمكان إذ كان التعدد في الزواج سائداً فعمدت بعض الأُسر والأفراد عند استحضارها أمام المسئولين لإعطاء المعلومات الصحيحة، عمدوا إلى إغفال أسماء إخوانهم من زوجة أخرى حتى لا يضايقوهم في نيل نصيبهم من أرض والدهم، (ومما يُحكى[١] أن الجَدَّ حجاز كان شيخ العرب أي شيخ المحمدية كلهم في هذه المنطقة شرق النيل وغرب النيل وما جاورهما فأراد أخوه محمد أحمد حجاز أن يخفي اسم شيخ حجاز أمام الخواجة المستر لَوَانْدَا عندما سأله عن أسماء أخوانه فذكر أشقاءه وسكت عن اسم حجاز وهو أخوهم الأكبر من زوجةٍ أخرى، وكان ابن لحجاز يدعى عبدالله يقف إلى جوار عمه هذا وكان رجلاً جريئاً فأشار إلى والده وقال لعمه وهذا ابن من ؟ فانتبه الخواجة مستر لواندا وقال لعمه هذا: (أوه عايز تَدِسْ اسم شيخ العرب ذاته .. قَرّب ..قَرّب) أي أُدْنُو مِنِّي وادخل له البسطونة في شِدْقِهِ وشَكَّه بها حتى أدمى لِثَّته وأمره بحمل جوز المويه ليسقي بها الشُقُوق خارج البحر لمدة اثنى عشر يوماً ليكون عِبْرةً لمن يَعتبِر وبذلك أمكن لهذا

---

(١) محمد إدريس حجاز، مصدر سابق (مقابلة شخصية ١٩٨٠م بالقراصة).

الخواجة أن يُحِق حقوق الناس وان يُنْجِز سِجِلات استفاد منها لأهالي إلى يوم الناس هذا) [١].

الزراعة المروية :

بعد قيام خزان جبل أولياء على النيل الأبيض في العام ١٩٣٢م تبدل وضع قبيلة المحمدية من حالٍ إلى حالٍ أحسن فقد ابتلعت مياه الخزان كل الأراضي والجزر وعلى رأسها جزيرتهم المعروفة بجزيرة الكيتك وتم ترحيلهم من حاضرتهم القديمة دُمر الكريل التي كانت على ضفة البحر إلى الموقع الحالي شرق شارع الإسفلت جبل الأولياء ربك .

أما الأرضي الزراعية فقد تم التعويض عنها بمشروع عبد الماجد بواسطة العمدة النعيم ١٨٧١-١٩٤٠م فقد أعطى أهله المحمدية حواشات ذات قيمة في أول المشروع وبعد وفاته ١٩٤٠م تم تقسيم العمودية الي بحري وعمدتها الامام المتوفي ١٩٧٨م وجزيرة وعمدتها أبنه عبد الله النعيم ١٩٠٨-١٩٦٦م أي في المنطقة المروية المعروفة بأبى قوتة مقيماً بقرية القليعة وكان رجلاً عادلاً ساهم في تقسيم مشروع قبوجة وريفي الجاموسي، وأبو قوتة وأسس مكتب ود الكريل ووزع به حواشات وكان له دور عظيم في تمليك الكثير من أفراد قبيلته حواشات في المشاريع المذكورة [٢].

وعلى امتداد النيل الأبيض قامت مشاريع الإعاشة تعويضاً للناس عن أراضي البحر فشقت القنوات لتروي مشاريع الفطيسة والهشابة وابقّر ريَّاً صناعياً ومشاريع اخرى جنوب الدويم فكانت هذه المشاريع فتحاً على الناس حصدوا من ورائها الكثير من الأموال بسبب السلع النقدية التي قاموا بزراعتها وبيع الناتج من محصولاتها من القطن طويل التيلة، ومن الذرة واللوبيا والعائد لم يكن إعاشة فقط بل كان وَفْرَاً يزيد كثيراً عن احتياجاتهم وقد حكى والد الباحث وكان يملك حواشة بأبي قوتة (أنه من أول سنة باع سلعة العيش فقط في الخرطوم فاشترى علبة من المصوغات الذهبية فيها الشريفي والزُمام والشفَّة والتِيلة والرشْمة والخاتم، وكان سعر العربة وقتها الكندة والفورد فقط

---

(١) محمد إدريس حجاز، مصدر سابق. ١٩٨٠م.

(٢) الوسيلة، مخطوط عن الكواهلة غير مطبوع.

ثلاثمائة جنيه) ولكنه كان يُحْسن الزراعة لا التجارة والمزارع الناجح يمكن أن يفوق التاجر، أما القطن فكان يُصدر للملكة المتحدة لتحريك مصانع النسيج في لانكشير ويأتيهم عائده صرفاً من مكاتب الزراعة في هذه المشاريع.

عوائد الزراعة بهذه الصورة أثَّرت على درجة الاستثمار في الحيوان لتتراجع بالتدريج على الأقل في شمال النيل الأبيض حتى غدت تربيته لاحتياجات الأسرة فقط وبالقدر الذي يمكن تغذيته من مُخَلفات الحوَّاشة او البلاد ثم أتى من بعد ذلك مشروع المناقل أيام حكومة عبود فأعطى الناس دفعة أخرى وعاشوا حياة رغيدة وامتلك أهل بحر ابيض ومنهم المحمدية الكثير من الحواشات المنتجة جداً من مكاتب التحاميد والنالة وغيرها وصبت في جيوبهم ثروات، ولكن عِبْرَة التاريخ تفيد أن لكُل شيء إذا مَا تمَّ نُقْصَانُ إذ عَدَت على الناس عاديات الاغتراب لبلاد الخليج فترك أهل الحواشات حوّاشاتهم وذهبوا يبحثون عن الريال والدولار وإذا عادوا يفضلون سكن المدن ويهجرون حتى قراهم ومهد صباهم ليعيشوا في هذه الدوّامة التي لا قرار لها ولا يذوق أهلها طعم الراحة والهدوء أبداً .

فائدة: الأرصاد بالخبرة المتوارثة:

الزراعة وتربية الحيوان الاثنان يتطلبان دراسة البيئة والمعرفة الجيدة بالمناخ وفصول السنة صيفاً وخريفاً وشتاءً ولأن الماء هو مصدر الحياة لكل شيء حي ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]. فنجد المحمدية أهل علم ودراية ورصدٍ ومتابعة لأحوال المناخ والطقس والطبيعة في محيطهم فيضعون توقعات وتقديرات غالباً ما تكون صائبة فنجاح الصيف والشتاء عندهم حَراً وبَرْداً يجعلهم يتفاءلون بخريف ناجح وذلك ليس من علم أكاديمي أو مصدر علمي وأنما بالتجربة وطول العهد والمتابعة ويعطوك النتيجة مسبقاً أن هذه السنة ستكون صافقة او ناجحة .. يتبع ذلك بعلامات الخريف والعِيَنْ والبروق وانواع السُحُب والمُزُن وكمية الماء الذي تحمله ومدى تأثير الرياح عليها وتأثير قوس قزح وبعض الأوقات التي يستمر فيها نزول المطر

(١) الأنبياء آية ٣٠.

بوتيرة واحدة حتى يحدث نوعاً من الخراب والدمار والتوقيت المناسب لبداية الزراعة وأدناه تفصيل ذلك :

أولاً الفصول :

فصل الصيف يكون من شهر ٤أبريل إلى يونيو بالعام الميلادي .. يأتي بعده الخريف من شهر يوليو إلي شهر أكتوبر، ثم الشتاء فمن شهر نوفمبر إلى شهر مارس وهو آوان قِرٍ وصِرٍ ويسمون هواؤه بالمصري لهبوبه من الشمال ويساعد في اكمال نمو الزراعة المتأخرة. دلالات الخريف من إيحاءات الطبيعة وصول طائر السمبر والسخانة الشديدة التي يسمونها بالوَقِتْ في عِينْ الثريا وابْريَّا وخروج النمل من منازله دليل العِينة كما يقول الأهلين، وقد أوضح القرآن أنهم أمم أمثالنا أي الطيور والنمل وغيرها والإنسان أولى بالملاحظة والاستشعار يقول تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[(١)].

ثانياً العين تفصيلاً :

١- أولاً الثريا : وابريّا تميزها السخانة الشديدة (صيف) .

٢- العصا العطشانة : من الثالث عشر من يونيو إلى الخامس عشر منه مدتها ثلاثة عشر يوم تعرف بالرُشاشْ وهي صيف .

٣- الضراع نصفه صيف ونصفه خريف من الثامن من يوليو العشرين منه مدتها ثلاثة عشر يوماً .

٤- النترة : التي تُمطر بقوة أول الخريف من الحادي والعشرين من يوليو إلى الثالث من أغسطس مدتها ثلاثة عشر يوماً .

٥- الطرفة أو الرمشة البكاية كما نسميها من الرابع من أغسطس إلى السادس عشر منه مدتها ثلاثة عشر يوماً .

٦- الجبهة : يقولون الجبهة الندايـة يخرج فيها الندى من الأرض من السابع عشر من أغسطس إلى الثلاثين منه مدتها أربعة عشر يوماً .

---

(١) الأنعام : آية ٣٨

٧- الخرصان يقولون عنه إن صَفَق حَرَّق وإن صَبّ غَرّق من الحادي والثلاثين من أغسطس إلى الثاني عشر من سبتمبر مدتها ثلاثة عشر يوماً (صفق تعني لم ينجح).

ويعني الخرصان أذني الأسد حين تعرق وكل الأعضاء أعلاه للأسد .

٨- الصَرفة ربما تكون عريج ونجاحها يَغرّق من الثالث عشر من سبتمر إلى السادس عشر منه مدتها أربعة عشر يوماً .

٩- العِوَا والسماك (يا وطا كفاك ويا سماء امسك ماك من السابع والعشرين من سبتمبر إلى الثامن من أغسطس ومدته ثلاثة عشر يوماً.

وله رَعدّ مزعج ومطره قليل يقولون عن ذلك رورَاو مطر الدَّرَتْ وإذا نزل فيه مطر يقولون عنه مطر البُخَات أي اصحاب الحظوظ .

١٠- الدرت من الثاني والعشرين من أكتوبر إلى الثالث من ديسمبر وهو وقت إنضاج العيش يقولون لك (عافية درت) فهو موسم حصاد وجائزة فمن زرع حصد ومن كد وجد ومن استراح راح .

الأمطار تصحبها بعض الظواهر الدالَّة كالبرق وهو أنواع ومسميات :

بَرق قِبلي وعَبَّادي وهو شمال القِبلي قليلاً والقبلي إذا قابله من الغرب برق كباشي يكون المطر مضمون إنشاء الله، أما برق الصعيد فيسمى قَدَّ الهبوب فهو يأتي بالهواء فقط، والبرق القبلي يسمون عليه الرجل الضَوُ الكريم صاحب السُمْعَة والشَكْرَة والعكس من ذلك يسمونه على برق الصعيد، والبرق القريب احياناً تصاحبه الصواعق يصيب بها الله من يشاء ويصرفها عمن يشاء ومن الظواهر قوس قزح ويسمى أبو الحلقوم كناية عن شربه للمطر بالتفسير الظاهري البسيط .

بما أن الغيث تحمله السحب التي تأتي من جهة الصباح في الصباح الباكر تكون كثيفة وسوداء وتكون محملة بمياه ثقيلة تجلب الري للعوالي والضهاري والأراضي المنبسطة وتملأ المَيع والمستنقعات وتسمى هذه السحابة أم رويق ومثل هذا الري الشامل والعام يسمي النيل يقولون (الليلة البلد نيلت والحمد لله).

ما يتبقى من السحب بعد هطول المطر يُسمى الهَرَع تسوقه الرياح في اتجاه حركتها ليتكاثف عندما تبطئ هذه الحركة فيثقل وينتج عنها المطر وهنالك من السحب ما يسمى التخا وهو ضعيف لاماء فيه، وعندما يكون الخريف ناجحاً تكون الزراعة

المطرية في البلدات ناجحة جداً وحتى الحواشات التي تسقى بالري الصناعي تنتفع من المطر ويكون انتاجها عال جداً،ذلك لأن المطر في عرفهم يُسَمّد الأرض أي يزيدها خصوبة وبِلُغة الزُرَّاع (ماروق أي سماد) [(١)] والمولى سبحانه وتعالى يسميه ماءً مباركاً .

تحضير الأرض للزراعة:

قبل بداية الخريف يجري تحضير الأرض للزراعة بالنظافة وقطع الأشجار وسند التروس في الأرض المطرية أما الحواشات فَتُحَرْث وتنظف وتجهز للري بطريقة سهلة وسريعة بنظافة أبو عشرين وأبو ستة وتحضير التيراب .

نظام الري:

نظام الري في المشاريع المروية نظام هندسي دقيق ومنظم تبدأ مسمياته من القناة الرئيسية أو الكنار ثم التُرع التي تخرج من القناة الرئيسية والترع بها قناطر او ما يُعرف بالكيلو تُصرف منها المياه إلى قناة اصغر تسمى ابو عشرين، وأبو عشرين يكون على طول النمرة الممتدة بين ترعته والترعة التي تليها، وأبو عشرين يمد قنوات أصغر بالماء تعرف بأبي ستة، واحد لكل حواشة تنساب منه المياه عن طريق الجدول والتقنت لتصل لكل انقاية ورباط وفردة وسرابة، والانقاية عبارة عن ثلاث وتسعين سرابة هي عرض الحواشة اما عرض الانقاية نفسها فلا يتعدى عشرة امتار والحواشة مساحة خمسة فدان أربعة عشر انقاية اما الرباط فجزء محدد من الحواشة قد يكون انقايتين او ثلاثة، وإذا كانت نهاية النمرة بها علو في آخر بيت وتاني بيت ويعنون بذلك حواشات آخر النمرة إذا تعرضت للعطش بسبب العلو يعطيك المكتب (تصديق للري بالناكوس)[(٢)] أي بالعكس من الترعة التي تليك مباشرة لقربها وامكان سريان الماء منها بكمية كافية وكل ذلك بعد معاينة مهندس الري للموقع [(٣)] ... وحتى لا تضيع المصطلحات المورثة على الأجيال الجديدة هناك ما يعرف باللَّبَقة من الطين يحجز بها او يفك الماء الداخل من أبي عشريين لأبى ستة لرى الثلث الأول أو الانقاية الأولى ثم

---

(١) عبدالهادي عوض الله حجاز (مقابلة شخصية ١٩٦٣م مكتب ٨٩ النالة مشروع المناقل).

(٢) المصدر السابق.

(٣) عبدالهادي عوض الله، مصدر سابق.

التي تليها وهكذا دواليك ويصعب تمكين الأماكن العالية من الري، وهنالك ما يعرف بالشلابي وهي سرابات مستعرضة بين أبو عشرين وأول أنقاية لا يتعدى عددها الثلاث .

أدوات الزراعة والنظافة:

١- السلُّوكة: للزراعة في أرض رويت ثم جفت فلو أخذنا العيش كمثال تستخدم السلوكة لعمل الحفرة بواسطة المزارع يتبعه المتيرْبي ليرمى الحب داخل الحفرة بيده ثم يدفنه برجله في حركة متناغمة مع المزارع الذي يكون أمامه .

٢- الجكاكة والطورية: لزراعة القطن على الأرض الناشفه ثم تروى .

٣- الكربول: عبارة عن عصاةٍ محنوفة في شكل الرقم ٦ لها رأس رقيق ومثقف يغرس في التربة نصف اللينة لعمل حفرة ويستخدم لزراعة الرخويات كالبطيخ والشمام والعجور وهذه في الغالب مكانها الأراضي حول النيل وتدفن التربة بعد وضع البذرة بالرمل ليسهل الأنبات .

٤- اما الواسوق والكوريق : فَلِسَنْد التَرَسْ وتوزيع الأناقي وفَتْح الجداول والتّقَانتْ .

٥- المَلُود والطُورِيَّة والكَدَنْكة والفاس والفَرَّار : هذه أدوات نظافة والنظافة دائماً تكون في أوقات الصَبْنَة وهي فترة انقطاع المطر قليلاً لتجف الأرض بالقدر الذي يسمح بتمرير الملود على سطح التربة لإجراء عملية الحش في سباق مع الزمن قبل أن تنزل مطرة أخرى وذلك بجلب اكبر عدد من الأجَرَاء يعملون ضحوة وضُهْرية لانجاز المهمة في أسرع وقت وإلا فإن البلاد أو الحواشة ستبور بسبب القش مما يؤثر سلباً على إنتاجها(١).

(١) محمد إدريس (له حواشات بمشروع السعادة ومكتب ٨٩ النالـه امتداد المناقل إحداها باسم الباحث نفسه وقد مارس فيها الزراعة).

مراحل النمو للعيش مثلاً :

يُزَمِمْ داخل الحفرة .. وينبت بعد يومين شوكة، ثم يكون أضان فار، ثم سواسيو، ثم فرّوج ثم دجاج، ثم صقار ثم لتيبة وحِمْلة ثم يفسخ القندول ثم يكون شراية ولبنة (يعني عيش لين) يقولون : (بعد ما لبنت ما يدوها الطير) للأمر الذي قَرُبَ تمامه، وبعد اللبنة الفريك ثم يبدأ في الجفاف فيقطع في وقت الدَّرت حيث يكون الجوُ حاراً يسمح بنجاض العيش ليبدأ الحصاد وقبل الانتقال لمرحلة أخرى فإن العيش في مرحلة اللبنة يتعرض لاعتداء الطير والزرزور والجراد بمص الحبوب مصاً فتجد القندول احياناً خالياً إلا من أثر نقد الطير له فليجأ المزارع إلى نَصْب الهوَّاب او الهمبول في شكل إنسان أو استخدام الكشكوش لإبعاد الطير ومن أكبر الآفات إن وجد الفأر لأنه يلتهم الحبوب من داخل الحفرة في مرحلة التيراب فلا يكون هنالك انبات أصلاً في الجزيرة يحاربونه بخلط البِذْر في سم الفار ومن الآفات الدودة التي تصيب القصب والسويد وأم صميمة والعسلة تصيب القندول والبودة فيُعمَّشْ .

الحصاد والتخزين :

أدوات الحصاد هي المِنْجَل والقَطّاعة والنِقْده ويمكن استخدام السكين يقطع بها القندول بعد جفافه ويسمى القَنْقَر يُنْقل بالرِيكة إلى مكان قريب يسمى الدِّب وبعد اكتمال هذه المهمة يتم تجميع الدِببة في التَقَاة وهي مكان مُنظف بعناية لايسمح بتسرب أي نوع من الحصيات الصغيرة مهما دقت إلى العيش بعد دقه في التقاة بواسطة أداة تسمي المدُقاق عبارة عن عودٍ مُسَطحٌ جانبه الأسفل ومدبب من أعلى، مخروم في المنتصف، مُركَّب به ذراع يسمح للْدقاق أن يَدُقَ العيش واقفاً وهذا كله أصبح تاريخاً بعد ظهور الحاصدات الالية .

الدقاقين يقومون بعملهم في الغالب ليلاً لأن الليل بارد والريح مواتية تساعدهم في تَضْريَة العيش بالكوريق فتذهب إفرازات الدق مع الهواء ويبقي ما يَنْفعُ الناس وهو العيش النظيف، اما البُتَّاب فيكون خارج التقاة كعلف للبهائم، ومن العلف القصب فبعضه تأكله الحيوانات واقفا ويعرف بالحوصاد والبعض يُسكب بالسكَّاب من عروشه

يربط كَلاليق (جمع كُليقة) وتُجْمع في دِكك تُزْرب بالشوك أو يُخَزن في السكن لوقت الحاجة، وأجزاء القصبة للتوثيق هي :

العِرشِ (أي الجزور) والفصوص والوَرَتابْ أي الأوراق، والرُقابة وهي عُنُق رقيق يفصل بين القصبة والقندول وتوصف به الحسان قَوَاماً ورقه (وديك بتاً بالجزاير تشبه الرُقَّاب)، والقصب منه الخِلْفه التي يمكن أن تلد للمرة الثانية ومنه غير الصالح مثل البَّرطاج والعدار .

يُعَبأ العيش في القُراف ليُدْفَن في المطامير وهي عبارة عن حفر مخروطي داخل الأرض يكون احياناً مُبيض من الداخل وفتحته من أعلى صغيرة تسمح بإنزال شخص واحد وتقفل بإحكام وهذه الطريقة تحمى العيش حتى من الأريتة آفة العيش المعروفة وهذا المخزون غالباً يترك لبيعه عند الحاجة .

أما القطن فَيُلْتقطْ من لوزه باليد بواسطة اللقاطين ويوزن بالشنكل لمحاسبتهم ويُجمع في التقاة ثم يعبأ فيما يعرف بجوالات الكبس وُيسلم للحكومة بغرض الحلج والتسويق ويستخرج من بذوره ما يسمي (الغُلْغُل) يستخرج منها زيت البذرة وهو ارخص زيت طعام .. ويستخدم الألمان بقايا القطن التي يصعب نزعها من رأس البذرة أثناء عملية الحلج ويسمى (النَدْف أو الزَغْب) يستخدمونه في صناعة الاسلحة[1]أما اوراقه فترعاها الحيوانات فيما يعرف بِطَلَق القُطُنْ سَرِقَةً في البداية ثم يُسمح به، وأما سيقانه فتقلع بما يعرف بالكجَّامه وتُجمع وتحرق، وقد تفيد في صناعة الورق .

ويدخل في دورة الزراعة محاصيل نقدية أخرى لفائدة المزارع مثل القمح والفول السوداني واللوبيا والعدس وغيرها.

التسويق:

يصدر القطن وما ينتج عنه من بذر وندف إلى الخارج ليعود بالعملات الصعبة للبلاد ويصرف منه للمزارعين بالعملة المحلية ما يعينهم على معاشهم وعلى استمرار العملية الزراعية ويمكن تصدير الحبوب الزيتية الفائضة كالفول والسمسم والبذرة كعلف

(١) عبدالقادر حسين جعفر – مصدر بواسطة شركة التضامن للخدمات، ١٩٨٦م (كان يعمل بها الباحث).

وبعض المنتجات أعلاه يبيعها المزارع في السوق المحلي للصرف على احتياجاته الحياتية له ولأسرته.

الفصل الخامس
المحمدية في مقام الدعوة

الفصل الخامس

المحمدية في مقام الدعوة

مدخل :

عندما قَدمَ أبو المحمدية الأول الشريف محمد السائح من العراق إلى السودان في العام ١٤٢٣م[١]. إنما جاء سائحاً وداعية[٢] للحق يَجْلُو السُرَى بِروعة قرآن ربه المُحكَمِ ويُعَلِّم الناس أمور دينهم وتعاليمه ويغرس فيهم قيم الخير والحق والحب والجمال وما أتى به نبيهم محمد صلي الله عليه وسلم ، ثم اتت ذريته من بعده فمنهم من نَهَجَ نهْج هذا الوالد داعية ومعلماً ينشد رضا الرحمن ويستصحب معية الدَيَّان ومنهم من سار سيرة المجتمع حوله يغرس الزرع ويربي الحيوان فيأخذ منها بُلْغَةَ معاشه ليوم معاده منفقاً وساعياً على عياله عاملاً لدنياه وآخرته فواقع حالهم إلى الآن يعكس ذلك. .

سبق أن صدّر الباحث أن مهمة الدعوة قد نهض بها من ذرية محمد (أب أرنب) إبنه عوض الله وحفيديه الصالحين بطران وعبد الرسول المشهورين وقد تعرض لبيان ذلك الكاتب المؤرخ التجاني عامر[٣]، وذلك موضح من خلال الفصل الأول وهنالك علامات مضيئة في مقام الدعوة من عمل آخرين من ذراري أبناء محمد أب أرنب المارّ علينا ذكره سنعرض لها إن شاء الله لاحقاً خلال هذا الفصل .

أوصلت الشريف عوض الله السائح ، سِيَاحَتُه إلى ديار العركيين في أبي حراز وبقى بينهم لعشر سنين تزوج خلالها زوجه الثانية عائشة بابكر دفع الله مقبل[٤] – الذي أوضحنا سابقاً أنه أخذ العلم على جد عوض الله هذا الشريف محمد السائح كان نتاج زيجة عوض الله من عائشة با بكر مقبل التوأمين الصالحين بطران وعبد الرسول وسبق أن أوضح الباحث سياحة عبد الرسول شمالاً إلى ديار الشايقية في مناطق نوري ومروي ولحوق أبن أخيه محمد بطران به ثم لحق بطران نفسه بهما لاعادتهما وتزوج ثلاثتهم من بنات الشيخ حمدتو الثلاث وفي طريق الرجعة بقى عبد الرسول مع

---

(١) الوسيلة قسم السيد الدرر البهية ص ١٠.

(٢) المصدر السابق ص ١٠.

(٣) التيجاني عامر، النيل الأبيض قديماً وحديثاً، ص ١٠٦.

(٤) المصدر السابق ص ١٨.

الحسانية بجبل الجلف غرب شندي[1] ويُذْكَر أن له بناتاً وأبناً تُرَدِّدْ مصادر القبلية في رواياتها أن أسمه العراقي غير أن معلوماتنا عن هذا العراقي لا تنهض أن تكون خبراً مفصلاً يُسجله المرء كمعلومة موثوق بها، أما محمد بطران فقد عاد مع والده الي الديار مستصحباً زوجه وطفله منها الذي سماه حمدتو على جده لأمه[2] .

وأما بطران فقد ترك زوجه بنت الشيخ حمدتو الثالثة مع اهلها بعد أن أنجب منها ابناً سماه أبو القاسم العراقي وربما يلاحظ أن التسمية بأبي القاسم وبالعراقي ربما كان الغرض منها لفت انتباه هذه الذرية إلى أصل ومنشأ ومنبت أصولهم وقد تأصل لديهم هذا الفهم فيما بعد بالفعل .

نشأ ابو القاسم العراقي بن بطران بن عوض الله بن محمد بن حمد بن محمد بن حسب الوالي ابن الشريف محمد السائح العراقي، نشأ في كنف أمه وجده لأمه الشيخ حمدتو وصارت بيئته ومنبته وخئولته في ديار الشايقية بل يَتَسَمَّوُا بأنهم شايقية مع الاحتفاظ بعلمهم التام أنهم أشراف من آل البيت[3] ولكنهم لا يتناولون ذلك كثيراً لأنه شأن خاص بهم والذي يهم الناس هو القيام بواجب الدعوة والدين وهنا مربط الفرس وهذا تفصيله مختصراً .

---

(١) الوسيلة مطبوع عن الكواهلة لم يُطبع.

(٢) مقابلة شخصية مع حسب الرسول عبدالرسول بقريتهم البستان في زيارة الباحث لهم يوم ٢٠١٢/١٢/١٠م وهم من أحفاد محمد بطران ويعرفون بأولاد سليم. علم الباحث منهم أن والدة محمد هذا هي بنت إسماعيل عم بطران.

(٣) المصدر نفس المقابلة أعلاه.

المبحث الأول

الدعاة المحمدية في الشمال

أولاً : نبدأ بأبي القاسم العراقي نفسه (كندمر) :-

أبو القاسم العراقي بن بطران يمثل لنا الجيل رقم ثمانية في سلسلة مبتدؤها الشريف محمد السائح أول القادمين من هذه العترة من العراق في العام ١٤٢٣م وقد عُلم من قبل مولد أبو القاسم ومنبته ونشأته وأسرة والدته[١]، فالغرْسُ طيب والتربة طيبة والناتج حسنٌ (ذرية بعضها من بعض) .

أشتهر ابو القاسم بالصلاح والفلاح فصار موضع ثقة الناس واعتقادهم القاطع في صلاحه فأطلق عليه أهل المنطقة من الدناقلة ومن سكان جزيرة تنقسي لقب (كَنْدِمَرْ) أي السيف القاطع وهي كلمة نوبية تعني في رطانتهم الوصف المتناهي لكل موصوف كأن تقول جمال قاطع أو حُسْنٌ متناهي أو سكين حادة لأبعد حد وعند المحس ينطقونها بالنون أي كند سكين، ونرحاد[٢]، وقد أفاد مدير بنك الاستثمار المالي من دناقلة الغابة أن أهلهم كانوا يصطحبونهم في المناسبات كالأعياد إلى مقبرة الشيخ كَنْدِمر للتبرك والزيارة ويحملون معهم من تربته ما يعتقدونه بَرَكَة تحمى أطفالهم هؤلاء وهذا يعكس اعتقادهم الجازم والمتناهي في صلاح هذا الشيخ[٣].

للشيخ أبو القاسم وأحفاده العراقاب دورٌ كبير في نشر القرآن وعلومه في ديار الشايقية ومنطقة جنوب دنقلا ، حيث نزل السيد ابو القاسم العراقي تنقسي مدينة العلماء والصالحين واستقر بها وهي تعتبر من مناطق التماس مع البديرية والدناقلة – حيث أوقد نار القرآن والعلم بها وأشتهر بالتقوى والصلاح وذاعت شهرته وعظمت مكانته وتوافد عليه طلاب العلم وله كرامات كثيرة ومتداولة يحفظها الصغار عن الكبار وله فيها مزار معروف ومشهور[٤]. وقد تعرض كثير من المؤرخين إلى نسبه الشريف منهم محمد عبد الرحيم وماك مايكل وصاحب كتاب الأشراف في السودان والبروفسير

---

(١) حُسبت حسب التسلسل بوثيقة النسب ، انظر الملاحق.

(٢) مقابلة شخصية مع الدكتور عربي محمد عربي بمدينة المهندسين بأم درمان وهو محسي من أرقو ٢٤ ديسمبر ٢٠١٤م

(٣) الهادي مهدي (مقابلة شخصية ديسمبر ٢٠١٤م بالمسجد الشاهد بالمهندسين).

(٤) فاطمة أحمد علي، مروي المظهر والجوهر ، ج٣ ، ط١ ، ٢٠١٣م ، ص ٦٧ .

عون الشريف في كتابه موسوعة القبائل في السودان الجزء الرابع[١]، إضافة إلى ما سطره أدب المنطقة حيث يقول شيخ المادحين على ود حليب واصفاً لهم بِالعِتْرَة النبوية : لِمّ حُوبةَ العراقاب والنقاديلُ شُرَّاح في خَليلُ .. وبِعَرْفوا تَأْوِيلُو .. يبقوا مع الرسول في الحوض نشا شيلو .. عِيلة مُكَرَّمِين عِتْرَةً هيلو ﷺ[٢] ومن أبنائه الشيخ الصالح العالم الذي أرسله والده ليوقد نار القرآن في بنقنارتي بالقرب من تنقسي كما أرسل حفيده الشيخ قنديل بن العالم ليوقد نار القرآن بمنطقة الطرابيل (اهرامات ملوك النوبة القدماء بمنطقة نوري) وهو يعتبر مؤسس خلاوي العراقاب الأولي بنوري ومنها كانت شهرتهم بعراقاب نوري [٣].

يعتبر الشيخ العالم خليفة والده السيد ابو القاسم العراقي في نشر القرآن والعلم في منطقة تنقسي عامة ومؤسساً لخلاوي العراقاب في بنقنارتي على وجه الخصوص حيث تخرج على يديه الكثير من العلماء والمشائخ وله قبة ومزار كبير ومعروف ، كما سميت جبانة المنطقة (المقابر) باسمه جبانة العالم وكذلك الجبل جبل العالم وذريته بأَرقِي والجابرية وتنقسي ومنهم بتنقسي أسرة الفكي عبدالكريم العراقي واشتهروا بأولاد الفكي أو بمسجدهم (مسجد الحسن) حيث تقام الجمعة والجماعة وكل المناسبات وأولاد الفكي هم محمد صالح ود الفكي (قبته قرب جده العالم) والحسن ود الفكي وهم أجداد العراقاب بتنقسي[٤] .

أما خلاوي نوري فقد سَلَفَ القول أن مؤسسها هو الشيخ قنديل بأمر من جده القاسم لرؤيا رآها بأنه سوف يكون له شأن عظيم في مكان يقال ليه الطرابيل[٥] ، ولعل الشيخ أبو القاسم يريد بذلك توسعة مظلة نشر العلم في المناطق حوله بأن يصل العلم إلى الناس في أماكنهم وبتعبير العصر تقصير الظل الإداري أو الثقافي أو التعليمي وهذه نظرة متقدمة من الشيخ أبو القاسم بل من والده الشيخ بطران من قبل الذي لم يتركه في هذه المنطقة إلا من أجل هذا الغرض فلا غَرَابة أَوَلَيَسُوا من سُلاَلة مُعلِّم

---

(١) السر العراقي كسلا، التاريخ والحضارة ، ٢٠١٠م ص٩٠

(٢) مخطوط الشريف محمد خير غير منشور ص (٢) .

(٣) مخطوط الشريف محمد خير غير منشور ص (٢) .

(٤) المصدر السابق ، مروي المظهر والجوهر ،ص ٦٨

(٥) فاطمة أحمد علي المصدر السابق، ص ٦٨.

البشرية خَاتَم الرُسُل الذي بُعِث مُعَلِّماً صلي الله عليه وسلم ، ومن طرائف ما يردده البعض كنوع من الفُكَاهة والمِزاح أن أربعة لا أصل لها وهي[١]:

١. مديح العرواب
٢. فلهمة الغَيَّاداب
٣. وتقوة الجمالاب
٤. قراية المحمدية للكتاب.

ولكن ها نحن نرى المحمدية يقرأون الكتاب وينشرون العلم والفقه مما يدحض هذه المُذحة في شأنهم .

خَلَفَ الشيخ قنديل في تعليم القرآن الكريم إبنه الأزهري حمد العراقي الذي سافر إلى مصر ودرس الفقه المالكي بالأزهر ورجع إلى السودان ليواصل رسالته في تعليم القرآن والفقه إلى أن توفى ودفن بنوري[٢] ، وخلفه من بعده أبنه الشيخ محمد بطران المسمى على جده الأكبر بطران والد الشيخ أبو القاسم كَنْدِمَر المدفون جنوب جبل أولياء بمقابر بطران المسماة باسمه على ضفة النيل الأبيض الشرقية قبالة مدينة ود الكريل ، وكان بطران الحفيد هذا عالماً فقيهاً خلف والده في تعليم القرآن والفقه وتوفي بنوري ودفن بها [٣].

خلفه حفيده عبد الحميد الأحمر والد الفقهاء محمد تور الجزيرة وبانقا وود الصمد وعبد الرحمن وحسن وأحمد وغيرهم وتقول عنه الكاتبة فاطمة أحمد علي من منطقة الشايقية وجلس للتدريس فيها وأوقد نار القرآن الكريم وتوافد إليه طلاب العلم لينهلوا من علمه الغزير الجم وأخذ يعلم الناس ويرشدهم حتى وافته المنية ودفن بنوري[٤] .

(١) سعيد حامد بابكر من قرية المنتزه من قرى المحمدية غرب النيل الأبيض.
(٢) مخطوط الشريف محمد خير، عن العراقاب غير منشور ص ٥.
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٤) فاطمة أحمد علي، مروي المظهر والجوهر، مصدر سابق ، ص ٧١.

خلفه أبنه محمد تور الجزيرة كما تورد فاطمة نقلاً عن الشريف محمد خير ، وكان تور الجزيرة عالماً وصالحاً وتقياً وناسكاً وسبب تسميته تور الجزيرة أنه كان يخاطب حيوان فرس البحر (العينسيت) ويناجيه ويَحلِبْ لبنه[١] .

تولى الخلافة الشيخ عبد الحميد الأزرق بعد وفاة والده يساعده أخواه ونظيراه في العلم حمد والزاكي في الإشراف على الطلاب وإدارة المسجد ومع توصيل العلم للناس كان يَجْهَدْ في سبيل كسب معاشه بنفسه[٢] .

خلوة العرقاب أول من أسسها الفقيه عبد الحميد الاحمر بالغُريبة بنوري في عهد السلطنة الزرقاء وقد ألف كتاب في علم التوحيد سماه (الدليل الجُمَلِي في علم التوحيد) تلاه ابنه عبد الحميد الازرق فألف كتاباً سماه (عقيدة النفس) [٣].

الشيخ عبد الحميد الأزرق كان سالكاً لطريق القطب الكامل الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وأن خلوة العراقاب في نوري ظلت تؤدى دورها الديني والعلمي والاجتماعي على أكمل وجه ، والشيخ عبد الحميد الأزرق هو والد الشيخ والعالم الفكي الصادق الذي درس القرآن والفقه على يد أعمامه العراقاب بنوري ثم التحق بالأزهر ونهل من علمه ومن أشهر تلاميذه الشيخ المجذوب بالدامر[٤].

وممن ذاع صيتهم من العراقاب الفكي محمد صالح بن حمد بن محمد تور الجزيرة وهو مُجَدِّد خلاوي العراقاب في المرحلة الثانية وشهدت فترته ازدهاراً كبيراً في تدريس القرآن والفقه حيث توافد اليه الطلاب من أطراف السودان المختلفة بل ومن خارج السودان وقد كرمه الله بذرية كلهم من المشائخ والعلماء أمثال القاضي عبد الرحمن قاضي عموم مديرية دنقلا والشيخ أحمد المفتي مفتي عموم المديرية الشمالية وغيرهم، وتخرج من خلاوي العراقاب اعلام أمثال الشيخ الجعلي (راجل كدباس) والشيخ عبد الرزاق ود مدني جد التويماب مؤسس خلاوي مقاشي والكُنيسة

---

(١) فاطمة أحمد علي، مروي المظهر والجوهر، المصدر السابق ، ص ٧١.

(٢) الشريف محمد خير – مخطوط عن العراقاب غير منشور ص ٦.

(٣) أخلاص محمد عثمان ، رسالة ماجستير الشايقية القبيلة والتاريخ ، مكتبة الجامعة الإسلامية، أم درمان ، ١٤٢٤هـ- ٢٠١٣م، ص ١٢٣

(٤) مصدر سابق ، مروي المظهر والجوهر ، ص٧١

والشيخ محمد النور (تور القوز) في قوز قرافي والشيخ على ود حليب وقد ذكر حاج الماحي الشيخ محمد صالح في مدحة التمساح قائلاً:

يَا رِجالةُ نُوري إتْلمُوا .... خَلُّـو الغفلة جميعاً هِمُو

محمد صالح قام بـي عَمُّوا .... ولَطَمَ الـدُود بالسرْ فوق فمُو[1] (أي: قتل التمساح بسرٍ ألهمه الله إياه).

ويعنى بعمه الشيخ عبد الحميد الازرق العراقي وكانت النساء تقول: الشيخ محمد صالح، وأولاده السبعة .. الما طلع فيهم طالح : (وأشتهر آل العراقي بنوري ومنهم الفقيه محمد صالح بن حمد العراقي بن عبد الحميد الاحمر المولود بنوري وتوفى فيها ١٢٣٥هـ ، وقد توسط بين الملك جاويش والملك صبير وإسماعيل باشا بعد أن أنسحب الملك جاويش إلى المتمة وأمر إسماعيل باشا بالكف عن المطاردة ونجحت الوساطة[2] وسلم الملك جاويش .

خلف الفقيه محمد صالح في خلاوي العراقاب بنوري علماء اجلاء من أبنائه وأحفاده منهم ابنه عبد الحميد بن محمد صالح الذي كان عالماً بارعاً اشتهر بالصلاح والتفوق والورع وهو آخر مشائخ العراقاب من القادرية طريقة أسلافه.

الشيخ محمد خير بن محمد صالح بن حمد العراقي "كان أول خلفاء الطريقة الختمية في زمن الأستاذ الختم[3] ، وحسب تسلسل الأجداد فأن جده الثامن هو أبوالقاسم (كندمر بن بطران بن عوض الله بن محمد (اب أرنب) بن حمد بن محمد بن حسب الوالي بن الشريف محمد السائح أول القادمين من هذه السُلالة من العراق إلى السودان في العام ١٤٢٣م فترة من خلال انهيار الدولة العباسية في عصرها الرابع وسيطرة المماليك[4]، ومن محمدٍ هذا كان اسم قبيلة المحمدية – القبيلة الأم لذرية أبي القاسم العراقي – وبما أن عوض الله هو والد بطران وعبد الرسول وأخوهم لأبيهم عبد الله فإنهم يُعْرَفُون في مرابعهم الأصلية بالعَوَضَـلاّب كخشم بيت من المحمدية وينتمي

---

(١) عمر الحسين (تحقيق ديوان حاج الماحي، ص ٦٨٥ الدار السودانية للكتب.

(٢) عون الشريف – القبائل والأنساب ، ص ١٥٣٧

(٣) السر العراقي ، كسلا التاريخ والحضارة ، ص١٩٠

(٤) معلومة مصدرها الشبكة العنكبوتية (النت)

إليه، ايضاً ناس ود الكريل وغيرهم والمحمدية هم سلالة حمد بن القاسم بن إسحاق بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبي طالب كرم الله وجهه[١].

عَيَّن الأستاذ الختم الشيخ محمد خير بن الشيخ محمد صالح العراقي خليفة للطريقة الختمية في شمال السودان وكانا قد التقيا قبل ذلك بمكة المكرمة والمدينة المنورة وتعاهدا على نشر الطريقة الختمية في السودان ومن بعد طلب إليه الأستاذ أن يقوم بنشرها في شمال السودان[٢] . فتحولت المنطقة من حوله إلى الطريقة الختمية وتبعه على ذلك غالب المشائخ ومن بعد ذهب إلى الحج حيث توفي ودفن مع البرعي اليماني بالأراضي المقدسة بين مكة المكرمة والمدينة[٣] . خلفه أبنه الشيخ محمد عثمان الذي تعرض للنفي والسجن بسبب مواقفه القوية ضد السياسة المالية والشرعية للحكومة التركية في السودان إذ قبض عليه حسين باشا مدير مديرية دنقلا وبربر في عهد الخديوي إسماعيل ونفاه مع خمسين من خلفاء الختمية إلى مُصوَّع عام ١٢٨٨هـ الموافق ١٨٧٢م) [٤]كما سجنه الأنصار عندما رفض الأنصارية والتعبد بالراتب وتَرْك الختمية ، كان من بعده خلفاء أجلاء من أبناء عمه الخليفة عبد الحميد أمَّا أبنه المباشر سيد أحمد بن محمد عثمان الذي أصبح خليفة لوالده بعد وفاته وخليفة الخلفاء الختمية فهو من أسس لأسرة العراقاب في كسلا بعد استدعاء المراغنة له ليقوم بواجب الدعوة هنالك فحل بها في العام ١٩١٧م ليصبح خليفة للخلفاء بكسلا وهو لقب نادراً ما يمنحه المراغنة لأحد ، فقد أجلسه السيد أحمد الميرغني على كرسي وثير والبسه العمامة . توفي عام ١٩٤٦م بحي الختمية ودفن بها[٥] .

عوداً إلى مروي شرق تقول الاستاذة فاطمة أحمد على[٦] عن أن الحاكم التركي لمديرية مروي أراد خلفاً له في فترة غيبةٍ له بمصر قد تطول فجمع علماء المنطقة ومن

---

(١) وثائق نسب المحمدية في الفصل الأول

(٢) السر العراقي ، كسلا التاريخ والحضارة ،ص ١٩٠

(٣) السر العراقي، المصدر السابق، ص ٢٣

(٤) المصدر السابق نقلاً عن (محمد عبد الرحيم : مخطوطة ابطال التاريخ في السودان) ، ص ٢٣.

(٥) السر العراقي . كسلا التاريخ والحضارة ، مصدر سابق ، ص ١٩٠ وفي مقابلة شخصيه معه.

(٦)

بينهم الفقيه أحمد المفتي الذي كان يعمل قاضياً ومفتياً بنوري فوقع الاختيار عليه من بينهم ليقوم بواجب تقديم الدراسات الإسلامية والافتاء والقضاء بمسجد مروي شرق وهو أول مسجد شيدت له مئذنة على طول امتداد الإقليم الشمالي في العام ١٢٤٣هـ(١)، وقد سنحت للباحث الفرصة في اول زيارة لمروي لما يتعلق بهذ البحث أن يُشاهد هذا المسجد الاثري المهجور الآن بمئذنته الاسطوانية الشامخة الطويلة والمشيدة بالطوب الأحمر على الطراز التركي القديم كالمنارات وهي تمثل نوعاً من أنواع الفن الإسلامي في فن المعمار، ومن جميل الصُدف أن الباحث قابل حفيدةً لأحمد المفتي هي حواء الماحي عبد الحميد أحمد المفتي عمرها يناهز المائة أو يزيد ولكن ذاكرتها مازالت حاضرة – جرت المقابلة في منزلها القريب من هذا المسجد القديم فحكت قصة اختيار جدها أحمد المفتي مفتياً لخط مروي والقصة تعكس صلاحاً وكرامة لهذا الرجل الشريف، قالت أن أحد القضاة ويدعى ود يس إستنكر أختيار جدها أحمد بن محمد صالح بن حمد العراقي ليكون مفتياً على المنطقة وكان ذلك حسداً منه فقال له أحمد المفتي إلى الآن لم يَفُتْ شيء نْشعل النار أنا وأنت ونضع عليها البليلة كلٌ في قَرْعَتِه فمن نَضِجَتْ بِلِيلَتُه أولاً يصبح هو المفتي وهذا تحدى الواثق من ربه وقَبِلَ القاضي ود يس التحدى فوضع أحمد بن محمد صالح قرعته على النار ونضجت بليلتها وأكل منها الحضور أما قرعة منافسة فقد أتت عليها النار فتشققت واندلق ماؤها على النار فأطفأها وسلم ودّيس بالهزيمة على أعين الناس(٢) ، ويبدو أن سِهَام السَحَرْ لدى أحمد نافذة ولم لا ؟ أليس هو أبن محمد صالح العراقي الذي قام بي عمُّوا ولَطَم الدود بالسر فوق فَمُه من شعر الحاج الماحي الذي صار أنشودة في فم الزمان .

أحمد المفتي بمروي شرق كان يؤم المصلين ويحكم وتُستَأنف لديه الاحكام وظل يؤدى واجبه الديني والإداري والقضائي إلى أن وافته المنية ثم تعاقب على خلافة

---

(١) السر العراقي . مصدر سابق ، ص٧٤

(٢) حواء الماحي عبد الحيمد أحمد المفتي – مقابلة شخصية بمروي شرق – السبت ٢٠١٣/٩/٢١م ، في معية الشريف محمد خير ومحمد العراقي .

المسجد والخلوة بعده اولاده وأحفاده وظلت الخلوة مركز إشعاعٍ ديني وعلمي يرحل اليها طلاب العلم من منطقة مروي وخارجها[١] .

العبارة المأثورة عن الكلام الجيد المسبوك تقول: (ان من البيان لسحرا) فكان أن عالج أحمد المفتي وأبناءه من بعده أمر الدعوة أيضاً من هذا الباب وجولة الباحث في مروي أوقعت في أيدي الباحث ورفيقيه الشريف محمد خير ومحمد عراقي ما يمكن أن يُشكل ديواناً في مدح النبي صلي الله عليه وسلم من تأليف أحمد المفتي وأبناؤه من بعده عبد الحميد ومحمد وعبد اللطيف شعراً شعبياً جيداً ومفهوماً لدى العامة والخاصة يعالج أمور الدين والدعوة في التوحيد والعبادات والسلوك والوعظ والإرشاد والجهاد والحج والسيرة النبوية وسير الصحابة وفن المديح عموماً هو عبارة عن دروس في السيرة في قالبٍ فَنِّي بديع تَمَيز به أهل السودان دون غيرهم من الشعوب وهو وسيلة من وسائل الدعوة المؤثرة [٢] ضرورات البحث وضعت في الأيدي كما تقدم مثل هذا الأثر الذي كان يمكن أن يضيع مع الزمن إن أغفله قلم التسجيل ولحسن الحظ أنه قد تم أنقاذه من براثن الضياع وهذا يُجيب على أن الكتابة عن القبيلة – أي قبيلة – لا تعني بعث نعرة عنصرية بقدر ما أنها تبعث (وتَنَكُث) لنا خبراً وحكمةً وتاريخاً كان يمكن أن يندثر مع الزمن وهذا يجعلنا نقف على الحقيقة دون أن نستجديها من آيات الكون كما طلب أمير الشعراء من أخت يُوشَع ويعني بها الشمس المُطَلَّعة على أحداث الزمن مع كَرِّ الجديدين الليل والنهار:

قِفي يا أُختَ يوشَعَ خَبِّرينا	**أَحاديثَ القُرونِ الغابِرينا**
وَقُصّي مِن مَصارِعِهِم عَلَينا	**وَمِن دُولاتِهِم ما تَعلَمينا**
فَمِثلُكِ مَن رَوى الأَخبارَ طُرّاً	**وَمَن نَسَبَ القَبائِلَ أَجمَعينا**
نَرَى لَكِ في السَماءِ خَضيبَ قَرنٍ	**وَلا نُحصي عَلى الأَرضِ الطَعينا** [٣]

نماذج من مديح أحمد المفتي:

عيب شبابي الماعبا والله لي سيد قباء (أعاب على نفسه وهو شابٌ عم التعبئة لزيارة النبي ﷺ).

---

(١) فاطمة أحمد علي ، مصدر سابق ، ص ٧٥

(٢) برنامج حلل البريق الأسبوعي – قناة النيل الأزرق

(٣) أحمد شوقي ، الشوقيات، مجلد ١ ص ٢٦٦ .

أول كلامي الجايبا بالله الكريم الواهبا

نافي الشريك والصاحبا والزوجة والأم والأبا

بَثَنِي الكلام على المُجْتَبَا ** صاحب المدنية يثربا

نبياً عزيز في المرتبا **من غير قراءة تأدبا

ما حمل لوح في مكتبا ** خَتْم الرسالة وعاقبا

وللقصيدة بقية ونكتفي منها بهذا القدر

وفي الوعظ والتذكير نأخذ نموذج من عبد الحميد أحمد المفتي:

يا مشغول بالهوى تَ ِابِع الشيطان للغِوَى

كم في الحرام تِبِعْتَ الهوى ما بتطيع الواحد هُوَ

توبوا يا صبيان يابنات لاتقولوا أعمارنا باقيات

كم صغير السن مات وفات * في القبر دفنوه وفيه بات

لا تخاصم الجار القريب ** والبعيد أوصي به الطبيب

تواصله إن كان فيه عيب ** البخالف مخطئ وكعيب

أنت يا شايب يا بخيل * أكثر الصدقات والسبيل

العمر تم حان الرحيل * قادمين للمولى الفضيل

طاوعن الرجال يا حريم * خالفن إبليس الرجيم

التخالف ليها الجحيم ** والعذاب في اليوم الزميم

المولى قال في جوه البيوت ** قَرنَ فيها ولازم السكوت

زينتها والطيب للبخوت ** والتخون تندم بعد تموت

ومثال ثالث من محمد بن أحمد المفتي :

القوافل السائرات بليلين لأحمد زائرات (أحمد هو النبي ﷺ).

مولاي بحق المرسلات عمَّ وفضائل النازعات

تعطينا في الدنيا الثبات وفي الأخرة من بعد الممات

ثنيت بأبن الثقاة الماحي شفاع العصاة

يوم الخلوق واقفين عُراةْ خير النبُوَّة به النجاة (يوم القيامة).

رحب الكفوف قالوا الرواة يزاوله صيد البريات

المسلمين والمسلمات والصالحين والصالحات

سيدي الرسول وين مثله ذات سمحات فروعه مأصلات

- ولعبد اللطيف عبد الحميد أحمد المفتي نموذجٍ أخيرٍ مُخْتَصَرٍ:

ياطه الرسول الهادي إنت الفاق جمالك هادِ

صيد البر ليك ينادي قال الرسول مشهادي

فاتح باب مو مغلوق متواضع وقلبو شفوق

للجائع زاده يحوق كفه على الجميع مطلوق

من طيبة النسيم عَسَّاف داخل في فؤادي وشاف

حَلحِلْ قيدنا يالطَّافِ لي زيارة الرسول الصافي

قبل مغادرة منطقة الشمال إلى مناطق أخرى في السودان لبسط اثر هذه الاسرة المُعلِّمة من ذراري الولي الكامل ابو القاسم العراقي بن بطران المحمدي القبيلة بالسودان والمحمديُّ الوِجْهَة والدين والعقيدة والدعوة وفي ذلك شرف الزمان وحسن المآل إنشاء الله لابد أن نذكر اسرةً لهم بالمقل مركز مروي هي اسرة الفقيه محمد صالح الزاكي التي قامت بوظيفة الاسرة في بسط العلم الديني ونشر الدعوة وبناء الخلاوي لذلك ..خلفه أولاده (محمد عثمان) وأحفاده وتخرج من خلوة ود الزاكي بالمقل فقهاء امثال الفقيه العالم محمد العاقب والفقيه عبد الحميد طه احفاد احمد المفتي[(١)] .

- وفي الكاسنجر قام بوظيفة الاسرة الشيخ محمد خير بن عبد الحميد الازرق فأوقد نار القرآن بالقرب من مقبرة حاج الماحي وصاهره في أخته ماحية وله تلاميذ كثر ، أما في الجزيرة أتماري فقد أدَّى الوظيفة محمد ود اتماري بن عبد الحميد الازرق وخلفه أبناؤه من بعده محمد النور ومحمد صالح وإبراهيم والأحفاد[(٢)] .
- وفي منصوركتي أسس خلاوى العراقاب بفقيرنكتي الفقيه الصالح الشيخ أحمد شيخ العلم بن ود الصمد بن عبدالحميد الأحمر يساعده ابن أخيه الشيخ محمد

(١) الشريف مخطوط غير منشور ص ١٢.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

ود الصمد خلفه إبنه المكي ثم محمد المكي وهم مشهورون في بفقيرنكتي بأولاد نوري واستفاد منهم طلاب العلم من حسينارتي إلى السيال ومن أشهر تلاميذهم الشيخ محمد أبو القاسم البيلي جد البيلياب[(١)] .

- خلاوى العراقاب المحمدية بمنطقة شندي : يرجع وجودهم للشيخ احمد التهامي العراقي أشهر تلاميذ السيد / محمد عثمان الختم وكان من مرافقيه في كل أسفاره وتجول معه في معظم مناطق السودان حيث تزوج من شندي منطقة ساردية ومن أشهر أبنائه الشيخ محمد عثمان والشيخ الحسن التهامي وحفيده العالم عبد الحميد الحسن التهامي[(٢)] .
- محمد عثمان ابن الشيخ أحمد التهامي كان القاضي الشرعي في عهد التركية وله ثلاثة أولاد هم عبدالحميد وخالد والتهامي الذي كان من ثوار ثورة ١٩٢٤ مع علي عبداللطيف وسجن معه رغم أنه كان ملكياً وهو من بني القبتين بجوار معمل إستاك عام ١٩٣٦م[(٣)].
- أما الشيخ الحسن بن الشيخ احمد التهامي بن بانقا بن عبد الحميد الاحمر بن محمد بطران بن حمد العراقي بن قنديل بن الشيخ ابو القاسم (كندمر) بن بطران الشيخ الواصل المدفون في ديار قبيلته المحمدية جنوب جبل الأوليا فقد درس العلم والفقه بمسيد ودعيسى بالجزيرة في حياة الشيخ ود عيسى أواخر السلطنة الزرقاء ومن ضمن من زامله الشيخ إبراهيم الكباشي (وهو من المحمدية الحماداب) والشيخ عبد المحمود ود نور الدائم . فرجع وأسس خلوته بديار اخواله بالجزيرة ساردية وانتقلت فيما بعد بسبب فيضان ١٩٤٦م إلى الشقالوه وكان ينظم دروس العلم في كل المنطقة المجاورة وكان خليفة خلفاء الختمية في المنطقة وكان يؤم المصلين في رمضان بمسجد الحسن الختم ببحري ويدَرِّس العلم والفقه[(٤)] .

---

(١) الشريف مخطوط ص ١٣ غير منشور

(٢) المرجع السابق ص ١٤ غير منشور

(٣) مروي المظهر والجوهر ، نقلاً عن الشريف محمد خير

(٤) مخطوط الشريف ص ١٤.

- كما ذهب الحسن التهامي إلى ديار الشايقية ونزل عند أبن عمه الحسن ود الفكي عبد الكريم بجزيرة تنقسي واستقربها فَتْرة يعلم ويفتي على المذاهب الأربعة وكان يحفظ الفية أبن مالك ويعلم التوحيد والحديث والتجويد وغيرها ومن تلاميذه في تنقسي وشندي القاضي شرف الدين من أبناء القاضي عبد القادر بن سوار الذهب أبو العشرة وجد المِيّه والشيخ الحسن ود الفكي عبد الكريم العراقي والشيخ محمد على العجيمي البديري والشيخ الحسن الخطيب ، ومن تلاميذه في شندي الشيخ أحمد حبور ، توفي الحسن التهامي عن عُمر فوق التسعين عاماً -رحمه الله- ومن ذريته الشيخ العالم عبد الحميد الذي بدويم ود حاج ، حفظ القران بديار أخواله وعكف على دارسة العلم ثمانية عشرة سنة عند العالم أحمد عطا المنان الشهير بود الجريف (جريف نوري) حتى صار عالم زمانه وعرضت عليه الحكومة منصب قاضي القضاة عدة مرات ولكنه رفضه وكان عمه عبد الرحمن التهامي يراسله ويطلب منه أن يأتي إلى بحري ويدرس في مسجد الختمية الكبير حتى يستفاد من علمه وبالفعل استقر وعقد مجالس العلم ببحري وامدرمان وكان السيد على يستشيره في أموره ثم ذهب واستقر بالمتمة وعقد حلقات العلم وواصل دوره في حلقة والده بالشقالوة ساردية (حلة تِحتْ) ومن ثم استقر داخل مدينة شندي مربع واحد بأمر من والده فعلم الناس الفقه والعلم وكان يقسم الدروس على الأسبوع في شندي فوق وقلعة ود شنان وكل القرى المجاورة ، المتمة ، مِويسْ ، قندتو وحوش بانقا وغيرها وتوفى عن عمر مديد فوق التسعين عاماً سنة ١٩٥٥م ودفن بمقابر التهاماب بمقبرة سعد ود شو شاي المغربي بالشقالوه شندي مع إبنه وعمه وجده أحمد التهامي وله كتب وآثار ومخطوطات محفوظة وله تلاميذ كثر من أشهرهم الشيخ شروني بأمدرمان وبعضهم حيُ يرزق منهم الشيخ عبد الرحيم عبد الله أمام وخطيب المسجد الكبير بشندي[١] .

(١) مخطوط الشريف محمد خير في مرحلة البحث عن العراقاب ص ١٤.

المبحث الثاني

الدعاة المحمدية في كردفان والنيل الأبيض

أول من هاجر من الشمال من سُلالة أبي القاسم العراقي بن بطران في رحلة عكسية هي رحلة العودة إلى الجذور مُتَنَسِماً روائح الاجداد كان الشيخ محمد ود الزاكي[١].

حفظ هذا الشيخ القرآن ودرس الفقه في خلاوي جدوده العراقاب بنوري ثم هاجر جنوباً حاملاً رسالة القرآن الكريم والعلم محاولاً ان يتخير لبثها الموطن المناسب فمرّ بوادي بشارة ريفي ود حامد ثم الوادي الرقيق شرق القطينة متجاوزاً بذلك مرابع الاجداد المحمدية حتى القى عصا التسيار بمنطقة ود الزاكي الحالية التي كانت تسمى دماس ثم سميت باسمه ليشع منها نور العلم بعد أن أسس بها خلوته في العام ١٨٣٧م فأتاها طلاب القرآن الكريم من كل ناحية فدرس وتخرج على يديه أكثر من الفي حافظ لكتاب الله واستمر في رسالته ما يزيد عن أربعين عاماً إنتقل بعدها إلى رحمة مولاه في العام ١٨٧٩م وقد زار الباحث هذه الخلوة بنفسه وزار شيخها الحالي أحمد بن الخليفة سرالختم فما زالت الخلوة تقوم بدورها .. ترك الشيخ المؤسس مخطوطاً فخيماً هو (مختصر خليل متناً وشرحاً) بخط يديه باللونين الاحمر والأسود [٢].

جدير بالذكر أن الامام المهدي قد زاره أبّان دعوته السرية وبات بالمسيد وقدمه ود الزاكي للصلاة وصلى بهم العشاء قصراً هذا مع العلم أنهم ختمية بل خلفاؤها من الشمال والشرق وفي كردفان والنيل الابيض ولما كانت الدعوة مازالت في طور السرية فلم يظهر وقتها حساسيات أو مواجهات ولكن بعد اعلان الثورة المهدية لم يغير ود الزاكي ولاءه الختمي رغم أنه بات يعيش في محيط أنصاري من أهل النيل الأبيض[٣]

.

خلفه بعد وفاته أبنه الشيخ أحمد (١٩١٥-١٨٧٩م) الذي واصل مسيرة والده وتخرج على يديه مشائخ كبار وعاصر أحداثاً تأريخية كبيرة كالثورة المهدية ، خلفه إبنه عثمان وهو والد الدكتور الأمين الزاكي الذي كان أستاذاً بالجامعة الإسلامية الذي ذكره

---

(١) مخطوط الشريف غير منشور، ص ١٧.

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

التجاني عامر حين مرَّ عليهم وهو يعد لمؤلفة النيل الأبيض قديماً وحديثاً فقال :(وللشيخ إبن من أجلة العلماء هو الدكتور الأمين الخليفة الأستاذ بجامعة امدرمان الإسلامية) [(١)]، وفي عهد الخليفة عثمان هذا (١٩٤٤-١٩١٥) ثم توسعة الخلاوي وتحويلها إلى مبانٍ ثابته بدلاً من القش ، خلفه أخوه الخليفة سر الختم (١٩٤٤-١٩٩٥) [(٢)] وسار على نهج أسلافه في خدمة المسيد وأدخل نظام الدراسة بالمدارس لمن أرد من طلاب الخلوة[(٣)] ، أما من يقوم بأمر الخلافة والمسيد الآن فهو الخليفة أحمد بن الخليفة سر الختم.

حفظ القرآن بخلوة ود الزاكي مشائخ أجلاّء كان لهم دور في فتح الخلاوي وتعليم القرآن أمثال الشيخ الصديق طه المنقوري والشيخ عبد الله الخليفة المبارك الشويحي والفكي نور الجليل بمنطقة البديرية بالنيل الأبيض والفكي يوسف الصلحي بمنطقة ود الطيب والفكي عبد الرحيم ود خَيّر من الجمَّالابْ ، المدفون بالقراصة وله بنيه تزار والفكي عوض إبراهيم بمنطقة شبونة والفكي عبدالله بمنطقة الهلبة قرب الشقيق والفكي مِنْ الله بمنطقة البنوناب والفكي مرغني بالقراصة والفكي ابو الدخيرة بمنطقة الجبلين وهو نفسه من المحمدية من ولد سُليك ود بطران وسنخصص له فقرة تعريفية والفكي عبدالمولى بالهبيكة والفكي مصطفى ود أزرق بالشقيق وكذلك الفكي علي العبودابي والفكي جبريل بمنطقة الكيلو ثلاثة ومن ود الماجدي الشريف الهادي ود الشريف محمد الامين والشيخ عثمان الزبير من الدمبو والشيخ محمد السماني الشيخ برير وأبنه وخليفته الشيخ برير ومن أبناء قرية ود الزاكي الفكي مرغني والصديق ود طه وحاج قسم الله والشيخ محمد عبد القادر قمر وغيرهم أما كردفان فمنها الفكي فتح الرحمن الشايقي بمنطقة ام سيالة في شمال كردفان والفكي محمد ود ناصر بمنطقة ابو شوك شمال كردفان والشيخ النور محمد الزاكي مؤسس خلاوي أم بغيلة بكردفان والشيخ العالم الصديق محمد الزاكي تلميذ شيخ الإسلام ود البدوي والشيخ محمد خير التيجاني الزاكي والفكي السنوسي ود منصور مؤسس خلوة الشقيلة بكردفان والفكي عبد الرحمن

---

(١) التجاني عامر، النيل الأبيض قديماً وحديثاً ، ص ١٠٠- ١٠١.

(٢) مخطوط الشريف ص ١٧.

(٣) التجاني عامر، النيل الابيض قديماً وحديثاً ، ص١٠٠-١٠١

والفكي عمر بالمحيريبا شمال كردفان والشيخ على ود عجبنا وأولاد أحمد ود عجبنا وهم على وكارور والفكي محمد على ود إسماعيل ود بلال ومن أم صميمة أولاد ماقة ومن منطقة اصوصا بالحبشة الفكي مضوي[١]. (أُنظر: ص ١٠٤ ملحق رقم ١٢ تاريخ تأسيس خلاوي ود الزاكي).

الدويم:

أسس فيها الخلوة الشيخ الحافظ لكتاب الله حمودة محمد حمودة محمد الزاكي المحمدي العراقابي المولود بنوري عام ١٨٧١م وحفظ بها القرآن ثم قضى فترة شبابه بود الزاكي معلماً للقرآن ومنها للدويم لكسب عيشه من عمل يده كبناءٍ للطين، ومن ثم فتح خلوته لتعليم القرآن واشتهر بكثرة نسخه للمصاحف وبزهده وكثرة صيامه. من أشهر تلاميذه بالخلوة الأستاذ سر الختم الخليفة الحسن رئيس وزراء ثورة أكتوبر ١٩٦٤م ومحمد احمد محجوب رئيس الوزراء الأسبق. واصل مهنة تعليم القرآن بخلوته بالحي الثاني بالدويم إلى أن وافته منيته في العام ١٩٥٢م عن عمرٍ يناهز الثمانين عاماً تاركاً من الولد ذرية كثيرة من خمس نساء[٢].

أمْ جر:

أما في أم جر جنوبي الدويم فنجد خلوة أثرية صاحبها الشيخ الحسين ود محمد صالح الزاكي عفا عليها الزمن وأشهر خريجيها الشيخ العالم موسى عبد المجيد الحرّاني– عالم الأبيض[٣].

كوستي:

وفي كوستي نهض بواجب الدعوة الشيخ المُحَمدَّي العراقابي محمد عبد الرحمن ود الحسين العراقي سنة ١٣٠٦هـ عام المجاعة المشهور إبّان المهدية. هاجر إلى كوستي بعد أن حفظ القرآن بود الزاكي وأسس خلوته بالحلة القديمة التي خرّبها البحر قرب الملجة الحالية وأشهر خريجيها الشيخ عبد العزيز العراقي والشيخ حبيب عبد الرحمن والنور فرح وكثير غيرهم.. ذكر ذلك الدكتور شلقامي في كتابه كوستي القصة

---

(١) كتاب الشريف محمد خير عن العراقاب في مرحلة الجمع، ص ١٧ و ١٨.

(٢) الشريف محمد خير – مخطوط العراقاب ص ١٩.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة .

والتاريخ[١].. كانت هنالك خلوة للعراقاب المحمدية بقرية كرمل جنوب تندلتي على الجانب الغربي من خور أبو حبل وهذا المكان في فصل الخريف يحكي جمال الطبيعة في أبهى صورها، الماء والخضرة والطيور فكأنما يعنيها شعر العباسي عن مليط:

حياك مليط صوب العارض الغادي وجاد واديك ذا الجنات من وادي

فكم جلوت لنا منظر عجب يشجي الخلى ويروي غلة الصادي

زار الباحث كرمل في الخريف فكانت هكذا تحكي جمال الخريف الواكف على أرض الكرامة والجمال من البلاد.. الخلوة فيها أسسها الخليفة احمد بن الخليفة عثمان بن الخليفة احمد ود الفكي محمد ود الزاكي ولكنها الآن أصبحت أثراً بعد عين[٢].

الجزيرة:

أما في الجزيرة فنشاط هذه الأسرة المحمدية العراقية يقتصر على مكانٍ واحد بالتقريب هو الكُمُر الجعليين غرب مدني أسس فيها الخلوة الحافظ المتقن للقرآن الشيخ حاج البشير محمد صالح العراقي الذي نشأ في وادي بشارة بريفي ود حامد هو والشيخ محمد ود مشو من تلاميذ الشيخ احمد الهدي الذي استشهد في معكرة القيقرة إبّان حصار المهدي للخرطوم ولغردون في قصره فرجع حاج البشير وود مشو إلى ود حامد للقيام برعاية أبناء الشهيد- العباس والقطبي والشريف وبعدها انتقل الشيخ حاج البشير إلى قرية الحجاج ريفي سنار حيث أقام حيناً من الزمن يدرس القرآن ويكتب المصاحف ويعمل مع طلابه بالزراعة ثم انتقل راجعاً إلى قرية الكُمُر الجعليين غرب مدني واستقر بها فأسس مسيده وأوقد نار القرآن.. خلفه من بعده ابنه الشيخ عوض الكريم مؤدياً رسالة المسيد ثم ابنه الشيخ فضل الله والخليفة الآن هو الشيخ البشير وخلوتهم اليوم تضم ستين طالباً وقد تخرج منها الكثير من الطلاب والمشايخ[٣].

كردفان:

وفي كردفان تزدهر مسيرة الشيخ العالم حاج محمد ود الزاكي التيجانيُّ طريقةً بخلاف أهله والمحمديُّ قبيلةً وعقيدةً والعراقي بيتاً وفرعاً والشريفي نسباً واصلاً ومحتداً-

---

(١) الشريف محمد خير – مخطوط العراقاب ص ٢٠.

(٢) الشريف، مخطوط، ص ١٩.

(٣) الشريف، مخطوط ص ٢٠.

أصلح الله منا الأعمال وتقبلها- فهذا الشريف ينتمي إلى دوحة النبوة عن طريق أبي القاسم العراقي بن بطران مروراً بمحمدٍ السائح أول القادمين من العراق في العام ١٤٢٣م وصولاً إلى القاسم بن إسحاق بن موسى الكاظم وآباءه الكرام من قبل.. نشأ الحاج محمد في منطقة وادي بشارة بريفي ود حامد وحفظ القرآن ودرس العلم على يد والده الشيخ محمد خير الزاكي ومن مشايخه في العلم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي والشيخ محمد ود دوليب وأما الطريق التيجاني فقد أخذه من الشيخ محمد سعيد الفُلاّني الذي قدم من غرب أفريقيا إلى خُرْس وقد أمر الشيخ ود دوليب أبناءه أن يأخذوا الطريق من الشيخ ود الزاكي فأخذ عنه الشيخ الدرديري ومن بعده الخليفة جعفر.. له من أبناء ظهره الحُفاظ أثنا عشر رجلاً وأربع بنات من أربع نسوة[١].

لقاءه مع الإمام المهدي بالأبيض:

استدعى الإمام المهدي الشيخ ود الزاكي إلى الأبيض وطلب مبايعته والإيمان بالمهدية فاشترط ود الزاكي عندئذٍ مبايعته كمصلح ديني لإقامة الشريعة بما يرضي الله ورسوله لا على أنه المهدي المنتظر الذي يظهر في آخر الزمان بالأراضي المقدسة وقدم له مع ذلك النصيحة والموعظة ثم قال له أن لَحِقنِي من أتباعك سوءٌ عندها سأعتبر ذلك كلمة حقٍ عند سلطانٍ جائر[٢].

(والشيخ محمد الزاكي من أقارب ود الزاكي المدفون على البحر الأبيض) قيل أنه كتب إلى المهدي يصرح له في الأمور التي خالف بها الشريعة واحدة واحدة وقال له: (أني أكتب هذا إليك لمجرد النصح فأملي أن تعمل وتخفيه عن أصحابك لأنهم لو علموا به لقتلوني جهلاً فإن أخفيته وحفظت هذه النصائح فأنت جديرٌ بذلك وإن لم تخفه ولحقني شرٌ بسببه فأعده كلمة حقٍ عند ملك جائر). فأخفاه المهدي عن أصحابه ولكن أباح به ود الزاكي لبعض أخصائه [٣].

مشايخ أخذوا الطريق على الشيخ ود الزاكي

الطريق التيجاني وبعضهم حفظ عليه القرآن:

---

(١) الشريف محمد خير ، مخطوط ص ٢٠ و٢٢.

(٢) الشريف محمد خير مخطوط ص ٢٥.

(٣) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ط٢، ١٩٧٢م، ص٩٥١.

الشيخ الدرديري بن الشيخ محمد ود دوليب خليفة والده في حاضرة التيجانية خُرس أمره والده بأخذ الطريقة على الشيخ ود الزاكي هو وابنه الخليفة جعفر وقد أخذ عن الشيخ الدرديري أبناء الشيخ ود الزاكي نفسه الشريف الشيخ والشريف عثمان والشريف الهادي بينما أخذ عن الخليفة جعفر أحفاد الشيخ ود الزاكي(١).

شيخ الإسلام محمد البدوي العالم المشهور والمعروف بامدرمان أستاذ السيد عبد الرحمن والسيد علي والشيخ قريب الله والشيخ الجيلي عبد المحمود والشيخ على أدهم والشيخ مدثر الحجاز والشيخ النذير خالد الماحي وأبناء الشيخ ود الزاكي العالم الصديق والشيخ النور وغيرهم وهو جد الداعية الإسلامية سعاد الفاتح أخذ الطريق على الشيخ ود الزاكي.. وكذلك العالم مصطفى الكسيبابي بالعلقة غرب النيل الأبيض.. الشيخ عبد الله ود المراد المجنوني (بالهشابة شمال كردفان).. الشيخ يونس ود الشيخ سليمان المجنوني أخذ الطريق على الشيخ ود الزاكي هو وابنه الشيخ حاج الجزولي ويعتبر الشيخ يونس مجدد خلاوي القفلة التي خرجت الكثير من المشايخ(٢).

الشيخ الشريف الماحي بمنطقة الكُرُمُتة.. الشيخ الرشيد المدني الحرّاني والد الشيخ عبد الرحيم وجد الشيخ المكي صاحب خلاوي الفرجاب المشهورة.. الشيخ عبد الرحمن ود جابر الركابي المدفون بأم بقيلة والشيخ أبو الحسن ود شكرت الله وغيرهم من فقرا الجابراب فقد غدوا تيجانية بعد أن كانوا ختمية.. الشريف الهادي والشريف محمد الأمين الشنقيطي والشيخ بشير ود إبراهيم بمنطقة الجهينة.. والشيخ سليمان صغير محمد دفع الله وغيرهم من وجهاء قرية الدومة(٣).

عُمَد ونُظّار أخذوا عليه الطريق(٤):

الناظر جمعة سهل ناظر عموم المجانين وكان من أهل خاصته وامتدت علاقته من بعده بابنه الشريف الشيخ ود الزاكي (والد حافظ الشيخ) الذي استقر بالمزروب والعمدة الفكي محمد ود سليمان المرزوقي.. كما أخذ الطريق على ابنه الشيخ النور

---

(١) الشريف محمد خير، مخطوطة ص ٢٢ و ٢٣.

(٢) المصدر السابق ص ٢٣.

(٣) كتاب الشريف محمد خير تحت الإعداد ص ٢٣ وجل المعلومات عن العراقاب الواردة في هذا البحث مصدرها مخطوطات الشريف

(٤) الشريف، ص ٢٤.

الزاكي العمدة عبد الماجد عمدة المرامرة بالحرازة والناظر بشرى ود تمساح والعمدة ضو البيت ود المراد والعمدة الحسن ود تميم الدار بمنطقة يسن المساعداب بأم روابة والعمدة خليل محمد الفكي سليمان والعمدة عمر ود طه بود سرور والعمدة عمر محمود من الحرانية والعمدة الخليفة محمد آدم.

من أشقاء الحاج محمد ود الزاكي الشيخ محمد صالح ود الزاكي الذي كان ماهراً في الخط وكتابة المصاحف فقد كان يشكل الصفحة ثم يدخل عليها حروف القرآن من بعد.

وكانت له كرامات بعد وفاته ودفنه في مقابر أسلافه إذ كان الناس يرون النور يخرج من قبره ليلاً، حفظ عليه القرآن مشايخ من أهل المنطقة وهو والد الحسين ود محمد صالح مؤسس خلوة أم جر بالنيل ألبيض التي أتينا على ذكرها قبلاً.. وممن مارس واجب الدعوة بكتابة المصاحف وتحفيظ القرآن الفكي ود محمد صالح العراقي بالدومة.

وممن اشتهر من أولاد ود الزاكي الشيخ النور ود الحاج محمد ود الزاكي الذي حفظ القرآن بود الزاكي ودرس الفقه على شيخ الإسلام ود البدوي بامدرمان ثم ذهب إلى قرية الهشابة بكردفان هادياً ومعلماً وكان يُرجع إليه في الفتوى في كل المنطقة ويُستْعان به في المحاكم الشرعية في قضايا الطلاق والميراث وغيرها كما كان مشهوراً بإصلاح ذات البين وله ديوان في مدح الرسول (صلى الله لعيه وسلم).

وفي أم دم حاج احمد أسس الشيخ احمد الشيخ النور خلوته حيث تعلم عليه كثير من وجهاء البلد وكان خطيباً مفوهاً ومناصراً للجبهة الإسلامية منذ إعلانها في مواجهة الأحزاب السياسية الأخرى وله ديوان شعر في مدح المصطفى (عليه الصلاة والسلام).. أكبر أبنائه الشيخ عثمان والصحفي المعروف النور احمد النور الذي كان رئيساً لتحرير جريدة الصحافة أما خليفته في الخلوة فهو الشيخ مجاهد.

أما في ساحات القفلة وود الزاكي وأبو حبيرة: (في عهد الشيخ الجزولي نشطت علوم الفقه والحديث والسيرة بالمسجد حيث كان الشيخ العالم الصديق محمد الزاكي تلميذ شيخ الإسلام محمد ود البدوي هو أستاذ ومرشد هذه الحركة المباركة لا سيما أنه

صاهر الشيخ الجزولي واستقر بالقفلة متفرغاً للعلم والمعرفة) [1]. أكبر أبنائه الشيخ الزاكي بن العالم الصديق الذي التحق بمعهد امدرمان العلمي بعد حفظه القرآن ثم التحق بالأزهر حيث تبحر في علوم العربية وهو شاعرٌ فصيح.

من أبناء الشيخ الحاج محمد ود الزاكي:

الشريف الشيخ (محمد الأمين): كان عالماً وفقيهاً فَعَلَّم وأرشد في منطقة المزروب وكانت له دروس شهرية بسودري وغيرها.. استقر أول الأمر بأم روابة فعلم وأفتى في المسائل الشرعية حيث تولى القضاء الشرعي ثم ارتحل إلى منطقة المزروب بدعوة مُلِّحة من الناظر جمعة سهل فقد أورد الدكتور الغالي في كتابه عن قبيلة المجانين الآتي: (في عام ١٩٣٩م ذهب الشيخ جمعة سهل إلى أم روابة حيث كان يقيم الشيخ محمد الأمين محمد الزاكي والذي كان عالماً من أعلام الفقه والدين إذ ذاك وكان قاضي المحكمة الشرعية بأم روابة فطلب منه الشيخ جمعة سهل الذهاب معه إلى المزروب لنشر العلم هناك ولحوجة القبيلة لعالم فقيه حيث كانوا أهل قرآن ويحتاجون إلى العلم الشرعي فوافق الشيخ محمد الأمين محمد الزاكي وحضر إلى المزروب وأقام بالدكة حيث يقيم الشيخ جمعة سهل وزوجه الشيخ جمعة سهل إحدى بناته) [2]: (وبعدها انتقل الشيخ محمد الأمين محمد الزاكي من الدكة إلى سوق المزروب حيث بنى الجامع الكبير وكان الشيخ محمد الأمين محمد الزاكي هو إمامه الذي يُدَرِس فيه علوم الدين الإسلامي في الحلقات التي كان يؤمها الكثير من طالبي علوم الدين ويصلي بالناس الصلوات الخمس والجمعة وصلاة العيدين حيث يأتي إليها الناس من كل مكان) [3]. وهو والد مولانا حافظ الشيخ الزاكي وأخيه الطيب الشيخ بالأبيض وهو ممن اشتهروا بالكرم والسماحة فبيته قِبْلة للطلاب والعابرين والمرضى وأخوهم الأكبر هو العالم الحاج محمد الزاكي الذي تفرغ للدعوة والإرشاد بمنطقة المزروب ولهم إخوان من البنين والبنات فقد كان والدهم معدداً. (وأدى هو وأسرته دوراً إسلامياً ورسالياً مقدراً وكان همه الرئيسي هو نشر العلم والفقه ولا زال حفيده الحاج الزاكي إمام المسجد

---

(١) د. الغالي الحاج محمد سليمان، المجانين الهوية والتراث، ص٦٥.

(٢) د. الغالي الحاج محمد سليمان، المجانين الهوية والتراث، ص٨٣.

(٣) المصدر السابق، ص٨٥.

الكبير يؤدي ذات المهمة وهو الشقيق الأكبر للأستاذ حافظ الزاكي ولهم بني عمومة بأم دم بمحافظة أم روابة وعلى رأسهم الشيخ احمد النور الزاكي ويؤدون نفس المهمة) [١].

ومن أبناء الحاج ود الزاكي[٢]:

الشريف عثمان محمد الزاكي: الحافظ المجود وقيل عنه أنه كان يحمل مزماراً من مزامير آل داؤود فقد كان يبدأ القراءة بعد صلاة العشاء ويختم قبل الفجر وكان متواضعاً ينام على الأرض وينفق ما في جيبه كرماً وجوداً وسخاءً على ضيوف المسيد مترنماً ببيت الشعر هذا:

مَا مَضَى فَاتَ والمُؤَمَّل غيب   وَلَكَ الساعةُ التِي أنْتَ فِيها

حفظ على يديه الفكي ميرغني ود الفكي عبد الرحمن المرزوقي (المحيريبا) والفكي محمود ود البشير ود احمد (كركداية) والفكي محمود النور (أم بركات) وآخرون كثر بالمنطقة حول القفلة حيث تقيم أسرته بعد انتقالها من ود الزاكي حيث حفظ القرآن.

أما الشريف الهادي حاج محمد الزاكي: فدربه نفس الدرب وهو صديق للشيخ عبدالرحيم البرعي وبينهما مطارحات ومساجلات ومباريات في الشعر وفي المديح منه قول الشريف الهادي:

لي سيد طيبة طيب الفرع   *** ليمتين يا الخليفة البرعي

فيرد عليه البرعي:

أحرقني الغرام كالجمر *** فيدني يا الشريف في الأمر

وقد لفت نظرالباحث أن نفس الوزن والجُرس والموضوع كان يسمعها مِدحة كان يرددها والده محمد إدريس حجاز وهو يقوم بالزراعة والباحث يسعى خلفه بالتيراب فكان ينشد ما رسخ في مسمعه مما ألف الشيخ حياتي:

مرمى الغرام يا الهندي   **   فيدني يا الشريف إن عندي

فلربما اقتبس البرعي شطرتي بيته من مِدحة الشيخ حياتي هذه وذلك جائز في عالم الشعر.

---

(١) صديق البادي، القبائل السودانية والتمازج القومي، ص١٢٤.

(٢) الشريف محمد خير، مخطوطة ص ٢٥ و ٢٦.

وفي ركن قصي هو ديار الكبابيش أسس الشيخ محمد عثمان الفكي احمد ود الزاكي الخلوة للتعليم بحمرة الشيخ حيث حضر الشيخ على ود التوم ناظر الكبابيش إلى ود الزاكي بالنيل الأبيض وطلب من الشيخ ود الزاكي أن يرسل معهم من يعلمهم ويدرسهم القرآن فانتدب لهذه المهمة ابن أخيه أعلاه وكان صغيراً في سنِّه فأكرمه الناظر وسهل له المهمة وتم بناء المسيد بالمواد الأولية حيث العرب في بيوت الشَعَر فتعلم بالخلوة كثير من أبناء الكبابيش وعلى رأسهم أبناء الناظر على التوم وهم التوم على التوم ومحمد علي التوم (المر) وكذلك أبناء الرواحلة فرع من الكبابيش أمثال الشيخ محمد ود سالم وعثمان ود سالم وبلل ود صالح وعلي ود احمد ود علي.

استقر الشيخ محمد عثمان بحمرة الشيخ إلى أن توفي بها تاركاً خلفه ذخيرة من حفظة القرآن من أبناء الكبابيش– تقبل الله منه ومنهم(١)...

هذا أثرٌ من آثار قبيلة المحمدية الممتدة وآل ود الزاكي إنما هم أسرة منها يؤدون رسالة أبيهم الأول القادم للسودان في العام ١٤٢٣م الشريف محمد السائح (جدير بالذكر أن جُلّ المعلومات عن أسرة العراقاب المحمدية مأخوذة إما شفاهة أو كتابة من الأخ الشريف محمد خير الزاكي أو من واقع الزيارة لبعض أطراف القبيلة في أماكنهم لأخذ المعلومات من مظانها وهناك معلومات موروثة أصلاً).

وإلى أماكن أخرى أدت فيها بُيُوتَاتٌ من القبيلة المهمة السابقة.. ويتواصل المسِير إلى مناطق غرب سنار لِنَشْتَم عَبَقَ الذِكْرِ والذَاكِرِيْن هناك من نفح الشيخ المحمدي الضخم كَرَامةً وصلاحاً وشهرةً والمرءِ بما يقول الناس فيه وكذلك أبناؤه من بعده ألا وهو الشيخ محمد ود رحمة.

الشيخ محمد ود رحمة.

هذا الشيخ يُعد مدرسة لوحده تناول الدعوة إلى الله بفنٍ آخر فقد فتح الله عليه باباً للإرشاد والدعوة من خلال القصيد والكلمة المموسقة التي تدغدغ مشاعر المسلم فتسوقه من مهاوي الضلال وحلك الظلام إلى نور الهداية والرشد وإلى شمس الحقيقة. وكل ذلك بعد اتصاله بالشيخ العارف بالله عبد الباقي المكاشفي ليصبح معه ثاني اثنين في الطريقة القادرية المكاشفية. والمكاشفي لا يضع في مكان ود رحمة شخصاً آخر

---

(١) كتاب الشريف محمد خير تحت الإعداد ص ٣١.

مهما كانت صلة قرابته به أو مكانته في الطريقة والرجل رغم أميته فقد اتى بما هو عجب من دُرَر اللغة وبدائع الكَلِم وصُوَر البلاغة بل وكرامات الواصلين والمُقربين والقوس الان في يد حفيده وحفيد ابنه الشيخ يونس وهو احمد حاج محمد يُحدث الناسَ عن جده في مخطوطه صَيِّب الرحمة من ديوان الشيخ محمد ود رحمة فيقول بعد توحيد الله سبحانه وتعالى والصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم): (إن لله سبحانه وتعالى رجالٌ ذهبت أجسادهم وبقيت آثارهم تدل على فضلهم ومكانتهم عند الله وتدل السائرين على حسن السلوك وإن من أَجَلِّ هؤلاء الشيخ محمد رحمة تلميذ الأستاذ مربي السالكين وملجأ القاصدين الشيخ عبد الباقي المكاشفي) [١].

ولقد ترك لنا الشيخ محمد رحمة ديواناً حافلاً بقصائد الإرشاد والتربية والسلوك. لقد وضحت هذه القصائد الجليلة مناقب الشيخ عبد الباقي المكاشفي وذكرت فضائل القوم أهل الله وبينت كيفية السلوك إلى الله مرشدة إلى الأعمال التي تقرب عنده زلفى. وهي بذلك رسمت منهجاً واضحاً تربى عليه الكثير من الرجال ولا زال مجاله واسعاً تركض فيه خيول السالكين إلى الله الملك ذي القوة المتين.

ولهذه القصائد مكانة خاصة ومرموقة عند أهل الطريقة القادرية المكاشفية يحيون بها لياليهم ويعمرون بها حلقات ذكرهم وتزدان بها مجالسهم وتطرب لها أرواحهم ويجدون فيها أذواق ومواجد يدركها من نازلها. [٢]

الشيخ محمد بن رحمة :

نسبه:

هو محمد بن رحمة بن علي بن حامد بن رحمة بن محمد بن عيسى بن إسماعيل بن محمد بن حمد بن محمد بن حسب الوالي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عوض الكريم بن موسى بن السيد محمد بن السيد إبراهيم بن السيد محمد بن السيد الحاج عبد الله بن السيد الحاج احمد بن السيد عبد العزيز بن السيد محمود بن السيد محمد السائح بن السيد عبد الله بن السيد زين العابدين بن السيد حامد بن السيد يوسف

---

(١) أحمد حاج محمد الشيخ يونس الشيخ محمد رحمة مخطوط – صيب الرحمة من ديوان الشيخ محمد ود رحمة، ص ١ غير منشور.

(٢) أحمد حاج محمد صيب الرحمة ص ١.

بن السيد محمد بن السيد عبد الوهاب بن السيد الحاج موسى بن السيد عبد الرحيم بن السيد القنديل بن السيد حمد بن السيد القاسم بن اسحق بن موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد علي زين العابدين بن السيد الحسين بن السيد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه(١). (أُنظر وثيقة رقم (٢) ص ١٩٤)

فهو سليل الدوحة النبوية وهكذا تجد دائماً أن أصحاب الولاية الكبرى هم متحققون بالنسب النبوي.. نسباً بالدم أو بالدين كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم) عن سلمان الفارسي: (سلمان منا آل البيت وسلمان هذا من الأربعة الذين اشتاقت لهم الجنة هو وعلي بن أبي طالب وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود) (٢). أما من يعادي أهل البيت ويطعن فيهم فهو بعيد عن ولاية الله (الكلام ما زال لحفيد الشيخ ود رحمة في مخطوطه – صيب الرحمة من ديوان الشيخ محمد رحمة).

من القبائل السودانية ينتمي الشيخ محمد ود رحمة إلى قبيلة المحمدية. وممن اشتهر من الأسرة بالصلاح بطران وعبد الرسول بمنطقة ود الكريل وطريقتهم سَمَّانِية وكان والد الشيخ محمد ود رحمة ممن أخذ الطريق القادري على الشيخ عبد الباقي أبو الشول.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ محمد رحمة بمنطقة فرع الشيخ الكباشي في حدود عام ١٨٧٥م ونشأ أمياً لم يدرس إلا في مدرسة تربية المكاشفي كما يقول ابنه الشيخ الجيلي– الخليفة الآن– وكان يعمل بالرعي حتى جاء وقت قسمته فجاء وأخذ الطريق عند الشيخ عبد الباقي المكاشفي(٣) .

قصة سلوكه طريق القوم:

(حدثنا الشيخ الجيلي محمد رحمة عن الشيخ ود رابح وهو من تلاميذ الشيخ المكاشفي أن الشيخ محمد رحمة جاء إلى المكاشفي يطلب منه طريق القوم قائلاً له: (أعطني الطريق القوي) فأمر الشيخ على ود رابح أن يذهب به إلى الخلوة ثم يحضره عند الطلب وبعد ثلاثة أيام أمره أن يحضره فاستحى قائلاً مرت ثلاثة أيام وأنا لم أذهب

---

(١) المصدر السابق ص ٢.

(٢) أبو حامد الغزالي، مكاشفة القلوب، تقديم: احمد حجازي السقا، ط١، بيروت، ١٩٩١، ص٤٨٨.

(٣) أحمد حاج محمد صيب الرحمة ص ٣.

إليه بماءٍ ولا طعام فقال له الشيخ أنه صادق وانك ستجده وبالفعل أخبره بأوامر الشيخ فأتي وقال له في تكرار: أعطني الطريق القوي فأعطاه الشيخ الطريق ثم قال للشيخ علي ود رابح قدِّم أخاك ليذهب إلى أهله في الصعيد- أي أصحبه إلى خارج القرية- وكانت المنطقة مليئة بالذئاب- قال الشيخ علي في نفسه ما أراد الشيخ إلا إهلاكه. قال فخرجت معه أقدمه وهو يسألني عن كرامات الشيخ المكاشفي حتى إذا ما غربت الشمس استأذنته في العودة وأنا أسمع صوت الذئاب فودعني ثم ركب أحدها وأنا أنظر)[1].

سلوكه واجتهاده في الطريق:

(لقد جاهد الشيخ محمد رحمة في ذات الله حق الجهاد فقضى فترة من الزمن سائحاً في الخلاء كسلوك آبائه من لدن الشريف محمد السائح وإليه ثم دخل الغار المعروف به اليوم في جبل سقدي وقضى به فترة من الزمن حتى أمره الشيخ المكاشفي بالخروج منه ولا تزال آثار منه في ذلك الغار)[2].

ثناء الشيخ المكاشفي عليه:

(أثنى الشيخ المكاشفي عليه بعبارات فائقة ليدل على مكانته فمن ذلك أن تلاميذ الشيخ جعلوا يذكرون مريدي الشيخ فلما ذكروا ود رحمة التفت إليهم الشيخ قائلا: (إن كان الله قد أعطاني مريداً فهو ود رحمة.. وإن كانوا جماعة فأولهم ود رحمة وإني رأسته عليهم لأنه مُرْشِد).. ومما قاله المكاشفي أنا وود رحمة كأصبع واحد لا ينقسم ورفع سبابته وقال أيضاً ما ناله ود رحمة يعرفه في الكون ثلاثة أنا واحدٌ منهم. وخلاصة القول أن الشيخ ود رحمة هو واحدٌ من الذين ظهر فيهم كمال الشيخ عبد الباقي المكاشفي وعظمة تربيته- نفعنا الله بهم جميعاً)[3].

الشيخ محمد ود رحمة أخ مرشد:

عُرف الشيخ محمد ود رحمة عند أهل الطريقة المكاشفية بمحبته لإخوانه السالكين وله في ذلك قصائد سنعرض لشيء منها في مكانه.. وكان يكرم من يزوره من إخوانه ليس بزاد الدنيا وإنما بما ينفعه في دنياه وآخرته.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أحمد حاج محمد صبيب الرحمة ص ٣.

(٣) المصدر السابق ص ٣.

وصاياه[١]:

[سُئل ابنه الشيخ الجيلي عن وصاياه فأجاب على الفور وهل هناك وصية غير ذكر الله؟ وصدق فيما قال. فإن من وصى بالذكر وصى بجميع شرائع الإسلام لأن الذكر هو الشعيرة الجامعة لشرائع الإسلام، فقد روي الترمذي عن عبد الله بن بسر (رضي الله عنه) أن رجلاً قال: (يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتثبث به، قال: لا يزال لسانك رطباً بذكر الله)].

فائدة:

(سأله أحد أبنائه فيما بلغنا عن عمل يوصل إلى الله تعالى فقال عليك بعدد السبعين، قال لا استطيع قال فبعدد الخمسة وثلاثين قال لا استطيع قال فبعدد الإثني عشر قال لا استطيع قال فإذا أردت النوم فقل بنفس واحد ثلاث مرات لا إله إلا الله محمد رسول الله فإن روحك تبيت عند العرش.. وكان يُعَلِّم أخوانه هذا التحصين ذاكراً أن من قاله لا يتصرف فيه غوث الزمن وهو أن تقول صباحاً ومساءًا إحدى عشر مرة[٢]:

أحجبني يا حاجب من كل عدو غالب

النفس والشيطان والحاسد الإنسان)

أسرته:

(تزوج سبع نساء، أنجب من ثلاث منهن وله من البنين: يونس واحمد المكاشفي والطيب وعبد المحمود وعبد الباقي والجيلي خلفه منهم يونس وعبد المحمود والآن الجيلي وله من البنات: آمنة وعائشة والعافية ودار السلام. تبقى منهم الجيلي والعافية فقط. وانتقل الشيخ محمد رحمة إلى الرفيق الأعلى في العام ١٩٦١م بعد المكاشفي بستة عشر شهراً عن عمر ناهز السادسة والثمانين عاماً)[٣].

أثره في مجال الدعوة:

عصره هو عصر المكاشفي وكان عصر تجليات ومشاهدات وقرب[٤].

(١) المصدر السابق، ص ٦.

(٢) أحمد حاج محمد، صيب الرحمن ص ٧.

(٣) أحمد حاج محمد صيب الرحمن ص ٧.

(٤) معلومة جمعها أحمد عبدالمحمود محمد رحمة.

وكان من أخذ الطريق على المكاشفي إرشاده عند ود رحمة بإذن من المكاشفي وهم كثر.. وهنالك من شَيَّخَهُم وأرشدهم ود رحمة مباشرةً لا عن طريق المكاشفي ولهم خلاواهم وحلقات ذكرهم منهم[١]:

جدول يوضح المشايخ الذين شيخهم ود رحمة:

الاسم	القبيلة	المنطقة
الشيخ النور صالح	ركابي	من زهيوة قرب الكوة
الشيخ عبد الهادي	محمدي محمودابي	الرانجوك
الشيخ علي محمد نعيمة	كناني	النهود
الشيخ احمد مكين	عركي	العركيين- غرب سنار
الشيخ احمد ابو شنب	كاهلي	بقادي – الجزيرة
الشيخ حسب الرسول محمد خالد	محمدي	سقدي
الشيخ احمد جامع	حساني	الحسانية- امتداد المناقل
الشيخ إبراهيم احمد	حساني	الحسانية- امتداد المناقل
الشيخ علي ود عبود	حساني	الحسانية- امتداد المناقل
الشيخ بابكر إبراهيم	محمدي حاجابي	قرب الشوال
الفكي إبراهيم ود عيسى	ركابي	المندرة ود عبد الصادق شرق سنار
الفكي ادم	من غرب السودان	شيخ قرآن ابو آمنة المحمدية
علي ود سليمان		خلاوي بابنوسة
وولده الصادق علي سليمان		خلاوي بابنوسة
خلوة جبل موية		جبل موية

مسيد ود رحمة به ثلاث تكايا واحدة للشيخ يونس والأخرى للشيخ عبد المحمود والثالثة للشيخ الجيلي والتكية هي مكان مفتوح للأكل والشرب[١].

(١) معلومة جمعها أحمد عبدالمحمود محمد رحمة.

نماذج مقتطفة من الكلمة الشاعرة عند ود رحمة:

ورد في الأثر إن من البيان لسحرا وأُثر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قوله لشاعره حسان بن ثابت في الرد على كفار قريش أُهْجُهُم وروح القدس معك وقوله أن شعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة أشد عليهم من نضح النبل وكان يحب الاستماع للشاعرة تُماضِر الخنساء فيقول لها/ هِيهِ يا خُنَاس، وقد أكرم كعب بن زهير بأن خلع عليه بردته (صلى الله عليه وسلم) وأمَّنَه بعد أن أهدر دمه لقصيدته بانت سعاد اعتذاراً ومدحاً للنبي الكريم (صلى الله عليه وسلم)، ومنها:

إن الرسول لنور يُسْتَضَاءُ به   مهندٌ من سيوف الله مسلول

وقد أتيت رسول الله معتذراً   والعذر عند رسول الله مقبول

أما قصيد ود رحمة فإنه ميراثُ صدقٍ حيث رُوي عنه أنه أقسم أنه لم يذكر في قصائده إلا ما رأته عيناه، وهذا شأن الصادقين فإنهم لا يغالون في مشايخهم على حساب الحقيقة. وللشيخ عبد الباقي المكاشفي عبارات فائقة في مديح ود رحمة فمن ذلك أنه قال: لا يُقال ود رحمة قصّد ولكن يُقال عنده علم الطريق[٢].

ألّف ود رحمة قصائده بعامية هي أقرب إلى الفصحى، فقد كان أمياً في بيئةٍ أُميَة ولكنها تعي ما يقول وهناك بعض الكلمات لا يدرك معناها كل الناس ولكن يدركها أهل المجاهدة والتجلي من أهل القُرب والمُشاهدة.. والقصائد لا تخرج عن ذكر مناقب الشيخ عبد الباقي المكاشفي وفضائل القوم أهل الله وسلوك الطريق والحث على الذكر وتوحيد الدائم والصلاة على الحبيب (صلى الله عليه وسلم).

النموذج الأول: عقلي البنوح كل يوم لمربي الروح يا قوم[٣]

مولاي يا خالق الروح ثبت عقلي لا يروح

المكاشفى الريحو يفوح انوارو علينا تلوح

المكاشفى لى ربَى جبد الساردين عَبّى

---

(١) معلومة مصدرها أحمد عبدالمحمود محمد رحمة.

(٢) أحمد حاج محمد الشيخ محمد رحمة – مخطوط صيب الرحمة من ديوان الشيخ محمد رحمة ص ٨ غير مطبوع.

(٣) المصدر السابق ص ١٣.

تلميذو اليوت حبَا لحضرة المنبَا ﷺ

المكاشفى ربَانى روحى وروح أخوانى

نموذج ثاني: كشيفنا وسيلتنا بهجتنا وذخيرتنا إلى الله [١]

الله يا ماحي سيتنا تنجض في عقيدتنا

نوفي شروط طريقتنا الكلمة تزيد محبتنا

ثنيت بي وسيلتنا شفيعنا يوم زعجتنا (أي يوم القيامة)

نبينا الكاشف غمتنا مولاي تزيد في قربتنا

عموم الدولة دولتنا دروع الحالة لبستنا

على الاحكام حكومتنا أمينة وسيلة طريقتنا

شرابنا خمر في سكرتنا رطانة عجيبة لغوتنا (أي سكرهم هو ذكرهم)

تكون محمودة خصلتنا نمشي التقوى موننتا

نموذج ثالث: فرد القطوب كشيف يسوق أهل الغيوب المربحا[٢]

فى جزاير الواق سمك تمك الجرمه ضراع (يقال أن الاسم القديم لليابان هو جزر الواك واك ورد ذلك في محاضرة قدمها د. عزام التميمي رئيس مجلس قناة الحوار بلندن).

خت القدم أمشى الوساع شوف طين قفارو الما انزرع

من غير غلط لمَّ الحصاد والكون ثبت

أحيا الطريق قّلّعْ نكت شوف فن نقيبتو الما احتوت

فى الكون ندر دارس العلوم الما انقدر

راكب النجيب قط ما فدر كالبرق محيط حل من وكر

سدل الجدار فى المحكيات لككاً كبار (أي حل مشاكل عويصة)

الحدره التكب ذوق الثمار من دنها طلعن بحار

وارد البحر شوف جنينتو الما شجر

---

(١) أحمد حاج محمد مخطوط صيب الرحمة من ديوان الشيخ محمد رحمة ص ١٦-١٧.

(٢) من إملاء أحمد عبدالمحمود الشيخ محمد رحمة.

شالت النبات حالى الثمر علب الحكم هواتف الخبر

صل يا صمد على الكفه للنار خمد

ود رحمة يفوز يلقى المدد بيشيخه البيه السند

(١) نموذج القوم بِتصُرف:

يا مريد للقوم لا تجافي تشرب لذيذاً صافي

أذكر الكافي واتبع قول العراف

القوم بالنظرة تعافي وتبصر الروح شوافي

المابي أهل الله عليه غضب الله

مطرود من شفاعة الله ومحروق بي نار الله

الصلاة والسلام تعنى النبوة ختام

ود رحمة ينيل مقام نجوة الإسلام

......

(٢) يا منادي نادي فحول القوم [١]

ديل الغنو في الله قط ما ونو

ديل الشرعيين ما انحنو شهود إلاهم دنو

ديل العرفو الاصل نوراً لا ينفصل

ديل الحرفهم وصل ليهم الشئون تنسل (عربية فصحى تعني العيوب)

صل لأبنوراً ضوى عد الغيث والنوى ﷺ

تحفظنا من هوى يوم المحشر سوا.. آمين

(٣) القوم[٢]

يا راغب القوم شد حيلك

صداقة وحب قيم ليلك

في الدنيا اترك تأميلك

تهليل نزه لجليلك

---

(١) من حفظ وإملاء أحمد عبدالمحمود الشيخ محمد رحمة

(٢) من حفظ وإملاء أحمد عبدالمحمود الشيخ محمد رحمة مع آخرين

رحماتو يوتا صيلك

حَمَّر حمر قام نيلك

كمل جهدك سويه

ذكر الإله واليه

الواحد لا تشرك ليه

ايمانك فيه قويه

.....

(٤) أبو الهُمَّال الجيلي قوس الكمال الجيلي[١]:

ما ليك مثال سير كمال	الحضرة أم جلال زايدها جمال
من الوُلود وفيّ العهود	صام الفروض قولاً مسنود
نطقك ثواب سنة وكتاب	لا فيل لا ذباب من جسمك هاب
طرقك أمان في كل مكان	الانس والجان تبعوك سلطان
وَرَّد ألوف بحر المكفوف	خلاها تشوف من غير حروف
اسلم كفار لبسها انوار	حين المغار شيلها أسرار
مثلك وين في القبلتين	من المُعِينْ تِبْعوا لتقلين
ربك دانيك برضاه عليك	ناموس نبيك التيجان بيك
ود رحمة عشمان فوق أهل	الشان من شر إنس والجان يرقد أمان
صل يا رحمن لعظيم الشان	تعباً كل آن تمحالنا الران

الدعاة المحمدية بالنيل الأبيض:

أما في وسط السودان على امتداد النيل الأبيض فقد سبق الحديث في مقام الدعوة عن الأب الأول لقبيلة المحمدية الشريف محمد السائح المدفون بجبل الأولياء ومن الأحفاد الشريف عوض الله وعن ابنيه بطران وعبد الرسول ومن أحفاد بطران تحدثنا عن الشيخ محمد ود الزاكي مؤسس قرية ومسيد ود الزاكي وعن أفراد أسرته الدعاة في الدويم وكوستي وأم جر وكرمل من فجاج النيل الأبيض، ومتابعة لسيرة الدعاة المحمدية في النيل الأبيض نجد الشيخ أبو الدخيرة في ديار الْصَبَحَة حول الجبلين والدخيرة اسم ابنته المشهور بها واسمه الشيخ مصطفى الماحي- خلفه ابنه الماحي مصطفى. حفظ القرآن عند الشيخ ود الزاكي بود الزاكي وعاش مع الْصَبَحَة كواحدٍ منهم وتزوج منهم وأقام معهم يعلمهم أمور دينهم، و الْصَبَحَة هي قبيلة مقرها منطقة الجبلين بالنيل الأبيض جنوب كنانة قيلً أنه أصلاً من قبيلة عربية تسمى خزام ولكنه عاش مع قبيلة الصبحة التابعة لدار محارب كأنه منهم. وللشيخ مسجد وخلاوي قرآن وتكايا للوافدين وقد اتصل بالثورة المهدية محارباً في سبيل الله ولكن اتجاهه الصوفي هو الطريقة السمانية قطاع الشيخ برير ود الحسين قبل بيعة المهدي وابنه

---

(١) من حفظ وإملاء أحمد عبدالمحمود الشيخ محمد رحمة وآخرين

الشيخ الماحي مصطفى هو الخليفة الآن ويشرف على كل مرافقهم الدينية وتلاميذهم.. ومنطقتهم أبو الدخيرة تقع جنوب الحديب قليلاً في طريق الجبلين ولهم أعداد كبيرة من الأتباع [١]. ويؤكد الشيخ الوسيلة أن أبو الدخيرة من أبناء سُلَيك ولد بطران فهو شريفي حسيني من قبيلة المحمدية والدخيرة ابنته تزوجها بلة ود الحسين من أبناء عمومتها المحمدية السماعاب وأنجب منها ابنه مصطفى الموصوف بالورع. وقريباً منهم بالمزموم نجد شرّاب السم وهو بطران بن رايس بن سليك بن بطران أي ابن عم أبو الدخيرة وله قبة ومزار بالمزموم ومن أبنائه البصري والسائح وغيرهم [٢].

من مشاهير الشيوخ الدعاة المحمدية في الصعيد عبودي النصيح.. الذي أُشتهر بعبودي جبل اللقمة وعبودي النصيح أما نسبه فهو عبودي بن محمد بن سليمان بن عبد النبي بن احمد بن عمر بن عبد الله الأحمر ابن موسى بن عبيد الله بن محمد بن حسب الوالي بن محمد السائح الشريفي الحسيني. توفي عام ١٨٢١م وأبناء الفكي عبودي هم: موسى، عبد الحفيظ، بطران، إبراهيم مسلمي، فكي محمد [٣]. يقول الوسيلة في ارجوزته: وموسى وعبد الله الأحمر ابنه عبودي جبل اللقمة الموقر.

أورد التيجاني عامر عن عبد الرسول وبطران قوله: (.. وهما من قبيلة المحمدية سكان المنطقة وثقة الناس في صلاحهما مطلقة ولكن الشيخين لم يتركا آثاراً دينية أخرى كالمساجد والخلاوى) [٤].. والتعليق على ذلك أن عبد الرسول رجلٌ تغلب عليه السياحة أما بطران فقد كان له مسيد وخلوة وحيران وكان يمكن أن يواصل إلاّ انه قُتل غِيلةً وغدراً في صلاة الفجر وهو يؤم الناس، وكان عمره وقتها في السابعة والثمانين[٥] ونجد لهذا الفعل مشابهة في اغتيال أبو لؤلؤة المجوسي لأمير المؤمنين عمر وهو يؤم الناس في الصلاة. وكان يمكن للمحمدية أو يواصلوا جهد بطران وأن تنتشر عندهم الخلاوى والمساجد وأن يكثر بينهم الحفاظ والدارسون ولكنهم جُهِّلوا عن عمد حتى لا يجتمع لديهم شرف العلم والعمل إلى شرف النسب فلا يستطيع من حولهم مجاراتهم، وقد كشفت الرؤيا من خلال هذا البحث كيف قادوا بالعلم مجتمعات أخرى

---

(١) التيجاني عامر، النيل الأبيض قديماً وحديثاً، طبعة أولى ١٩٨٠م، صـ١٠٨.

(٢) الوسيلة قسم السيد، مخطوط الدرر البهية في نسب المحمدية، صـ٢٠.

(٣) المرجع السابق، صـ١٢.

(٤) التيجاني عامر، صـ١٠٦.

(٥) الوسيلة – الدرر البهية ص ١٨.

ولكنهم شُغلوا هنا برد الثأر وبالمدافعة مع القبائل من حولهم من جموعية وعوامرة وغيرهم فهم في حراسة البوابة الشمالية والشرقية لأرض الكواهلة.. وفي تاريخ أمتنا يشبه هذا مع الفارق ما حل بالإسلام جرّاء الحروب الصليبية التي شغلت المسلمين زماناً طويلاً عن مهمتهم الأساسية وقصرت بهم عن فتوحهم العلمية لترثها أوروبا والغرب من بعد فنصبح في مؤخرة ركب الحضارة وتكون لهم الصدارة..

الإضاءات السابقة توضح كيف أينع غرس بطران وعبد الرسول في أماكن أخرى من الوطن وخارج مضارب القبيلة في الشمال والغرب والصعيد والنيل الأبيض والجزيرة حيث لا ثأرات ولا حزازات ولا مدافعات ورغماً عن ذلك نجد بعض ومضات في مضارب الحي مثل:

الفكي أدم بن عمران بن قَدُّورة وأمه المنتهى بنت بطران وهو ممن درس على جده بطران وعلى الشيخ دفع الله المصوبن العركي ونال قسطاً من العلم وعمل به. ومن المشايخ أيضاً جبارة بن موسى الأزرق بن إسماعيل بن محمد بن حمد المدفون جنوب بطران وبه تبدأ الزيارة وتنتهي ببطران يومي السبت والأربعاء، فقد كان يخصصهما الإمام الذهبي لزيارة موسى الكاظم (أنظر ميزان الاعتدال للذهبي) ويعتقد البعض أنهما يومي زيارة الأشراف وبالنسبة للمحمدية هي أيام موروثة من واقع الاعتبار والاعتقاد[١].

ومن أصحاب الخلاوى الشيخ النور إبراهيم حفيد الفكي آدم بن عمران بن قدورة وقد درس في خلوته على سبيل المثال الشيخ إبراهيم إدريس الكريل والشيخ إدريس على خير السيد والشيخ احمد إدريس الكريل وبعد وفاة الشيخ النور أكمل هؤلاء دراستهم على الشيخ الوسيلة ملك الدار من العِزْواب ناس ود جار النبي ومن هؤلاء قام الشيخ إدريس علي خير السيد بتعليم القرآن بالغرب ثم انتقل إلى بلومة ريفي العزازي وبها مات ودفن. ومن المشائخ الشيخ الوسيلة ود الحاج صاحب الصوت الجهور ومن الناطقين بالحق والذي أخذ الطريق السماني على الشيخ علي ابن الأستاذ محمد شريف، وله الآن خليفة هو شمس الدين وكان والده من قبل محمد حسن محمد شريف وشهرته الحاج فوراوي ممن أشاروا على المهدي ونصحه بالذهاب إلى قدير وألا يبدأ الثورة من الخرطوم وحكمته في ذلك أن (البرش كان طووه من نصفه ينكسر)، وعمل

(١) مخطوط عبارة عن معلومات موثقة لدى الوسيلة قسم السيد.

المهدي بالنصيحة وزاره في قرية دُمُر الحاج قرية عبد الرسول وابو حليف واسمها الآن المحمدية وهؤلاء أصلاً أهل نصيحة.. منهم الحاج فوراوي والحاج عبد الرسول والحاج عرقوب. وهذا الأخير سكن مع الفكي عبد الماجد الطيب بقرية عبد الماجد الحالية ريفي سرحان ووجد العرب لا يفهمون شيئاً في الفقه فدرسهم مختصر خليل وتخرج على يديه علماء من فضلية وأم سيالة منهم الفكي الصافي وآخرين.. وكان يراسل الشيخ البرعي ود وقيع الله. توفي ودفن بالغبشان وله هناك مزار. ومن اصحاب الكرامات الشيخ الأمين ابن عوض الله بن علي محمد الكريل وهو الوحيد الذي سمح بدفنه داخل ضريح بطران[١] .

الشيخ رضوان:

هو الشيخ رضوان بن عبد الله النعيسان رافق المهدي في خلوة القرآن على الأستاذ محمد شريف نور الدائم بمنطقة المحمدية [٢]، وكان بينه وبين المهدي جفوة وخلاف مستمر. استقر مع الجديعات في إيد الطويلة وأن الأستاذ محمد شريف عند انتقاله إلى العراديب رأى من عربان تلك الجهات اقبالاً على محمد احمد لم يرَ مثله فساءه ذلك، جداً وأخذ يعمل على الخفض من سطوة محمد احمد فأقام له الشيخ رضوان أحد خلفائه نداً في قوز العَلُّوب غربي أبا وحث العربان على إتّباعه فأنكر محمد احمد على شيخه هذا التحامل والجفاء ووقع النفور بينه وبين الشيخ رضوان، وسرى ذلك إلى تلامذتهما فصار كل فريق يندد بالآخر ويحقد عليه وما زالت أسباب النفور تتزايد حتى وصل الفريقان إلى الضرب والملاكمة وتغلب فريق الشيخ رضوان فهشموا جسم محمد احمد وكسروا يد علي ود حلو فرفع محمد احمد الأمر إلى ناظر الكوة، وكان فيها إذ ذاك رحمة الدويحي فأحضر تلامذة الشيخ رضوان وزجهم في السجن فلما درى محمد شريف بما كان أتى بالشيخ رضوان إلى أبا وحمل محمد احمد على مصالحته وتوسط عند ناظر الكوة فأخرج تلامذة الشيخ رضوان من السجن [٣].

---

(١) الوسيلة قسم السد ، مخطوط عن الدعاة المحمدية ط ٢، ١٩٧٢م، ص ١١٦.

(٢) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ط٢ ١٩٧٢م، صـ١١٦.

(٣) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ط٢ ١٩٧٢م، صد ٦٤١.

وقيل أن الشيخ رضوان هو من أرشد ود رحمة وجَرَّه من حلبة السوط إلى حلقة المديح ولكنه يرجع في كل مرة فلما قدم على المكاشفي قال له المكاشفي وهو صاحب نظر. قال له أنت صالح من زمان منذ أن جرَّك رضوان أي من حلبة السوط إلى حلقة المديح فبكى ود رحمة وتمنى أن لو كان تبع ابن عمه وتتلمذ على يديه منذ ذلك الحين[١].

الشيخ محمد احمد فضل السيد موسى بن عبد الوهاب المشهور بود راعي:

يقول صاحب الأرجوزة: والشيخ محمد ود راعي الذي اشتهر بأنه رفاعي والحقيقة أنه محمدي من السريراب الحجراب وانتماؤه إلى رفاعة إنما جاء من أن والده كان مجهولاً لرفاعة وكان يرعى الغنم ثم تزوج منهم فأنجب ابنه محمد وتركه لأمه فلقب بود راعي وشب على الورع والتقوى والتحق بالشيخ محمد ود الطريفي ودرس ثم عاد إلى منطقة شمال غرب العزازي وكان عابداً زاهداً وذاكراً وعندما حدث القتال بين المحمدية وجهينة انحاز إلى أخواله فهو أصلاً لم ينشأ مع أهل أبيه وعصبته فغضب عليه أهله المحمدية ونادوا بقتله لهذا السبب فانتسب أبناؤه من بعده إلى رفاعة وسلكوا الطريق على الشيخ عبد المحمود ولكنهم في حقيقتهم محمدية سريراب ولكن كما يقولون الإنسان ابن بيئته. لهذا الشيخ مسيده وأتباعه والآن أحفاده يسكنون بالعزازي حي كرار[٢].

فراسة:

وعن فراسة الشيخ عبد القادر من أبناء ود راعي قال له تلميذه وحواره من رفاعة الطاهر ود الخليل: (والله يا شيخ عبد القادر تَبَتَّك. أي نهوضك من الأرض. مثل – أي تشبه ناس ود أبو رقيبة وهم أهله المحمدية السريراب) فضحك شيخ عبد القادر ولم يعترض ومثل ذلك أضحك النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما حضر أحد القافة وهم خبراء وقصاص أثر ووجد زيد بن حارثة وابنه أسامة ينامان متجاورين فنظر الرجل إلى راحتي أسامة وأبوه دون أن يدري من هما فقال هذا من هذا والنبي (صلى الله عليه

---

(١) الوسيلة، مخطوط عن الشيوخ الدعاة المحمدية وفي مقابلة شخصية في ١٦ نوفمبر ٢٠١٣م .

(٢) المصدر السابق.

وسلم) يسمع وينظر فضحك مقراً فراسة الرجل ولا شك أن ذلك أصبح علماً يستفاد منه في كثير من الأشياء وهو من شاكلة البصمة الوراثية[١].

ومن أسرة أبو رقيبة السريرابية المحمدية هذه العالم احمد الذي يسكن الكمر بالقرب من الثانية في نفس المنطقة وهو عالم دَرَس العلوم الدينية ودرَّسها وشيخ جليل استشهد ابنه في أحداث امدرمان (خليل) فأغلق على الغزاة الكبري بعربة المطافي التي كان يقودها فأصيب بقذيفة أودت بحياته.. نسأل الله أن يتقبله في الشهداء والصالحين.

الشيخ علي ود بيضاء:

له قبة ظاهرة بالصوفي والقبة تعني المسيد والخلوة يقول صاحب الأرجوزة:

احمد العجب جده غنينا   وود بيضا صائم السنينا[٢] .

---

(١) الوسيلة مخطوط عن الشيوخ الدعاة المحمدية .

(٢) الوسيلة الدرر البهية ص ٢٠ الأرجوزة ومخطوط آخر عن الدعاة المحمدية.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفق الباحث أخيراً لجمع وبسط شتات أخبار وتاريخ هذه القبيلة وبيان نسبها الشريف لمن يجهلونه من القبائل الأخرى ومن الباحثين والمختصين في مجال التاريخ وبيان أن لها كينونتها الخاصة وأن انتماءها للكواهلة لا يتعارض مع نسبها الشريف وانتماءها لبيت النبوة، والكواهلة أنفسهم يعلمون ذلك ويقولون به وقد ورد في الأثر أن ابن أخت القوم منهم، غير أن المحمدية لا يحبون التفاخر رغم انتمائهم لدوحة النبوية ولذلك لم يتركوا للباحثين سجلاً موثقاً عن حياتهم كان يمكن أن يعين في مثل هذه البحوث ولذلك يجب على أفراد القبيلة ممن لهم علم وإلمام بتاريخها أن يبادروا إلى تسجيل ما يعلمون وإتمام هذه المحاولة اليتيمة بما قصرت عنه همة الباحث ولم يبلغه علمه حتى لا تضيع المعلومات بتعاقب الأجيال وفي المثل العامِّي يقولون: (علم الراس مَكَّاس وأحسن الكراس)، أي أن العلم في الرؤوس مظنة الضياع بالموت والنسيان .

العلم صيدٌ والكتابة قيدٌ * فقيد غزالك بالحبال القُتَّلِ

عمل الباحث منذ البداية في كتابة هذا البحث أن تكون ثقافته الشخصية وتربيته هي عماد مفردات هذا البحث وروحه وهي ثقافة المسلم التي ينبغي أن نرتاد بها كل فن من فنون الحياة ننوي البحث فيه ليكون تعبيرنا منضبطاً بضوابط معتقدنا .

والله المستعان وعليه التكلان وبه التوفيق والتولية في كل شأن

النتائج: أهم النتائج أن هذه الدراسة:

١- ستلفت نظر الكثيرين من المنتمين للقبيلة أن لهم كيان يميزهم ينبغي الاهتمام به وبِجَمْع تاريخه وسِيَرَهُ .

٢- وسيتضح للبعض أن الانتماء للكواهلة هو من جهة الأم لا الأب علماً بأن الكواهلة أصلٌ يُعتد به.

٣- فرعٌ آخر، جُلُّه كان ينسبُ نفسه للشايقية بحكم السكن والبيئة والخئولة رغم علمهم التام بنسبهم الشريف وانتمائهم لآل البيت وأن جدهم الأول الشريف القادم من العراق مدفون بالبحر الأبيض – يقصدون النيل الأبيض – ولكن أين؟ جُلهم لا يعلم .. فهنالك حلقة مفقودة بالنسبة لهم سيوضحها لهم هذا البحث لتنتظم بذلك سلسلة نسبهم بصورة صحيحة ومعلومة وموثقة وسيعلمون أن لديهم أهل وعشيرة بل قبيلةٌ اسمها المحمدية وهذا الانتماء يستوجب التعارف والتواصل والتراحم والتوالي والتواصي بالحق [هذا الفرع هم المنتمون لأبي القاسم العراقي ابن بطران ويعرفون بالعراقاب فيما مضى، أما وقد أُزيل الغموض فهم العراقاب فرعاً والمحمدية قبيلة وأصلاً ينتهون في السودان إلى محمدٍ السائح أبو المحمدية الأول بالسودان القادم من العراق في العام ٨٢٨هـ – ١٤٢٣م.

٤- بعض الشيوخ المشهورين نُسِبوا لقبائل أُخرى بحكم تأثيرهم ومشيختهم مثل أبو الدخيرة مع الصَبَحَةَ والكباشي مع الكبابيش وود راعي مع رفاعة وأصولهم جميعاً محمدية.

٥- بعث بعض التراث المنسي بل والمجهول من شعر ومديح وأدب.

٦- فتح باب التواصل وصلة الرحم.

٧- بعض المتعلمين علموا ما لم يكن معلوماً لديهم – هكذا قالوا – .

٨- تصحيح بعض المعلومات الخاطئة عن القبيلة بل عن قبائل أخرى مثل: الكمالاب، والكميلاب، والمرقوماب، فقد تحدث البحث عن أنهم أشقاء للمحمدية.

٩- تَنَاوُل ما فعل الماضون بالتحليل والتقييم والجرح والتعديل والنقد الذاتي (حرب المحمدية والعوامرة مثال لذلك).

التوصيات:

١- ضرورة عمل دراسة أشمل عن المحمدية خصوصاً وعن قبائل النيل الأبيض عموماً إذ أن هذه الدراسة الماثلة لا تعدو أن تكون إضاءة جادة وصلت مرحلة الطباعة والتوثيق سبقتها محاولات من منتمين جادين حالت ظروفهم دون اتمام ما بدؤه ووقفوا عند مرحلة جمع المعلومات.

٢- من المؤكد أن بعض بيوتات القبيلة لديها من المعلومات ما يفوق ما جُمع من بعد المهتمين حتى الآن والمطلوب إما نشرها في بحوث أو إيصالها لنشطاء في هذا الشأن مثل أصحاب المخطوطات الذين ظهرت أسماؤهم خلال هذا البحث فقد أسهمت فيه كتاباتهم بنصيبٍ وافر.

٣- ضرورة عمل مخزن أو خزانة معلومات تستقبل كل من لديه وثيقة أو معلومة أو قصاصة أو شيءٍ من الآثار والتراث.

٤- تجميع إنتاج القبيلة من الأشعار في الفروسية والحماسة والمديح والفن بضروبه المختلفة كالتغني للزراعة والحصاد والمحبوب وحميد الخصال والدين والعبادة والحنين ... الخ. ما يمكن أن نطلق عليه ديوان الشعر أو الأدب عند المحمدية ويمكن أن يُشكل ذلك بحثاً ضخماً لوحده تُسهم به القبيلة في أدبيات المنطقة والبلاد.

٥- ضرورة التواصل الاجتماعي بين الأُسر ومجتمعات القبيلة لخلق الروابط وإعادة اللُّحْمَة مستخدمين وسائل الاتصال الحديثة التي قرَّبت البعيد فقد أصبح العالم كله عبارة عن قرية صغيرة.

٦- حصر ما كُتب عن قبائل النيل الأبيض عموماً في مكتبة واحدة، بل والتفكير في إخراجها في مؤلف واحد يشمل تاريخ المنطقة وقبائلها.

٧- هناك من سبق لهم التفكير في جمع ما كُتِب عن الأشراف في السودان (أي المنتمين عرقياً لآل بيت النبوة) في كتابٍ واحد يُضاف لجهد مهتمين في مصر وفي مكة المكرمة، علماً أنَّ بمكة مهتمون أشراف يقومون بالمراجعة والتحقيق في مثل هذه الدراسة للتأكد من حقيقتها وصحتها ومن ثم إضافتها لما هو متوفرٌ لديهم وصولاً لِسِفْرٍ يجمع حقيقتهم، وخَرْطَةْ انتشارهم في العالم. فقد ورد خلال هذا البحث أن منهم من

يعيش في الكنغو بمجاهل أفريقيا وفي آسيا. وأشراف مكة يهتمون جداً بمن يتأكدون من انتمائه لهم، فإنه يكون موضعَ احترامهم وحفاوتهم إن جاء زائراً أو عابداً أو باحثاً عن عمل فإنهم يوفرون له أسباب ذلك كُلِه. (هذه المعلومة مصدرها الدكتور/ حمد النيل علي الأمين الأستاذ بجامعة الملك عبدالعزيز والآن بجامعة الطائف، كما نقلها الباشمهندس الجيولوجي الأزهري/ مجدي محمد إدريس شقيق الباحث حين لقائه بالشريف الجفري أمين المكتبة بجامعة الملك عبدالعزيز بجُدة الذي كان فرِحاً جداً بلقائه وطالبه بعمل مثل هذه الدراسة.

المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، تحقيق الألباني

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبدالوهاب، ج ٨، ط ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

(٤) أرنولد ، توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين، وإسماعيل البجراوي ، ١٩٧٠م

(٥) بابكر بدري ، حياتي تحقيق علي بدري

(٦) التيجاني عامر، النيل الأبيض قديماً وحديثاً، طبعة أولى ١٩٨٠م

(٧) جُمهرة انساب العرب، ابن حزم . دار الوثائق ٢٥٢٣ ط٢، ١٩٦٢م/ ١٣٨٢هـ

(٨) الزعبي، محمد عفيف،مختصر سيرة ابن هشام، مكتبة المعرفة، حمص، سوريا، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة، ط ٢، ١٩٨٢م

(٩) سيف الدين محمد أحمد، حصاد القرون ج ص ٥٩٣ منسوبة للأمير شكر الله خوجلي من الكلاكلة.

(١٠) ضرار ، ضرار صالح ضرار، هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط ١، ١٩٧٧م- ١٤١٨هـ-

(١١) طبقات ود ضيف الله ، تحقيق يوسف فضل حسن.

(١٢) عبدالرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط ١، دار الهيثم ، القاهرة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م

(١٣) العوتبي ، سلمة بن مسلم، الأنساب ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م دار الوثائق المركزية، السودان.

(١٤) عوض أبو المعالي، من الركاب للتراب، رقم الإيداع ٢٠٠٤/٢٢م

(١٥) فضل المولى، د. بابكر فضل المولى، مظاهر الحضارة في دولة الفونج، دار السداد، ط ١، ٢٠٠٤م، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة

(١٦) قطب، سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، ج ١٢، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي، ط أولى

(١٧) مكي شبيكة، السودان عبر القرون، ط ١، ١٩٦٧م

(١٨) مكي شبيكة، تاريخ شعوب وادي النيل، ط ٢، ١٩٨٠م

(١٩) ميسور الرقيم – الشيخ مجذوب مدثر

(٢٠) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ط ٢، ١٩٧٢م، دار الثقافة بيروت

(٢١) النور إبراهيم البشير، الكريل الحقيقة الغائبة، الخرطوم، مطبعة الشلالي، ط ١، ٢٠٠٥م

(٢٢) هارولد ماكمايكل ، تاريخ العرب في السودان، ط ١، ط ١، مارس ٢٠١٢م، تعريب سيد محمد علي ديدان، مركز عبدالكريم ميرغني.

(٢٣) يماني، د. محمد عبده يماني، بدر الكبرى، دار القِبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م

(٢٤) يوسف فضل حسن ، تحقيق كتاب الطبقات لود ضيف الله ، وثيقة رقم ١، ط ٣، دار جامعة الخرطوم للنشر.

(٢٥) أبو حامد الغزالي مكاشفة القلوب، تقديم أحمد حجازي السقا، دار الجيل – بيروت ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، ص ٤٨٨.

(٢٦) ديوان الإمام علي، تحقيق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي.

(٢٧) الحافظ الذهبي، الطب النبوي، تحقيق وتعليق :أحمد رفعت البدراوي، دار إحياء العلوم – بيروت، ط٣، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، ص ٦١.

(٢٨) أبوبكر جابر الجزائري، هذا الحبيب، يا محب، مطابع الوفاء، المنصورة، ط٢ ١٤١١هـ – ١٩٩١م، ص ٥٢٩.

(٢٩) البيهقي، مختصر شعب الإيمان، تأليف، جعفر عمر القزويني، تعليق محمد منير الدمشقي، مطبعة التقدم بالمنيرة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، ص ٣٦و ٤٧.

(٣٠) خالد محمد خالد–رجال حول الرسول – دار الفكر بيروت – ص ٥٣.

(٣١)	

المصادر: **(المخطوطات – الرسائل – المقابلات)**

مخطوطات:

(١)	مخطوط الوسيلة قسم السيد، الدرر البهية (غير مكتمل).
(٢)	مخطوط الوسيلة قسم السيد عن الكواهلة (غير مكتمل).
(٣)	مخطوط الشريف محمد خير عن العرقاب
(٤)	مخطوط عن ود رحمة، لأحمد شيخ محمد شيخ يونس محمد رحمة.
(٥)	بعض اوراق المديح والأشعار.

الرسائل الجامعية :

(١) أخلاص محمد عثمان ، رسالة ماجستير الشايقية القبيلة والتاريخ ، مكتبة الجامعة الإسلامية، أم درمان ، ١٤٢٤هـ- ٢٠١٣م

(٢) حنان حسب الرسول ، تاريخ قبيلة الشكرية.

(٣) عبدالله سكوتي ، الكميلاب والجعافرة ، جامعة الزعيم الأزهري .

(٤) عبدالله صالح يوسف، الإدارة الأهلية ومديرية النيل الأبيض، ١٩٢٢م-١٩٤٨م، مكتبة السودان.

نقل شفاهي ومقابلات وقصص القبيلة المتداول:

(١)	محمد إدريس حجاز (والد الباحث).
(٢)	أحمد شيخ عبدالمحمود ود رحمة.
(٣)	د. صالح موسى علي .
(٤)	المستشار طارق عبدالفتاح
(٥)	الأستاذ الصحفي عبدالمحمود الكرنكي، مدير عام صحيفة الصحافة السودانية .
(٦)	عبدالرحمن الشيخ أحمد – عبدالهادي عوض الله حجاز – مختار عبدالهادي – حجاز عبدالهادي
(٧)	سعيد حامد بابكر – قرية المنتزهة – المحمدية غرب.
(٨)	عقيد دفع الله حامد .

زيارات ومقابلات:	
(١)	المحمدية غرب النيل الأبيض، المنتزهة ،البستان .. نوري ومروي ... ود الكريل ،جبل الأولياء ، قوز أب عوض الله سقدي غرب سنار.
(٢)	خرطة جغرافية وخرط نسب.